الروايات الرومانسية
Des:Wisso
رواية
الملاك
الأسود
رضا الدسوقي

الملاك الأسود

كتابة : رضا الدسوقي "العمر الماضي"

تدقيق : حنين أحمد - ديدي بريتي - بسمة الصباح

تصميم الغلاف و الداخلي : وسام مصطفى

التعبئة والرابط الالكتروني : ضحى حماد

الفصل الأول

دقت الدفوف باللحن المشهور للزفاف، كانت عروسا رائعة الجمال بثوبها الأبيض وحمرة الخجل التي تعتلى وجهها كأنما وجه البدر زانته حمرة شفق عذب ورائع، وعينين رائعتين تخطفان كل من ينظر إليهما،بدت صغيرة في السن لم تتجاوز الرابعة عشرة من عمرها (كعادة تلك الأيام في تزويج الفتيات وهن لا زلن في سن صغير).

وفجأة علا صوت عواء لقطيع من الذئاب الشرسة تفاجأ الجميع بوجودهم وسط حفل الزفاف ولكن الذئاب لم يمهلوا أحدا ليشعر بالمفاجأة ولم يعطوا الفرص لمخلوق حتى أن يصرخ عاليا فقد بدأوا بتمزيق الجميع بلا رحمة حتى العروس حاولت أن تهرب بعيدا ولكن قائدهم استبقها ومزق ثوبها الأبيض بمخالبه وغرس أسنانه بوجهها وتركها مسخا يعاني الألم و.....

:"حمزة .....حمزة ....ولد يا حمزة"

انتفض الأخير مذعورا وقد جحظت عيناه وزفر بحنق عندما رأى وجه الرجل الذي يوقظه ..

إسماعيل أو عم إسماعيل كما يقول له رجل فظ الملامح والطباع

يتعمد يوميا إيقاظه من على البساط الذي يفترشه أرضا كي يبدأ تدريبه معه فعم إسماعيل رجل يعمل بالسيرك يتباهى بمهارته في التصويب بالسكاكين وبالطبع حمزة الصغير الذي لم يتجاوز عمره السادسة عشر هو الهدف الذي من حوله تتناثر السكاكين منبئة عن مهارة عم إسماعيل الذي لا يشعر حمزة تجاهه بأي عاطفة سوى عاطفة الرغبة في التعلم بصمت وبقوة أي شيء وكل شيء فهو عندما ينتهي مع عم إسماعيل يذهب إلى البقية,إلى المشاة على الحبال,إلى البهلوانات..

إليهم جميعا حتى يتعلم منهم الواحد تلو الآخر دون تعب أو كلل,يراقب بصمت ثم يعطي لنفسه الفرصة ليجرب ويجرب حتى ينجح ولم يبخل عليه أحد حتى أن الجميع أصبحوا يستعينون به كلما غاب أحد منهم.. فحمزة الأخرس كما يطلقون عليه يراقب ويجرب ثم يتقن بسرعة بديهة وحسن تعلم للأشياء،حتى أنه تعلم الحيل السحرية كيف يفك القيود المحكمة كما يقدم في بعض العروض حتى أنه يحتفظ بقصاصة ورق فيها أخبار عن ذلك الساحر هوديني وقدرته الفائقة على فك القيود ،لا يكرهه أحد لكنهم دائما ينظرون له بشفقة فحمزة منذ سنتين تقريبا أو يزيد وجدته الست فاطمة زوجة إسماعيل أمام خيمة السيرك الخلفية حليق الرأس نحيف كعصا وآثار

سوط قاسٍ تئن على ظهره لا يتحدث إلا قليلا جدا حتى أن من يراه لأول وهلة يظن أنه أخرس لذلك أطلقوا عليه هذا الاسم لكنه كان محل ثقة الجميع ،تناثرت الأقاويل عنه عندما وجد..ربما سارق ويهرب من جريمة قد ارتكبها يوما ما ، أو ربما عاش لقيطا لا يعرف له أهلا ويعيش في الشارع لا يعرفون ولكن الأقاويل سرعان ما اختفت بعد أن تولت أمره (الست فاطمة)التي رجته بقوة أن يدعوها أمي لأنها حرمت نعمة الأطفال لكنه أخبرها بحزم أنه لا يملك سوى أم واحدة فقط وهي ليست أمه لكنه يعاملها بدماثة خلق وعرفان بالجميل لا يرفض لها طلبا ولا تعيد كلمتها مرتين كي يستجيب.

****

لمعت عينا الرجل في شهوة عندما أشار نديم إلى فتاة في العشرين من عمرها خمرية اللون جميلة الملامح، لوى نديم شفتيه بابتسامة ساخرة وقد أدرك أنه نجح لفت نظر الرجل الذي هتف بلهفة:"إنها جميلة للغاية ومن النوع الذي أفضله"

وهمّ أن ينهض من مكانه ولكن نديم استوقفه بمسك ذراعه وتصنع الجدية

انتظر قليلا ليس هنا"

خيل إليه أن لعاب الرجل يسيل وهو يتحدث:"لكنها جميلة وشهية للغاية"

بابتسامة صفراء أجابه:"نعم أوافقك الرأي ولكننا سنغادر أولا ثم تتبعنا هي"

ثم مال ناحية الرجل ولمعت عينيه بطمع:"هذا عن الجزء الخاص بي ماذا عنك أنت؟"

"آه آه"

ثم أخرج من جيبه النقود وناولها إياه دون أن يدرك أنه أعطاه أكثر من المبلغ المتفق عليها نظرا لانشغاله بالفتاة التي ابتسمت له عندما حياها بكأس الخمر في يده..

غادرا المكان والرجل يمنّي نفسه بجمال الفتاة التي رآها للتو،توقف للحظة عندما وجد نديم يقتاده إلى شارع جانبي مظلم وبعربية ركيكة سأله:"إلى أين تصطحبني؟"

ثم التفت خلفه وتابع:"وأين هي الفتاة؟"

لمعت عينا نديم ثم استل سكينا بمنتهى السرعة وغرسه بقلب الرجل وهو يجيبه: "أصطحبك إلى حتفك أيها الحقير"

جحظت عينا الرجل غير مصدق لما يحدث ولكن ما لبثت أن خبت وفارق الحياة ونديم يراقبه بهدوء وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ثم انحنى عليه يجرده من سلاحه ،وبدأ في خلع ملابسه فظهر من تحتها ملابس أخرى تغير مظهره تماما وبدأ بالركض فيالاتجاه المعاكس ثم التفت بنظرة أخيرة هاتفا:"إلى الجحيم أيها القذر"

****

استيقظ حمزة مفزوعا على صراخ (الست فاطمة) وهي تصرخ بإسماعيل أن يتركها ويكف عن ضربها،فنهض على الفور وأسرع إليها فوجد إسماعيل يضرب زوجته بقسوة وهو يهتف بها ألا ترد أوامره وأن لا تجيبه بدلا من الكلمة عشرة كما يدعي دائما همّ بضربها مرة أخرى فتلقت ضربته يد حمزة الذي احمرت اذنيه في غضب وضاقت عيناه محذرا:"إياك أن تضربها مرة أخرى"

ثم ضم قبضته ولكم إسماعيل بدوره اتسعت عينا إسماعيل في غضب شديد وأمسك بذراع حمزة يلويها خلف ظهره فتنفس الأخير بألم فهو يعرف أن إسماعيل يتمتع بقوة جسدية تفوقه كثيرا لكنه لم يستطع رؤيتها وهي تضرب ولا يحرك ساكنا

صاح إسماعيل:"ماذا تظن نفسك؟ هل جننت؟! لقد وجدناك بالشارع ونستطيع إعادتك إليه مرة أخرى"

تدخلت فاطمة هذه المرة وهي تنظر لحمزة الذي يبدو كمن لم يهتم بما قيل له للتو

"كفاكما أنتما الاثنين، ولا تتدخل مرة أخرى يا حمزة بيني وبين زوجي"

لانت يد إسماعيل بمجرد أن سمعها تقول ذلك وابتسم ليظهر أسنانه الصفراء المقززة من شرب السجائر واحتساء الخمر،دفعه بعيدا فتلقفته يد فاطمة:"هكذا هي امرأتي"

ثم أشار بإصبعه ناحية حمزة:"وأنت هيا لدينا وقتا قليل لتدريب اليوم".

كان إسماعيل من ذلك النوع الذيإذا أسيء له يوما لا ينسى الإساءة بل يضمر في قلبه شرا أيضا فمجرد أن ضربه حمزة وعيناه تلمع شرا كلما التقت أعينهما وحمزة كان يفطن لتلك النظرات لكنه لم يكن يهتم وكعادة إسماعيل انهالت على رأس حمزة سيلا من الشتائم كي يستيقظ ونهض مذعورا كالعادة فسخر منه إسماعيل:"لقد مللنا من كوابيسك التي توقظك مفزوعا كل يوم"

ضاقت عينا حمزة وهو يجيبه:"ليست الكوابيس التي تزعجني لقد اعتدت عليها"

،أدرك اسماعيل تلميح حمزة أنه هو من يزعجه فلكزه بقوة ليدفعه

أمامه بغلظة وهو يصيح بصوته الأجش الغليظ:"هيا ليس أمامنا النهار كله"

بدأ التدريب وإسماعيل يرمي بالسكاكين الواحدة تلو الأخرى ويبتسم بزهو أنه لا يخطئ الهدف أبدا وفجأة لمعت عيناه بفكرة شيطانية وقرر أن يربط عينيه ويرمي السكين التالية وهو معصب العينين،لم يهتم أحد لأنهم يعرفون مهارته وبراعته في فعلها ولكنه كان له رأي آخر،أما حمزة فلم تهتز له شعرة..

كان على الرغم من بغضه لإسماعيل إلا أنه كان يثق ببراعته وأن الزهو الذي يتملكه وهو يرمي سكاكينه كفيل أن لا يغامر أسماعيل بارتكاب أي خطأ حتى وإن فعلها هو لا يخشى الموت بل يتمناه..أغمض عينيه بعفوية من يواجه سكينا يصوبها رجل معصب العينين قد يكون مقرها قلبه إذا اخطأ الرجل بضع سنتيمترات وبالفعل لم تمض ثواني حتى تأوه بألم شديد وفتح عينيه ليرى السكين قد مزقت ذراعه وإسماعيل يخلع عصابته متظاهرا ببراعة أنه حقا آسف أنه أخطأ ربما للمرة الأولى في حياته.

نظر له حمزة بتشكك وهو ممسكا بذراعه مستندا إلى الست فاطمة التي كاد قلبها يتوقف خوفا عليه لأنها ومنذ اللحظة التي رأته فيها شعرت أنه ابنها حقا لأنه حرمت من هذه النعمة .

هتف حمزة بحنق:"لقد كان يقصدها يا خالة"

اتسعت عيناها في ذعر:"لا يابني صحيح إنه غليظ الطباع لكنه لا يفعلها ولم

قد يفعلها؟"

:"لأني ضربته من أجلك ذلك اليوم"

:"أتظن ذلك؟"

قبل أن يجيبها قاطعهما وجود إسماعيل الذي بدت على وجهه لهفة مزيفة وهو يهتف:"بني هل أنت بخير؟"

نظر له حمزة باستخفاف أما الست فاطمة فوجهت نظرتها لحمزة كأنها تقول له (أرأيت)؟ هتف بها إسماعيل:"أنت لا زلت هنا يا امرأة اسرعي كي تأتى له بضمادة ومطهر للجرح"

نهضت مسرعة لتحضر ما أمرها به أما إسماعيل فاختفت اللهفة من عينيه وحلت محلها نظرة كريهة ساخرة أو ربما متشفية كما هي كلماته:"مؤلمة أليس كذلك؟"

كان حمزة لازال ممسكا لجرحه فنظر إليه طويلا ثم أجابه:"لقد تعمدت إصابتي أليس كذلك؟"

اقترب منه اسماعيل فلفحته أنفاسه المشبعة برائحة التبغ والخمر المقززة وأمسكه من ياقة قميصه قائلا بغل لم يحاول إخفاؤه

:"بالطبع تعمدتها هل تظن أنك تستطيع ضربي وتفلت مني؟"
تصنع حمزة البراءة على الرغم من كرهه المتصاعد نحو الرجل:"ولكن يا عم إسماعيل أنت من ضربت الخالة فاطمة وصعب عليأن أراها هكذا فحدث ما حدث فتقبل اعتذاريأرجوك"
استشاط إسماعيل غضبا وترك قميص حمزة وضغط على جرحه فتأوه الأخير بألم ، فأكمل أسماعيل وقد لمعت عيناه بكراهية:"ما هذا أتسخر مني؟هل تظن أنني لا أعرف حقيقتك؟أو أنني لا أعرف سرك الذي تشاركه الحمقاء فاطمة أنت واهم إذن"
اتسعت عينا حمزة بخوف حقيقي وهو يبتلع ريقه في مواجهة إسماعيل ذلك الرجل الغاضب الكريه يا إلهي ماذا عليه أن يفعل؟!

****

:"أبي ....أبي"
ابتسم عندما سمع الصوت الطفولي يناديه وانحنى كييلتقطها بين ذراعيه ويقبلها قبل أن يسألها:"عيون بابا ماذا تريد الحلوة؟"
ابتسمت عيونها بشقاوة محببة إلى النفس ثم ضاقت عينيها وهمست بأذنه كما تفعل دائما عندما تريد شيئا ما:"أريد نقودا لأشترى بها أرواح(بونبون)"
وبنفس طريقتها همس:"أين هديتي أولا؟"

فهمت ما يريد فطبعت قبلة على خده ثم تأوهت للحظة:"أبي ذقنك أوجعني"

ضحك كثيرا على طفولتها وبرائتها وأفلتها وهو يعطيها النقود وأوصاها ألا تبتعد عن ناظريه أومأت برأسها كإجابة ثم جرت مسرعة نحو الرجل الذي يبيع الحلوى المفضلة إليها سرح بفكره وهو يتابعها بنظره سعاد ابنة الستة سنوات طفلته الرائعةالتي تركتها والدتها دون حتى أن تنظر للوراء هكذا تخلت عنها بكل سهولة لتتزوج برجل آخر بعد أن تم الطلاق بينهما عقد حاجبيه عندما تذكرها نادية ابنة الجيران المدللة التي عشقها وذاب بحبها ولأنه لا يهوى اللف والدوران قرر أن يتقدم لخطبتها .

وبالفعل صار كل شيء بسهولة لم يتخيلها وتزوجا وعاشا أياما لا ينكر أنها كانت تعد أياما في الجنة بالنسبة له حتى مات والده وتغير كل شيء وتحول وجه الحب إلى وجه قبيح لا يعرفه فبعدما توفي والده لم يعد له ترف الاختيار وترك وظيفته التي يكفيه رزقه منها هو وزوجته كي يعمل في استديو والده نديم عبد الحميد أو

(ابن عبد الحميد أفندي المصوراتي) كما يطلقون عليه في الحي،حاول أن يفهمها كم أن الأمر مهم وأن والدته وأختيه في حاجته وابنة عمه أيضا التي كان يكفلها والده لكنها لم تستجب

وبدأت المشاكل في الظهور الواحدة تلو الأخرى إلى أن انتهت بالطلاق لأنها لم تعد تحتمل العيش مع والدته وأختيه في ظل الفقر وضيق اليد اللذين يعانيهما وبهذا انتهت قصتهما مخلفة ورائها ملاك صغير تركتها أمها عندما دق الباب أول رجل لوح بماله وأشار لرغد العيش معه.

****

اتسعت عينا حمزة وهو يحدق بإسماعيل الذي يطالعه بدوره بسخرية وكراهية شديدتين ويعيد بغلظة:"هل ظننت للحظة أن غر مثلك سيسخر مني؟"

ابتلع ريقه في توتر شديد وهو يسمع صوت تنفسه المتوتر كان مذعورا وخائفا أن يعرف أحدا سوى الست فاطمة سره الذي يخفيه أخذ نفسا طويل كي يسيطر على نفسه قليلا فليس هو من يترك نفسه نهبا للتهديد أو الخوف وإن لزم الأمر لقتل إسماعيل سيفعلها ولكن لا أحد يجب أن يعرف سره..

عقد حاجبيه وضاقت عينيه وأزاح يد إسماعيل عن جرحه باشمئزاز وقال محذرا

:"إياك أن تظن للحظة أنك تستطيع أن تهددني وإنلزم الأمر لقتلك سأفعلها"

وقبل حتى أن تتاح الفرصة للرجل أن يجيب سحبحمزة سكينا من حزام إسماعيل ووضعها على رقبة الرجل ثم همس:"إياك والظن أني أخاف"

لكن إسماعيل كان قوى البنية على عكس حمزة بجسده الضئيل فقد استشاط غضبا

عندما هدده حمزة بالسكين فدفعه عنه بغلظة شديدة وبدأ في الصياح والهياج

""أنت؟أنت تهددني بسكين؟سأخرج للجميع الآن وأطلعهم على سرك الذي تخفيه"

وهمّ بالفعل أن يخرج لولا أن عاجلته ضربة قوية على رأسه فسقط على الفور كجوال من الدقيق وظهرت خلفه فاطمة التي كانت ترتجف من الخوف وربما من الانفعال ممسكة بعصا ثقيلة.جرى حمزة ناحيتها:"ماذا فعلتِ يا خالة؟"

كانت المرأة المسكينة لا تزال تلهث من الخوف لكنهاهتفت به:"لا تهتم سأستطيع التعامل معه عندما يستيقظ، هيا الآن غادر من هنا قبل أن يفيق" وتركته واتجهت إلى خزانة قديمة وأخرجت منها بعض النقود وناولتها إياه:"خذ هذه وابتعد قدر ما تستطيع ولا تعد إلى هنا مرة أخرى"

كان صدره يعلو ويهبط من الانفعال وهتف بقلق:"وأنتِ؟!"

:"لا تقلق علي سأستطيع التصرف لا تقلق هيا !!!!"

أخذ النقود واستدار ليغادر لكنه توقف فجأة واستدارإليها ونظر إليها مطولا:"اعتني بنفسك يا أمي"

واحتضنها بقوة ثم نزع نفسه من حضنها كأنه ليس من حقه وأغمض عينيه بقوة ليسيطر على دموعه ثم غادر وهي تتابعه بنظراتها المتحسرة وبعينيها لوعة (آه يا حمزة ...)

أغمض عينيه بقوة يريد محو نظراتها من عينيه.. إنه لا يريد أن يشعر بأحد ،أن يتألم لفراق أحدهم,لا يريد لقلبه أن ينبض مرة أخرى كفاه، شعر بوخز في قلبه ولكنه سرعان ما هز رأسه كأنه ينفض عنه أي أفكار ثم أخذ نفسا طويلا وهتف بنفسه

:"حمزة أنت بخير..نعم أنت بخير ماذا بك؟تجلد لا تدعالضعف يلفك ولا المشاعر تهزمك لم تعد كالسابق اصمد"، الا إنه وبرغم هذا لم يستطع أن يمنع نفسه من القلقعليها لابد وأن اسماعيل استيقظ الآن وهى تواجه عاصفة غضبه خائفة ومذعورة من بطشه وحيدة معه في حجرتهما بالسيرك لابد أنه يضربهاالآن ،فكر للحظة أن يعود مرة أخرى ولكن مجرد الفكرة جعلت عينيه تتسع كيف سيعود بعدما عرف الرجل كل شيء،أخذ نفسا طويلا مرة أخربفي محاولة

للسيطرة على توتره وخوفه ،ضرب قلبه بقبضته وهتف بنفسه بقوة:"اصمد يا حمزة"

،وتذكر قولها وهي تهتف به:"لا تعد إلى هنا مرة أخرى" شعر بالارتياح للحظات ظنا منه أنه يستطيع السيطرة على مشاعره لكن سرعان ما شعر بقبضة باردة تعتصر قلبه بقوة وعينيها تحتل الكون من حوله وبعينيها نظرة لم يرها من قبل عندما ودعها بقوله:"اعتني بنفسك يا أمي"

****

نهض نديم لمصافحة صلاح صديقه اللدود الذي اتسعت ابتسامته وهو يعانقه بود

:"أهلا وسهلا يا صلاح"

ضغط صلاح على يده و لازال يبتسم:"أهلا وسهلا بمن يعملون وحدهم ليلا دون طلب مساعدة"

،ثم غمز بعينه، اتسعت ابتسامة نديم بدوره:"اخفض صوتك يا رجل ل ألا يسمعنا أحد"

خفض صلاح صوته على الفور واصطحبه نديم إلى داخل الاستديو الخاص به:"ألا تقول كيف حالك أولا؟"

ضحك صلاح:"ولماذا أسألك وأنا أراك ما شاء الله بكامل صحتك "

:"ألن أتخلص من لسانك هذا؟ثم من أين لك بما حدث؟"

ضحك صلاح مرة أخرى :"جثة عسكري انجليزيفي شارع مظلم مقتول بطعنة نافذة في القلب من غيرك قد يفعلها؟"

اتسعت ابتسامة نديم:"لا يفوتك شيء يا صديقي"

هتف صلاح :"لماذا إذن لم تخبرني لأحمي ظهرك على الأقل"

:"أدام الله وجودك يا صديقي ولكني رأيت أن الأمر لا يستحق فقد كان ذلك الرجل مخمورا على الدوام فالقضاء عليه كان سهلا واستدراجه بالوسيلة المعتادة أيضا"

عقد صلاح حاجبيه متسائلا:"النساء؟!"

أومأ نديم رأسه موافقا وهو يجيب باشمئزاز:"بالطبع"

****

لفت نظر نديم الجلبة على السلم وهو صاعد إلى شقتهم وشاهد السيدة صاحبة المنزل وبصحبتها امرأة أخرى أو فتاة إن صح التعبير نحيلة حتى يخيل لمن ينظر إليها أنها في العاشرة من عمرها فحسب رفع حاجبيه بتساؤل ثم ما لبث أن خفضهما مرة أخرى وهو يرى صاحبة المنزل تناول الفتاة مفتاح الشقة وتدخل الأخيرة الى الشقة بعد كلمة شكر موجزة

تلكأ قليلا ليعرف من هذه الفتاة التي يبدو أنها جارتهم الجديدة تهلل وجه السيدة اعتدال وهي ترحب به:"نديم أفندي..كيف

أحوالك؟"

ابتسم بأدب:"بخير والحمد لله يا سيدة اعتدال"

،ثم ارتفعت عينيه بنظرة عفوية ناحية الشقة المقابلة ففهمت السيدة سؤاله الصامت فأجابته:"إنها المستأجرة الجديدة اسمها نادية و ....."

لم يحاول نديم سماع بقية الحديث لأن مجرد تشابه اسمها مع اسم زوجته السابقة كان كفيلا بأن يشعر بالنفور ناحيتها وربما الاحتقار أيضا دون أن يعرفها حقا هز رأسه مستاءا، يالله هذا ما كان ينقصني أيضا،هل انتهت الأسماء من العالم؟!

****

استيقظ إسماعيل متأوها ويعاني من صداع يكاد يفتك برأسه،نهض مترنحا ليستند إلى الحائط وعندما رفع عينيه وجد فاطمة بانتظاره على كرسي قماشه متآكل, شعر بالغضب الشديد:"أنت ؟ يا بنت الـ ....."

تأوه ثانية ولم يستطع إكمال سبابه القذر لكن لدهشته لم تحرك فاطمة ساكنا وهي تنظر إليه بتمعن:"نعم كنت أنا من ضربك"

هم بشتمها مرة أخرى ولكنه أشارت بكفها في حزم:"إياك وأن

تسبني مرة أخرى وإلا قتلتك هذه المرة"

اتسعت عينيه استنكارا:"أنتِ؟ من أجل ماذا من أجل الـ ....."

وقطعحديثه وهو يتنفس بقوة كثور نهضت من مقعدها بهدوء

أدهشه:"إذا كنت تظن أن حمزة وحده من يمتلك الأسرار فأنت واهم"

نظر لها بسخرية:"ماذا؟أنت أيضا تملكين واحدا!"

تنفست بسخرية وهي تواجهه:"لا بل أنت"

شعر بالتوتر عندما قالت أن لديه سر وحاول أن يسخر منها:"سر؟وما سري إذن هه أخفي جرة من عسل النحل وآكلها وحدي!"

استدارت عنه وأمسكت بلفافة وضعتها في وقت سابق على المنضدة المتهالكة ثم واجهته مرة أخرى:"لا .. بل تخفي هذه"

اتسعت عينيه بقوة وبخوف شديد ابتلع ريقه واهتز صوته:"من أين لك بهذه؟!!"

الفصل الثاني

اتسعت عينا إسماعيل وهو يشاهد فاطمة تلوح له بقطعة القماش البالية،حاول أن يقترب منها ليختطفها ولكنها رفعتها قبل أن يصل إليها فشعر بالغضب يزداد بداخله وزمجر قائلا :"قلت من أين لك بهذه يا امرأة هاتها "

كانت تحدق به وهى تعلم جيدا ما يدور بداخله تعلم أنه مشتعل بالثورة غاضب حد التأجج ولكنه يتظاهر بالقوة أمامها،هتف بها مرة أخرى :"قلت لك هاتها"

:"لن أعطيك إياها حتى وإن فعلت فأنا أعرف سرك الآن"

مطت شفتيها بسخرية:"ليس الآن فأنا أعرف سرك منذ زمن بعيد"

حاول أن يجعل صوته لين فخرج أجش دون عاطفة :"فاطمة أنت زوجتي لن تفعلي بي هذا،لن تخبري الشرطة،أليس كذلك؟"

أومأت برأسها :"بلى".

فتهلل وجه إسماعيل ولكنه وجم مرة أخرى عندما أكملت :"لن أخبر أحدا ما دمت أنت لن تخبر أحدا عن حمزة "

شعر بالغضب الشديد فصاح بها :"فليذهب إلى الجحيم مالي وإياه؟"

:"اذن اتفقنا يا زوجي الـ.....قاتل"

على الرغم من أنها تمسك باللفافة التي تحمل دليل إدانته وشاهد

على جريمته إلا أنها عندما نطقت بالكلمة شعر بالتوتر الشديد كأنها تعلن من جديد أنها تعرف كل شيء، ابتلع ريقه في توتر وخفض صوته:"حمزة ذهب أنت ساعدته على الهرب وبالتأكيد لن يأتيإلى هنا مرة أخرى فماذا يفيدني أن أخبر سره ولكن ما أود معرفته حقا كيف عرفتِ؟"

عادت بذاكرتها إلى الوراء ربما لأكثر من خمسة عشرة سنة كان إسماعيل آن ذاك من نوع الرجال الذين ينظرون لكل أنثى ويتوددون إليها خاصة إذا كانت تتمتع بالجمال وكان هذا يؤلمها وتتشاجر معه ولكنها ما تلبث أن تهدأ لتعرف أن الأمر ليس جديا فيكل مرة إلى أن جاءت المرة التي أخبرها فيها أنه ذاهب لبلدته في الصعيد إلا أنها هذه المرة لم تطمئن إلى حديثه وشعرت بالكذب واضحا في عينيه فأومأت برأسها فقط دون كلمة وصممت على مراقبته إلى أين سيذهب لابد أنه ذاهب إلى زهرة الحب الجديد الذي لاح في حياته وعلى ما يبدو أنه يشعر بتلك الزهرة بشكل مختلف عن السابقات وكذلك هي أيضا تشعر باختلافها عن الأخريات

وإن زهرة هذه تمثل لإسماعيل امرأة غير عادية وكان حدسها صادقا فعندما تتبعته وجدت أنه يلتقي بزهرة كانت الأخيرة بعثت له ببضع خطابات ألقاها إسماعيل بإهمال دون حتى أن يخشى أن تراهم فاطمة أو كأنه تعمد ذلك إمعانا في إذلالها وعندما قرأتها علمت أنه

يقول لزهرة هذه جميع كلمات الحب التي يحرمها هي منها ولكن ما لفت نظرها أن آخر خطاب كان فيه إلحاح شديد منها أن يبتعد عنها لأنها ستتزوج ولكن على ما يبدو أنه لم يبتعد وفضل مطاردتها وتضييق الخناق حولها حتى وجاء ذلك اليوم الذي راقبته فيه فاطمة ،كانت تروي فعادت ذاكرته بدوره إلى ما حدث .....

هتف بلهفة:"زهرة حبيبتي اشتقت إليكِ"

نظرت حولها يمينا ويسارا كأنها تخاف أن يراها أحد على الرغم أنهما يلتقيان في مكان بعيد عن أي عمران ولن يراها أحد وقالت بارتباك :"أهلا يا إسماعيل كيف حالك؟أرجو أن تكون جلبت معك الخطابات"

عقد حاجبيه بقوة ولم يجبها بحرف مما جعلها تصيح به :"ماذا ألم تجلبها معك؟لقد وعدتني يا إسماعيل كما وعدتني من قبل أنك ستتزوجني ولم تفعل وعلى ما يبدو أنك تتمسك بزوجتك فقط"

لم تعطه الفرصة للرد وانهالت عليه سبابا وغضبا ولكنه كان هادئا كجبل جليد ولولا لمعة عينيه لظن من يراه أن روحه صعدت إلى بارئها وهو واقف اختلجت عضلة فكه بغضب وهو يشاهدها تشتمه وتلعنه وتصفه بأبشع الصفات وأخيرا تحدث: "ولكني أحبك يا زهرة

ولا أستطيع تخيل حياتي بدونك ولا أستطيع تخيل أن رجلا آخر يلمسك"

،وبدأ في مهاجمتها لتقبيلها ومحاصرتها ولكنها حاولت الإفلات منه وبالفعل نجحت في ذلك وبدأت في الركض بعيدا عن وهي تصرخ أنها ستفضحه وتقول للجميع وأنها ستخبر والدها ليقتله ربما لو فكر قليلا يومها لعلم أنه تهديدا أجوف لا يحتمل الصدق لأنها بماذا ستخبر والدها وهي من ستدفع الثمن أخيرا بالتسبب في فضيحة عائلتها والتأذي بسبب ذلك هي أولا قبله ،ولكن إسماعيل لم يكن ليفكر بهذا النحو المنطقي فركض ورائها يلاحقها خائفا من أن تتسبب له بفضيحة وأن يدركه بطش والدها وبالفعل أدركها وصاح بها ربما للمرة الأخيرة:"أنا أحبك يا زهرة أرجوك فكري مجددا" ولكنها شتمته مجددا فشعر أنه لم يعد أمامه سوى قتلها كي لا تفضحه وكأن شيطانا تلبسه،أخرج سكينه وغرسها بقلبها فماتت على الفور ،كل ذلك وفاطمة تشاهده وهي تكاد تموت خوفا من أي حركة قد تبدر عنها فيعرف مكانها ويقتلها هي الأخرى بثورة غضبه ..

تطلعت حيث هو بخوف شديد وجدته ينظر لزهرة ويأخذ وشاحها ويمسح به سكينه ويلفها به ثم تطلع كثيرا إلى جثتها وانتابته حالة

من الهيستريا وبكى وناداها ثم ما لبث أن هدأ بشكل غريب وقام بدفنها كأنه لم يقتلها للتو!

إنها تذكر تلك الأيام جيدا،غاب يومين كما ذكر كأنه في زيارة لأهله بالفعل ثم عاد مجهدا كمن لا ينام أبدا وظل كثيرا يعاني الكوابيس حتىأنه لم يتخلص من وشاح زهرة الذي يحمل دليل إدانته كأنه احتفظ به ليذكره دائما بها وكأنه يشم في دمائها الجافة رائحة حبه لها وغدره بها في لحظة غضب..

لا تعرف فاطمة لماذا شعرت بالألم للحظة لأنها لم تحظَ منه يوما بالحب ولم يعاملها يوما كإنسانة،كانت تنظر إليه متألمة وهو شارد يفكر بزهرة نعم تعلم أنه كان يفكر به حتى أنه أخطأ باسمها ذات مرة وناداها زهرة لكنه حتى لم يهتم ولم يعتذر بل افتعل مشاجرة وضربها كأنما يفرغ فيها شحنات غضبه وخزيه ولعنة زهرة المسلطة عليه ولكنها نفضت عنها ذلك التفكير سريعا وهى تنهر نفسها لقد كبرت كثيرا على أن تفكر بمشاعرها

رأته يتهاوى على مقعد متهالك وهو يتطلع إليها :"ولماذا لذتِ بالصمت كل تلك السنين؟"

أخذت نفسا طويلا قبل أن تجيب:"لأنني لا أملك سواك في هذه الدنيا وأنا أخاف أن أكون وحدي أخاف حد الرعب يا إسماعيل"

****

باشر نديم أعماله اليومية في الاستديو قبل أن يقرر إغلاقه لينعم ببعض الراحة قبل أن يلتقي بصلاح صديق عمره في الليل وضع يده بجيبه ليخرج المفتاح ولكن في نفس اللحظة سمع صوت الباب المقابل يفتح فاستدار تلقائيا ليجد أمامه الفتاة التي استأجرت الشقة المقابلة لشقتهم

أراد أن يستدير عنها ليفتح بابهم لكنه لم يستطع لأنه رأى أمامه فتاة جميلة

وبصوت خفيض لكنه وصل إليه قالت :"السلام عليكم"

ودون أن تنتظر اجابته أكملت طريقها ، تابعها بنظره مطولا ثم هز رأسه والتفت ليفتح الباب وجد باستقباله سعاد الصغيرة كالعادة، أطلق عليها هذا الاسم تيمنا بوالدته التياستقبلته هي الأخرى وقد اتسعت ابتسامتها وهتفت :"أهلا يا بني"

انحنى يقبل يدها :"أهلا يا نينة"

(كانت الأمهات يطلق عليهن هذا اللقب)

كانت لا تزال سعاد الصغيرة تقفز حوله بسعادة وهي تنتظر أن يعطيها نصيبها اليومي من الأرواح .

صاحت بفرح وتعلقت برقبته عندما أخرج من جيبه حلواها المفضلة،ثم طبعت على خده قبلة بادلها إياها بحب ثم تركها لتكمل

لهوها،استقبلته أيضا ابنة عمه زينب رقيقة الجسد والصوت وفي عينيها لمحة حب لنديم لا يخطئها مثله إنما لا يلتفت إليها لأنه لا يرى فيها إلا الأخت الثالثة تماما مثل رقية وعزيزة ويعاملها على هذا الأساس .

استقبلته على استحياء:"أهلا نديم هل أعد لك الطعام؟"

ابتسم تأدبا ""من فضلك يا زينب لأني جائع للغاية"

أومأت برأسها بلهفة :"حاضر دقائق ويجهز "

مر بعض الوقت قبل أن يجتمعوا على المائدة ككل يوم كان أمرا معتاد ولكن زينب تسأله وكأنها تخصه وحده بالحق في طلب الطعام من يديها طرأ على ذهنه شيء أراد السؤال عنه وأراد أن يتظاهر بأن الأمر ليس مهم :"أمي سمعت أن الشقة المقابلة قد استأجرت هل هذا صحيح؟"

تساءل وهو متلهف لمعرفة الإجابة ولا يعرف لماذا؟ لعله يحصل على بعض المعلومات عن الجارة الجديدة:"نعم اسمها نادية و لم تكمل السابعة عشر بعد ....".

قاطعها نديم باندهاش :"لم تكمل السابعة عشر!إنها صغيرة جدا للعيش بمفردها"

استدركت والدته: "نعم وكذلك استنكرت السيدة اعتدال ولكنها أخبرتها أنها البنت الوحيدة لأهلها وسيلحقون بها فيما بعد ولم تقل

سوى ذلك"

:"اممم حسنا لقد رأيتها منذ قليل"

أجابته أمه في اندهاش :"الآن؟"

هز نديم كتفيه :"نعم الآن لا زال الوقت عصرا يا أمي على أي حال اصطحبي الفتيات واذهبن للتعرف عليها"

ابتسمت رقية بجذل :"نعم سنفعل ربما تكون صديقتنا يوما ما"

ابتسم نديم بدوره :"بالطبع ولكنى أعتقد بشقاوتك هذه ستعيد النظر في أن تقبل صداقتك أنت بالذات".

ضحكوا جميعا كانت رقية الاخت الصغرى في الرابعة عشر من عمرها يعتبرها مثل سعاد الصغيرة ويعاملها كابنته كانت شقية الطباع ومرحة بعيونهاالعسلية الداكنة وبنظرتها التي تشبه والده رحمه الله عندما تصمم على شيء ما، أما عزيزة فقد اكتفت بالابتسام فحسب,فهي على العكس تماما هادئة الطباع لا تحب الكلام كثيرا صوتها خفيضعلى عكس رقية التي تملأ الدنيا ضجيجا، لم تتزوج حتى الآن على الرغم من عمرها الذي جاوز الثامنة عشر، تمت خطبتها من قبل ولكن بموت والدها اتضح لها أن خطيبها هذا شخص لا يعتمد عليه ذكر وليس رجل ولكن الجميع فوجئ بها تعلن أن هذا أفضل لها، إنها لم تكن تريده حتى من البداية ولكنها لم تكن تملك الاعتراض في وجود والدها أنها الآن أصبحت أكثر نضارة

وإشراقا وكأنما كان خطيبها هذا يخنقها بشكل أو بآخر .
نظر إلى والدته التي بدت وكأنها تضحك مجاملة لهم ولا أكثر من ذلك ..كانت من قبل والدته اسم على مسمى كما يقولون فكانت بهجة البيت وسعادته وتبث الفرح في من حولها، بدت له والدته الأربعينية العمر امرأة عجوز كسرها ألم الفراق على شريك عمرها عبد الحميد أفندي زوجها الحبيب الذي تزوجها وهي لم تجاوز الثالثة عشر من العمر ووهبها الله نديم ثم لم تنجب لما يقرب من تسع سنوات ثم أنجبت عزيزة ثم رقية، ولكن بعد موت الأب حفرت الأحزان وجهها تماما ولم تعد تضحك إلا ابتساما ولا يخرجها من حالتها تلك إلا سعاد الصغيرة بشقاوتها وبراءتها.

****

بعدما غادر نديم وانتهت الفتيات من أعمال التنظيف،ذهبت كل منهن إلى حجرتها

رقية وعزيزة معا وظلت الأم مع سعاد الصغيرة التي كانت تتابعها بشغف وهي تحيك لها فستانا صغيرا لدميتها القماشية أما زينب فكان لها حجرة مستقلة أراد لها عمها أن تحصل على خصوصيتها كاملة كي لا تشعر أنها تتطفل على أحد ولا تشعر بالنقص بين أبنائه:"رحمك الله يا عمي"

هتفت زينب بذلك وهى تحمد الله أن لها حجرة مستقلة وإلا لم تكن لتتخلص من
مشاغبات رقية وعزيزة لها وهم يعرفون أنها تكن لنديم بعض المشاعر ربما لم تقل
ذلك صراحة ولكنهن لمحن أكثر من مرة إلى مشاعرها تلك وهما يضحكان ويتغامزان عليها .

سرحت بخيالها فيه، إنه ابن عمها الحنون الرقيق الصارم بذات الوقت يحافظ عليها
وعلى إخوته ويعمل دون كلل كي يسعد الجميع بينما تشعر هي بما يدور بداخله من
فراغ وحزن على زوجته التي تركته نهبا للآلام فقط لأنها لا تستطيع تحمل الفقر ربما لو صبرت قليلا لعلمت أن أحوالهم قد تحسنت كثيرا بعدما استطاع نديم تطوير استديو والده وأدخل عليه بعض التعديلات التي جعلت الزبائن تدخله من جديد ،ابتسمت حينما .
تخيلت للحظة أنها ستستطيع أن تجعله يحبها كما تفعل هي وأن يتزوجها هي فربما ما حدث كان من تدابير القدر ليكون لها
هي،وهى لا تجد في وجود سعاد الصغيرة سببا للتراجع فهي تحبها وكذلك تفعل سعاد .

وضعت رأسها على وسادتها وابتسمت وأحلام سعيدة تداعب مخيلتها.

****

أشعل نديم سيجارته ونفثها بهدوء هز رأسه باستغراب وعقد حاجبيه ، لماذا تشغله الجارة الجديدة بهذا الشكل؟ ما الذي يعنيه بجمالها أو بوحدتها؟ ما الذي يعنيه بأن تسكن وحدها وهى صغيرة في السن هكذا؟ مط شفتيه سبعة عشر عاما أي أصغر منه بعشرة أعوام كاملة عاد يعقد حاجبيه .لماذا يقارنها بنفسه على أي حال؟!

****

لم تهتم نادية بالتعرف إلى الجيران,إنها تختار الوحدة وتريدها ملاذا ولكنها لن تظل تنفق من الأموال القليلة معها للأبد لابد وأن تبحث عن عمل،لقد كذبت على الست اعتدال إنها لا تملك أهل ولا عائلة,إنها وحيدة تماما فالدنيا من حولها خالية تماما ،لقد كذبت بادعائها أن عائلتها ستلحق بها فقط من أجل أن تقبل المرأة أن تسكنها بيتها،ربما فيما بعد تخترع كذبة جديدة لكي لا يسألها أحدهم عن عائلتها.

****

اعتذر صلاح عن تمضية السهرة مع نديم نظرا لإصابته بنزلة برد

قوية ،فظل معه بعض الوقت ثم غادره مقررا أن يمضي السهرة وحده ربما حصل على صيد ثمين كما في المرة السابقة،وبالفعل وصل إلى الملهى الليلي الذي كان يرتاده الكثير من الجنود الإنجليز والذي لا يعرف إلى الآن كيف ارتضى مالكه أن يستقبل زبائنه من الإنجليز الذين يحتلون وطنه

سخر من نفسه ومن طريقة تفكيره،كيف يستنكر استقبال الرجل للإنجليز ولا يستنكر

أن المكان بالأساس ملهى ليلي مجهز لشرب الخمر والنساء الخليعة وفعل المحرمات ولولا أنه يوقع بجنود الاحتلال واستدراجهم من هذا المكان لما وطئته قدميه أبدا، لقد كوّن هو وصلاح مجموعة صغيرة من الرجال تعمل على مقاومة الاحتلال عن طريق قتل بعض الجنود الإنجليز هنا وهناك،كان يعمل وحده أحيانا عندما يستفزه أحد الجنود وكانوا يعملون معا إذا كان المستهدف مجموعة كبيرة من الجنود لوى شفتيه وفكر ..

ربما يوما ما سيخططون لتفجير كامب انجليزيكي يريهم من هم المصريين وكيف

أنهم لا يسامحون من يعتدي على أراضيهم أو حتى استهداف أحد الجنرالات في الجيش الانجليزي حتى تكون ضربة قاصمة لهم،كان ينظر للوجوه من حوله السكارى والمترنحين هنا وهناك وكان أكثر

ما يثير دهشته وغضبه معا الفتيات اللاتي يعملن راقصات وفتح زجاجات الخمر للمصريين والأجانب معا كيف تقبل الواحدة منهن أن تجعل جسدها نهبا لهؤلاء! شعر بالاشمئزاز يتصاعد بداخله من هذه الأفعال، إنه يحتقر النساء حقا يحتقرهن جميعا ربما باستثناء أهل بيته .

هز رأسه مستنكرا ثم لفت نظره جلبة يثيرها عسكريانجليزي يتمايل ممسكا إحدى الفتيات من خصرها ويتلفظ بأقوال بذيئة وكيف أنه سيقضي ليلته معها

شعر نديم أنه سيتقيأ من الاشمئزاز خصوصا عندما ضحكت الفتاة المصاحبة للجنديضحكة خليعة ولكن عينيه اتسعتا في اندهاش حقيقي وعدم تصديق عندما التفتت الفتاة وكانت هي نفسها... نادية جارتهم الجديدة.

الفصل الثالث

قم وانهض ولا تنحنِ لامرأة بين النساء..

أمرك فقط بيد الله وليس بيد هذي الحمقاء..

ولا تجعلها تراك تبكي فالدمع ضعف ولو كان افتراء ..

قم ولا تكن مثل الرضيع لا يمل البكاء ،..

إن تركته أمه انكمش وألح عليها النداء ..

وإن جاءته ادّعى أنها الوطن وعليه حق الانتماء ..

فكل امرأة كاذبة فلا تأمن جانب النساء ..

فهذه تسخر منك وهذه تعبث بك وأخرى تسمعك هراء..

وواحدة تفتعل الدمع وأخرى تهتف بالحب وحبها حمق وغباء..

هكذا كل امرأة شقراء هي أم سمراء ..

أينما وجدت تثير فقط الاستياء ..

فأفق يا رجل من غفلتك واعرف من هن النساء ..

العمر الماضي

كان الغضب مسمىً رقيق لما يشعر به نديم ،كان يشعر بمزيج من الغضب والاشمئزاز والاحتقار والغيرة، نعم الغيرة إنه لا يعرفها

ولكنه يغار على جارته التي
تسكن بعيدا عن أهلها وفى ذات الوقت الغيرة على ابنة بلده التي تترك هذا النجس الوقح يلمس جسدها بهذه الطريقة ويعلن بقذارة ما الذي سيفعله معها عندما تكون في أحضانه،تحركت إحدى قدميه رغما عنه ناحيتها أراد أن يصفعها بقوة ليلقنها درسا لا تنساه ولكنه ما لبث أن تراجع وهو ينظر إليها باحتقار لا مثيل له وقرر مغادرة المكان على الفورولكنه تمهل بجانبها ونظر إليها مطولا ثم بصق على الأرض وغادر المكان..
عرفته على الفور فاختلجت عضلة في فكها ثم عضت شفتها السفلى ولمعت عيناها ثم ابتلعت ريقها وضحكت بدلال للجندي المخمور وانصرفت معه.

****

كان الغضب لا زال يسيطر على نديم الذي عاد الى البيت ليجد الكل نيام فدخل إلى حجرته على الفور وبحركة من يده زاد الإضاءة من (اللمبة الجاز) التي تحرص والدته على إشعالها له وخفض إضاءتها حتى يعود من سهرته، ظل يدور في الحجرة ذهابا وإيابا. يشعر كأنه سيشتعل من الغضب مسح شفتيه بكفه وخفض الإضاءة مرة أخرى ثم خرج إلى الشرفة وأشعل سيجارة ونفث دخانها بغضب نقر سور الشرفة بعصبية وهو لا يعلم لماذا هو غاضب بهذا الشكل

ولماذا يهتم بالأساس؟

فلتذهب الجارة الجديدة إلى الجحيم ماذا يهمه؟ أقنع نفسه أنه مهتم للأمر لأنه لا يقبل أن تعيش بجوارهم واحدة مثل تلك وبهذه الأخلاق ماذا سيقول الناس إذا علم أحد بالأمر؟ ربما تلوك ألسنة الناس سيرتهم هم لأنها جارتهم،ربما سيتحدثون عن إخوته البنات إذا ما رأى إحداهن تتحدث معها وهذا ما لن يقبله.

نظر للشارع الخالي من المارة وشعر أنه يزداد عصبية، عقد حاجبيه بشدة ضبط نفسه وهو يشعر بالقلق من أجلها بل وينتظر عودتها أيضا يا إلهي ما هذا الجنون الذي أعانيه؟!

هتف لنفسه وهو يشعر بالتخبط والحيرة تماما في مشاعره..

رغم غضبه الشديد منها فهو قلق عليها ..

ما الذي ألمّ بقلبه كي يشعر بالقلق ناحية فتاة لم يرها إلا لحظات ثم رآها فيما بعد في أسوأ موقف قد يرى فيه الرجل امرأة ،لم لها هذا التأثير؟لقد نسي كيف هي المشاعر ،نسي كيف يحس امرأة أخرى بعد نادية، ضرب سور الشرفة بيده،نادية هه دائما نادية أكل من يحملون الاسم على نفس الشاكلة؟!

ولكن نادية زوجتي السابقة ليست كذلك، دفاع عقله عن زوجته السابقة زاده جنونا وغضبا،أخذ نفسا طويلا وبداخله يصرخ بقوة فلتحترق كلتاهما في الجحيم،ثم دخل وأغلق باب الشرفة بعنف.

****

عادت نادية في وقت متأخر ألقت نظرة سريعة على باب الجيران ثم أكملت الطريق إلى شقتها، اتجهت إلى غرفتها وقامت بتبديل ملابسها ثم جلست على السرير وقامتبتدليك جانبي رأسها وعقدت حاجبيها،لم تنس أبدا تلك النظرة المحتقرة من جارها ، كيف يجرؤ أن ينظر إليها كذلك إنها لا تعرفه حتى، كيف يجرؤ أن يبصق بجوارها وكأنه يعنيها هي وكأنه يتعمد أن يخبرها لولا أننى لا أعرفك لكنت بصقت بوجهك لما تفعلينه ماله وإياها؟

مال للناس جميعا وكيف تدير حياتها، إنهاستموت جوعا لو لم تعمل وهي لم تجد سوى هذا العمل،ربما هناك أكثر من الجوع ما يدفعها للعمل بتلك المهنة ولكن لا شأن لأحد بها لن تسمح لأحد بالتدخل حتى وإن طردتها السيدة اعتدال ستبحث عن مكان آخر يؤويها ولن تترك عملها هذا وليكن ما يكون.

****

عندما استيقظ نديم شعر بالصداع يهاجمه لم يستطع النوم جيدا وصورتها لم
تفارق مخيلته أبدا وخصوصا عينيها يجب أن يعترف أنها تمتلك أجمل عيون زرقاء رآهما يوما ،التقط منشفته لعله يجد في الماء

راحة لجسده المنهك ورأسه الممتلئ بالأفكار.

:"صباح الخير يا نديم"

:"صباح النور يا نينة"

:"ماذا بك تبدو متعب؟"

:"فقط أعاني الصداع اطمئني سيذهب بعد قليل"

أومأت برأسها وهي تهتف :"سلامتك يا ولدي سأعد لك الإفطار"

ابتسم ولم يعقب واستمر بطريقه لولا أن سمع صراخ ابنته سعاد،اتجه إليها على الفور فوجد نادية منحية فوقها ثم استقامت تحملها وتدخلها إلى شقتها

هتف بعصبية شديدة :"ماذا هناك؟؟

واقترب من ابنته التي تنزف من جرح بجبهتها :"ماذا حدث يا سعاد؟"

بالطبع لم تستطع الطفلة إجابته لأنها كانت تبكي بهستيريا.

كانت نادية قد اختفت للحظات ثم عادت حاملة البن لكتم الجرح ومنعه من النزف بغزارة ، سألتها والدة نديم بلهفة:"ماذا حدث يا ابنتي؟"

حاولت أن تبتسم وهيتعالج جرح الصغيرة :"اطمئني الجرح بسيط إن شاء الله كنت أهم بمغادرة شقتي فوجدتها تنزلق على السلم

وتجرح رأسها فحملتها وأدخلتها شقتي أرجو ألا يضايقكم ذلك؟"
قالت ذلك لأنها ترى الغضب في عيون نديم أكثر من اللهفة على ابنته هم نديم أن يقول هذا فعلا ما يضايقني أنا على الأقل،لكن والدته سارعت بالقول:"أكثر الله خيرك يا ابنتي,هداها الله إنها فتاة شقية فما العمل؟"
أومأت نادية برأسها في تفهم وانحنت تقبل رأس الصغيرة التي هدأت قليلا فحملتها جدتها واتجهت ناحية الباب وهي تشكرها ثانية وتبعها نديم ثمتوقف للحظة واستدار إليها فظنت والدته أنه يريد أن يشكرها فأكملت طريقها إلىشقتهم، نظر إليها بتمعن ثم اتجه إليها وهو يخبرها بوضوح:"ابتعدي عن عائلتي مفهوم؟"
ثم غادر مغلقا الباب ورائه بعنف كاد زجاجه لينكسر.
نظرت إلى الباب بدورها ولوت شفتيها :"هه ومن يريد الاقتراب منك؟"
وحدقت بالباب لعدة لحظات أخرى ثم فتحته وغادرته لتبدأ رحلتها اليومية في
البحث عن العمل فعمل النهار للمال الحلال أما عمل الليل فلأسباب أخرى.

****

بلغ غضب نديم ذروته عندما لم تبد نادية هذه أي ردة فعل مرتبك

وبدت واثقة
تماما من نفسها وكأنما رآها وهي تصلي فروضها لا كانت بين أحضان رجل
مخمور،ولا حتى نطقت بكلمة عندما أخبرها بحسم أنها يجب أن تبتعد عن
عائلته وكأن الأمر لا يعنيها أن يراها هو أو غيره في هذا الموقف،لقد عرفته ، يعرف ذلك من نظرة عينيها المتحدية ولكنها لا تهتم وهذا ما يثير جنونه، أنزلت والدته الطفلة أرضا بعد ما هدأت أخيرا وحاولت الاقتراب منه لكنه صاح بها وكأنه يفرغ بها غضبه .
:"إياكِ واللعب مرة أخرى على السلم مفهوم وإلا لن آتِ لك بالأرواح مرة أخرى مفهوم؟"
انفجرت الطفلة بالبكاء واتجه هو إلى حجرته ليبدل ملابسه وصوت أمه يلاحقه
:"إنها طفلة يا نديم"
أغلق الباب خلفه بعنف، ما يثير جنونه حقا أنه مهتم ولا يجد تفسير لذلك لماذا يهتم لماذا؟

****

تعبت قدميها وهى تبحث عن عمل لها بدوام جزئي حتى تستطيع الحصول على قسطا من الراحة لتعمل ليلا في الكازينو،وأخيرا

وجدت عمل.

(مطلوب عاملة نظافة)

لم تتردد أبدأ فهي بحاجة إلى أي عمل تقتات منه ستعمل بورشة حياكة تملكها سيدة أجنبية تبدو لطيفة بعربيتها الركيكة لكن ما يهمها هو العمل وليس لطف السيدة أو فظاظتها.. أخبرتها السيدة أن راتبها قروش معدودة ولكنها من الممكن أن تحصل على بقشيش من زبونات المحل من السيدات فتكون المحصلة بالنهاية مرضية لها ووافقت هي دون تفكير،عندما عادت إلى شقتها لم تمض دقائق معدودة إلا وسمعت طرقات علىالباب فاتجهت إلى الباب لفتحه لتجد أمامها السيدة سعاد والصغيرة تعلو وجههما ابتسامة مشرقة:"أهلا وسهلا ،كيف حالك يا صغيرة؟" وأمسكت ذقن الصغيرة بإصبعيها وبصوت صغير كصاحبته ودون أن تعطي الفرصة لجدتها للرد :"أنا بخير ولكن بابا صاح بوجهي" ابتسمت نادية وهي تتابع حديث الصغيرة فأخبرتها :"إنه خائف عليك انتبهي لخطواتك المرة القادمة"

أومأت برأسها في شقاوة هنا تدخلت الجدة :"كيف حالك يا ابنتي؟" :"الحمد لله بخير،ثم أشارت إلى داخل الشقة"

:"تفضلي يا سيدة...."

ونظرت لها مستفسرة فابتسمت المرأة الأكبر سنا:"اسمي سعاد"

وضمت إليها الصغيرة :"والصغيرة أيضا سعاد"

:"أسعد الله أيامها"

اتسعت ابتسامة المرأة وهي تقول :"أرجو أن تقبلي دعوتي لتناول الغداء معنا وبذات الوقت نتعرف إليك"

كانت الست سعاد تتحدث بلهجة ودودة للغاية فشعرت نادية بالإحراج وحاولت الرفض بأدب لكن الست سعاد أخبرتها :"لقد فكرت بزيارتك أنا والبنات لكني تراجعت فليس من المعقول أن تجدي أربعة من ....."

قاطعتها الصغيرة :"وأنا؟"

ضحكت المرأة:"أقصد خمسة يطرقون بابك طلبا للزيارة وقلت أنك لن ترفضي طلبي"

حاولت الرفض بشتى الطرق ولكن ذلك لم يثنِ سعاد أبدا عن الإلحاح فوافقت

أخيرا،لم تكن تريد أبدا أن يجمعها مكان واحد بذلك المتغطرس المغرور،إنها حتى لا تعرف اسمه.

****

عاد نديم من الاستديو ليجد نفسه أمامها وجها لوجه على ما يبدو أن والدته هي من دعاها،شعر بالغضب يغزو قلبه وهم بأن يطردها ولكن بأي حجة؟

وماذا سيخبر والدته؟! أنه رآها بصحبة عسكريانجليزي،وما الذي ذهب به

إلى مثل تلك الأماكن وهو يملك أخوات ألا يخاف عليهن؟أفكار كثيرة راودته قبل أن يقرر أخيرا أن يتجاهلها في الفترة القصيرة التي ستظل فيه لديهم وعندما تنصرف سيبحث عن حيلة تجعل والدته لا تستقبلها ثانية في البيت وتبعدها عن الاختلاط بالبنات تخللت بعض الأحاديث الغداء وفضول من البنات لمعرفة الجارة الجديدة،خصوصا من رقية التي لم تصمت أبدا وكانت تسألها عن كل شيء بدءا من اسمها وسنها حتى ماذا تعمل كي تكسب قوتها؟

:"أعمل ممرضة"

سعل نديم بقوة فناولته زينب الماء وهو يحدق بنادية التي بدت غير مهتمة على الإطلاق أنه سعل غير مصدق لكذبتها فسألها بسخرية لم يلحظها سواها :"تعملين ممرضة؟ومن هم مرضاكِ مصريين أم أجانب؟"

أدركت الإهانة المبطنة في سؤاله لكنها أجابت :"حقا لا أهتم بجنسية من أعالجه"

يا للفاجرة شعر أنها إذا تفوهت بكلمة أخرى أنه سيقذفها بكوب الماء أمامه بالطبع لديها كل الحق ألا تهتم أي الرجال تجعله يلمسها فهي ....لم يستطع حتى نطق الكلمة لنفسه،استغفر الله العظيم.

سألتها والدته :"أين عائلتك يا ابنتي؟لا يصح أن تعيشي بمفردك هكذا أنت صغيرة وجميلة"

صمتت قليلا لتفكر بكذبة ما ثم نطقت أخيرا :"أبي توفاه الله وأنا لازلت صغيرة وتزوجت أمي والحقيقة يا ست سعاد لن يلحق بي أحد فأنا فررت من زوج أمي ومعاملته القاسية ليوأميالتي لا تهتم ولكني لم أخبر السيدة اعتدال كي توافق أن أسكن شقتها"

تفهمت الأم حديثها وقالت مشفقة :"لا تهتمي يا ابنتي وأنا لن أخبر أحدا وكذلك البنات أليس كذلك؟"

همهمت زينب ورقية بالموافقة لحفظ السر أما عزيزة فاكتفت بإيماءة صغيرة

صامتة وهذا ما لفت نظر نادية إليها،ربما يصبحان صديقتين ذات يوم فعلى ما يبدو عزيزة تحب الصمت مثلها تماما.

هز نديم رأسه باشمئزاز وسألها :"ولماذا يعاملك زوج أمك بقسوة؟ربما تفعلين ما يضايقه؟أو يسيء إليه"

للمرة الثانية كان بكلامه إهانة مبطنة لها ، كان يشير أنها تسيء إلى سمعة زوج أمها بأفعالها المشينة .

أخذت نفسا طولا وهى تنظر له بهدوء وتهز كتفيها بلا مبالاة :"ربما أنت محق ولكني لم أعد أحتمل العيش معه تحت سقف واحد".

من المفترض أن يقتلك لا أن يعاملك بقسوة، كاد نديم أن يقول لها ذلك ولكنه تراجع في آخر لحظة واستأذن لأنه يشعر بالشبع، لم يأكل كثيرا وكذلكفعلت هي لا تريد أن تعتاد الترف والطعام الكثير،يكفيها أن تجد ما تقتات به وإن قل .

حاولت أن تغادر ولكن السيدة سعاد أقسمت ألا تفعل إلا عندما تشرب معهم الشاي وأنها هي من ستعده بنفسها بينما البنات يقدمون لها الفاكهة واقتادتها إلى الشرفة الكبيرة نسبيا لتجد نديم يدخنسيجارة وينفثها بغضب ازداد عندما وجدها إلى جواره تقتحم عليه راحته واستمتاعه بسيجارته.

حرك قدمه في عصبية ونظر إلى الداخل فوجد الجميع توجه إلى المطبخ فمال بجزعه ناحيتها وهي تجلس في المقعد

المقابل:"اسمعي أنا لا أريدك هنا ولو للحظة إضافية وابتعديعن عائلتي مفهوم؟"

لوت شفتيها بسخرية تجمدت عندما أكمل جملته :"لا تدنسيبيتي بوجود أمثالك هنا وصدقينيإن لم تفعلي سأحرص أن

أفضحك أمام الجميع وأخبرهم أين رأيتك وماذا كنتِ تفعلين وقتها"،

ثم هز رأسه ساخرا :"هه يا إلهي لم يعد ينقصني سوى أنت وكأنه ينقصني أيضا الراقصات وبائعات الهوى".

الفصل الرابع

خرجت والدة نديم بصحبة الفتيات وكل منهم تحمل شيئا لضيافة نادية لكنها عقدت حاجبيها عندما لم تجد الأخيرة فسألت نديم الذي بدا غير مهتم أومبالي لطرده نادية بهذه الطريقة المهينة هز كتفيه بلا مبالاة:"لقد نهضت فجأة وقالت أنها تذكرت شيئا مهم يجب أن تفعله وطلبت مني الاعتذار عنها لك والبنات"

هزت والدته كتفيها بدورها :"الله أعلم بأحوال الناس"

ثم ابتسمت وهي تحدق به :"ولكنها تبدو طيبة؟ أليس كذلك؟ وجميلة أيضا؟"

نظر إلى أمه التي لم تكف لحظة عن محاولات تزويجه منذ أن انفصل عن زوجته من بنات الأقارب وغيرهن حتى أنها أوصت الخاطبة أن تبحث له عن العروس المناسبة,لم تلجأ للخاطبة إلا بعدما باءت كل محاولاتها بالفشل في أن تزوجه مرة أخرى حتى أنها ذات مرة أخبرته صراحة أن زينب تحبه ولكنه أخبرها بهدوء وبمنتهى الحسم أن زينب لا تختلف بالنسبة له عن رقية وعزيزة والأجدر بها أن تبحث عن عرسان لأخواته البنات وليس هو ولدها الأكبر حدق بأمه للحظات وبدت متلهفة لجوابه عن نادية الجارة الجديدة ثم

قال:"لا تجعلي المظاهر تخدعك يا أمي"
عقدت حاجبيها بشدة كانت والدته ذكية وتعرف دائما اذا كان هناك خطبا ما :"ماذا هناك يا نديم ما بها نادية؟"
مط شفتيه وللحظة قرر أن يخبرها بما يعرف لكنه تراجع ولا يعرف لماذا واكتفى بقوله :"ما قصدته أننا لم نعرفها بعد يا أمي فلا تستعجلي بالأحكام"
نظرت له مطولا قبل أن تجيبه :"أنت محق يا نديم ولكن هذا شعوري عندما رأيتها وأنت تعرف إحساسي لا يخيب"

وقعت هذه الكلمات في قلبه وليس أذنيه لقد أخبرته من قبل أن زوجته السابقة لا تناسبه وأنها ستكون إن لم يكن اليوم فغدا ستكون سببا فيإيلامه،وقد كان شعور والدته صادقا وآلمته زوجته كثيرا وأثر هذا الألم لازال محفورا هناك بقلبه،عقد حاجبيه بقوةترى أيصدق شعور والدته هذه المرة أيضا والجارة الشابة طيبة فعلا كما تقول أمه أم أنها شيطانة تلبست ثوب البشرفكانت فتاة جميلة تبدو عليها البراءة والطهر إنما هي تخفي حقيقتها المغوية المفتنة في الواقع،عقد حاجبيه بقوة فهو لن ينسى أبدا عندما طردها بتلك الطريقة وعندما همت بالمغادرة استدارت إليه مرة أخرى قائلة وقد ضاقت عيناها بنظرة محتقرة كتلك التي ينظر بها إليها :"تخاف على

إخوتك مني أليس كذلك؟بلى يجب عليك ذلك ولكن أليس من الأحرى أن تخاف عليهن ممن يرتاد البارات مثلك أيها السيد الشريف أم أنك كنت تعد حبات مسبحتك هناك؟"

هم بأن يرد ولكنها لم تمهله للحظة وهي تبتسم بسخرية :"من الغريب أنني رأيتك أيضا فالأحرى بك نصح نفسك أولا وابحث جيدا ربما تجد إحدى أختيك تعمل بمكان ما مثلي وأنت لا تدري"

وصل غضبه ذروته وهي تتهمه بالغفلة عما يدور داخل بيته كما أنها تتهم أختيه أيضا فأمسكها من ذراعها بقسوة وهو يقول لها من بين أسنانه :"حذار أن تتحدثي عن أي منهن بشيء، لسن مثلك بكل تأكيد"

لمعت عيناها كهرة وهي تنزع ذراعها بعنف ثم لوت شفتيها بسخرية :"اممم بالطبع .....يا نديم أفندي"

قالت نادية ما قالت فقط لتغيظ به نديم الذي عاملها بكل فظاظة واحتقار ولكنها في ذات الوقت شعرت بالراحة أن نديم طردها من حياتهم سريعا ربما كان هذا درسا ويجب أن تشعر بالامتنان نحوه لأنه أعادها حيث بدأت وحيث أرادت أن تكون حياتها فهي لا تريد علاقات مع أحد ولا حتى علاقة الجيرة التي بدأت بالنمو عندما دعتها السيدة سعاد لتناول الطعام معهم

هي اختارت الوحدة والوحدة اختارتها،حبس انفرادي لكنها تملك

الخروج منه إلى الدنيا ولكن وحدها،لا تصادقأحد لا يتعلق قلبها بأحد وهذا المطلوب.

****

""هل سمعت عما حدث؟"

هتف صلاح بعدما ألقى التحية على نديم :"ماذا حدث؟الإنجليز خرجوا من مصر؟"

أجابه صلاح بمرارة :"أنت تمزح بالطبع إنهم لن يخرجوا منها أبدا"

نهره نديم :"لا تقل ذلك سيخرجون إن شاء الله إلى غير رجعة،لكن لا تدعنا نخرج عن الموضوع ماذا حدث؟"

خفض صلاح صوته :"وجدوا جندي انجليزي مقتول بطعنة نافذة في القلب"

:"إلى الجحيم إن شاء الله وماذا يعنينا بخبر مثل ذلك؟"

ذم صلاح شفتيه :"أقول لك بطعنة نافذة ألا يذكرك ذلك بشيء؟"

بدا على نديم الحيرة فوفرها عليه صلاح :"إنها نفس طريقتك فارسنا الهمام في الصيد"

هز نديم كتفيه :"ربما قتل لأي سبب سرقة مثلا ثم لست أنا من اكتشف القتل بالسكين يا صديقي اللدود"

رفع صلاح حاجبيه :"ربما ولكني أشعر بشيء مختلف صدقني يا نديم هذا لا يكذب أبدا"

،وأشار إلى قلبه.

هز نديم رأسه :"الله أعلم "

ثم أخرج ساعته التي تنتهي بسلسلة من جيبه :"الساعة الثالثة الآن هيا بنا،لو تأخرنا أكثر من ذلك ربما جاءت أمي بنفسها كي تصطحبنا للبيت وأنت تعرفها عندما تصمم على شيء ما"

تظاهر صلاح أنه يبتلع ريقه بخوف :"بالطبع أعرفها وخصوصا عندما يتأخر أحدهم عن دعوتها على الغداء"

:"سعد اعتني بالمحل حتى أعود إن شاء الله"

طلب من مساعده الاعتناء بالاستديو حتى يعود إليه مرة أخرى لمباشرة عمله.

****

جلس الجميع حول المائدة وبدأ صلاح في مشاغبة أم نديم :"من طهى هذا الطعام؟"

أجابته مبتسمة :"عزيزة وساعدتها زينب"

لمعت عيناه عند ذكر اسمها وتطلع إليها للحظات أربكتها كالعادة و زادتها صمتا إلى صمتها الذي اعتاده الجميع وارتاح الجميع إلى

القول أن هذهطبيعتها ولكن لم تكن تلك هي طبيعة عزيزة لقد امتلأ قلبها بالكلام حد الصراخ ولكنها تؤثر الصمت لما تجد فيه من راحة .

ابتسم صلاح معقبا :"لا استطيع النقد إن كان الأمر كذلك أما اذا كنت يا خالة من طهى هذا الطعام فلي الحق في مراجعة نفسي قبل تناوله

ضحك الجميع وضاقت عينا أم نديم بمرح وأشارت لنفسها بفخر :"ومن علمهما الطهو يا ولد؟ أو ليست أنا ،إن كان لا يعجبك الطعام من يدي فأنت تعرض نفسك للحرمان من هذه البامية الشهية"

وهمت بالفعل برفع الطبق من أمامه وبدأ هو في التوسل بشكل مضحك والجميع مستمتعون بالمشهد.

****

في نفس اللحظة التي كانت فيها نادية تهم بفتح باب شقتها لقد عادت من عملها الصباحي، سمعت الضحكات فتوقفت لتحدق قليلا في الباب المقابل لشقتها وشعرت برعشة خفيفة في شفتها السفلى فزجرت نفسها بعنف أن تكون بمثل هذا الضعف تجاه مشاعر افتقادها للعائلة ودخلت الى شقتها وأغلقت الباب بحرص من لا يريد إثارة أي ضجة.

****

جلس صلاح ونديم في الشرفة لاحتساء الشاي كالعادة بعد هذه الأكلة الدسمة ،بدأه صلاح بالحديث :"سمعت أن جارة جديدة سكنت الشقة المقابلة؟"

كان هذا سؤالا أكثر منه تقريرا لما سمعه .

توقفت يد نديم الممسكة بكوب الشاي وابتسم بخفة :"ومن أين سمعت يا صلاح أخبرني هل تتلصص علي؟"

ضحك صلاح وأجابه بطريقة تمثيلية :"أنا؟معاذ الله هل نسيت أنني أيضا جاركم وبيتي لا يبعد عنكم كثيرا"

:"امممم نعم يا صديقي هناك جارة جديدة ،هل هناك أسئلة أخرى؟"

ابتسم صلاح بخبث :"سمعت أيضا أنها جميلة خصوصا بشعرها بني اللون وعينيها الزرقاوين"

شعر نديم بنبض مختلف يطرق قلبه عندما سمع تغزل صلاح فى نادية إنه ومهما حاول الإنكار قد شعر بالضيق :"لم تجبني يا نديم؟"

أفاق نديم من شروده :"عما تريدني أن أجيبك؟"

:"هي جميلة أليس كذلك؟"

شعر نديم بالعصبية تتسلل إلى صوته وهو يجيبه :"وما شأني أنا جميلة أم قبيحة إنها لا تعنينيفي شيء"

:"على رسلك يا رجل أنا لم أقل أنها تعنيك في شيء أنا أسأل

فحسب"

وبنفس العصبية أجابه نديم :"نعم جميلة لكن هل تعرف شيئا،إنها جميلة كتفاحة تبدو طازجة لكنها من الداخل تحمل دودة تعمل على جعلها عفنة شيئا فشيء"

عقد صلاح حاجبيه على هذا التشبيه :"نديم،ماذا هناك؟إذا كانت لا تعنيك حقا فلماذا تتحدث عنها بتلك الطريقة؟"

بلغت العصبية مبلغها من نديم الذي حاول خفض صوته :"أنا لا أعرفها ولا يشرفني هل تعرف ما هي مهنة الجارة الجديدة؟"

نظر صلاح باستفهام فاستدرك مكملا:"إنها راقصة ياصلاح ،هل تدرك ماذا يعنى ذلك؟ثم ليس هذا فحسب ولكنها راقصة تبيع جسدها للإنجليز"

اتسعت عينا صلاح وهو يهتف باستنكار :"ماذا؟يا إلهي هذا ما كان ينقصنا ***** تسكن بالجوار"

على الرغم أن نديم قال نفس المعنى إلا أنه شعر بانقباضة تعتصر قلبه عندما سمعها من فم صلاح هكذا ونعته اياها بذلك اللقب المخزي،هل أخطأ عندما أخبره؟!

****

رغم صوت نديم الذي حرص أن يكون منخفضا كي لا تسمعه والدته وأخواته إلا إنه كان عاليا بشكل كاف كي تسمعه نادية وهى تهم

بإغلاق باب شرفتها كي تنام قليلا قبل حلول الليل،شعرت بالصدمة لأنها مثار أحاديثهم فلوت شفتيها بابتسامة متألمة داخلها يهتف بقوة :"ليقل ما يشاء وليظن ما يريد"

عقلها خص نديم بالحديث دون أن تدرك ذلك ودون أن تفكر للحظة بالصوت الرجولي الآخر الذي نعتها لتوه بالعهر،أخذت نفسا طويلا كي تحاول السيطرة على سيل الأفكار التي وردت على ذهنها ثم أغلقت باب الشرفةفتنبه نديم أن التصاق الشرفتين وقربهما بهذا الشكل أنها ربما سمعتهما وهما يتحدثان عنها وللحظة شعر بالذنب حتى ولو كان رآها بنفسه فأعراض الناس لا تصلح أن تكون علكة بأفواههم يلوكنها كيفما شاءوا

ومع من شاءوا ،فزفر بضيق شديد ولوح بكفه لصلاح أن يغير موضوع الحديث، مط الأخير شفتيه وأومأ برأسه موافقا،وتغير مجرى الحديث مرة أخرى،لكن الحديث بقلب نادية لم ينتهِ،حاولت نسيان ما قيل للتو لكنها لم تستطع..

ظل حديثه عنها يعاد المرة تلو الأخرى حتى بدأت عينيها تثقل بالنعاس لكن سرعان ما هاجمتها الكوابيس من كل جانب،وجدت نفسهاوحيدة بوسط حقل ثم تبدل الحقل فجأة إلى بركان غاضب تحاصرها حممه وثورته.

رأت نفسها في بركة من الدماء تقاوم الغرق ،فاستيقظت وهي

تتنفس بصعوبة وأخذت تردد:"أستغفر الله العظيم،أستغفر الله العظيم،أعوذ بالله من الشيطان الرجيم".

تحسست جبهتها الغارقة في العرق وزفرت وهي تدعو الله أن يخلصها من ورد العذاب اليومي فهي لا يمر عليها يوم دون أن ترى الكوابيس وتهاجمها بشراسة ، تتركها بالأخير منهكة القوى مختنقة الأنفاس كأنها تحدث في الحقيقة.

****

:"لقد قتل جندي آخر وبنفس الطريقة"

هتف صلاح بذلك بعدما ألقى التحية على نديم.

رفع نديم حاجبيه وبدا مندهشا :"حقا؟"

ثم ما لبث أن ابتسم وقال :"واليوم أيضا سيكون هناك قتيل آخر"

عقد صلاح حاجبيه :"ستصطاد الليلة؟ ولكن هذا يقلقني يا نديم"

هز كتفيه :"ولماذا يقلقك الأمر إلى الجحيم جميعهم إن شاء الله"

نفى صلاح بإصبعه :"في الدرك الأسفل أيضا ولكن ما يقلقني أن الدوريات الأمنية ستزيد وربما يزيد حرص العساكر الانجليز أيضا وهذا يؤثر علينا نحن فنحن نعمل كل فترة وتكرار تلك الحوادث....."

ثم قطع حديثه وهو ينظر إلى نديم الذي فهم ما يقصده.

حدق نديم به للحظات :"هل تخاف أن يتم القبض علينا؟"

هز صلاح رأسه مستنكرا :"بالطبع لا ،انا فقط لا أريد أن يتم القبض علينا كي نستمر بعملنا، المقاومة يا نديم فينظري أعظم ربما من الحرية نفسها،أن تشعر أنك حي، أن تؤرق جلاديك ليس بصراخك لكن بمحاولة فك قيودك رغم أنها محكمة هل تفهم ما أعنيه يا نديم؟"

ابتسم الأخير وهو يجيبه :"ومن غيري يفعل يا صديق ،هل أخبرك بسر؟"

هتف صلاح بحماس وهو يضرب بقبضته صدره""في بئر يا صديقي"

:"أحيانا أفكر عندما يخرج الإنجليز من مصر إلى غير رجعة إن شاء الله،

أشعر أنني سأفتقد وجودهم،أشعر أنني سأصبح عاطلا عن العمل عندما أكف

عن مقاومتهم"

اتسعت ابتسامة صلاح وهو يشير بإبهامه :"أحسنت يا آخر الفرسان هذا ما أقصده تماما دائما تفهمني وتصيب الهدف تماما، حسنا دعنا من تلك الرومانسية التي ستفسدنا ماذا سنفعل اليوم؟"

هز نديم كتفيه :"لا شيء جديد نفس الخطة المتبعة"

كانت خطتهم بسيطة تعتمد على تنكر نديم فعمله كمصور أتاح له التعرف
على أنماط مختلفة من الناس وملابسهم وأشكالهم لذلك هو بارع في التنكر ، وبعدما ينتهي نديم من تنكره يبدأ في استدراج
الهدف(عسكري انجليزي ثمل ولا تحركه إلا الشهوة)وهنا يأتي دور نديم يخبره أن بصحبته فتاة رائعة الجمال فيسيل لعابه وتثار شهوته ويخبره أنها ستلحق بهما،عندها يأتي دور صلاح الذييعمل على تأمين وحماية ظهر نديم إذا حدث شيء غير متوقع.

أما المرات القليلة التي فكروا فيها باستهداف عدد أكبر من الجنود كانا يجتمعان هما وعدة رجال آخرون للاتفاق على كيفية تنفيذ الأمر ولكن ذلك لا يحدث كثيرا لأنهم لا يملكون السلاح والإمكانيات اللازمة لذلك ولكنهما يلتقون بالمجموعة من آن لأخركي يطبعوا منشورات مناهضة للاحتلال يتم توزيعها سرا وبشكل منظم كي لا يتم القبض على أحدهم.

****

ربت حمزة على جيبه الداخلي ليتأكد من وجود سكينه ثم اعتدل في جلسته وهو يحدق بوجوه من حوله ، كانت تشمئز نفسه من الراقصات والخمور وغيرها لكنه يجب أن يعترف أن هذا مكانا جيد

لئلا يكون مثيرا للشبهات أو الشك من حوله ، ضاقت عيناه فجأة وهو يحدق بقوة ناحية العسكريالإنجليزي المترنح بقوة والذي يضحك بابتذال وهو لا يكاد يقوى على الوقوف على قدميه وبصحبته رجل أشيب الرأس يبدو من ملامحه أنه مصري الجنسية، نقر نقرات خفيفة على المنضدة أمامه وكانت هذه إشارة لنفسه أن هذا هو الهدف المنشود،فبنيته الضعيفة لا تتيح له اختيار الأجساد الضخمة التي قد تقاومه حتى وإن كانت مخمورة ومترنحة،قرر أن يقاوم الإنجليز فهو لا يكره في حياته مثلهم ولا يبغض قدر خطواتهم المترنحة

ورائحة أفواهم المتعفنة من احتساء الخمر..عندما ترك الست فاطمة حمد الله أنه لم يطل بحثه عن مسكن وعمل وحمد الله أيضا أنه يرزق من عمله ما يكفيه،عقد حاجبيه عندما رأى العسكري يغادر المكان وبصحبته الرجل الأشيب الشعر فنهض على الفور ومال على أذن إحدى الفتيات بالمكان أنتقوم بتعطيل الرجل الأكبر سنا بأي طريقة ووضع بكفها بضعة قروش هي كل ما يملكه ولكنها لا تساوى شيئا أمام صيده الجديد ،تحرك هو نحو الخارج ، وكذلك تحركت الفتاة وقبل أن يخرجا من المكان أرغمت الرجل الكهل على التوقف الذي لم يكن سوى نديم متنكرا،وتمايلت بغنج ودلال،حاول أنيصدها بشتى الطرق لكنه لم يفلح وظن الجندي أنها الفتاة المطلوبة وتملكته نخوة

مزيفة وبدأ في الزمجرة أنها فتاته، خاف نديم أن يلفت الانتباه فقال للجندي أن يسبقه إلى مكان مجاور حتى ينتهي من تلك الفتاة التي شعر أنهسيضربها إن لم تبتعد عنه، فأقنعه على المغادرة بعد أن أخبره أنها ليستالفتاة المقصودة ،في نفس اللحظة التي كان يراقب فيها حمزة صيده كان بعيونه المتسعة أشبه بفهد يحدد فريسته ولا يتنازل عنها أبدا إلا في أحلك الظروف، سار وراءه ليتبعه ولمعت عيناه عندما وجده يتجه لشارع مظلم قليلا وأخذ نفسا طويلا وطلب العون من الله وتبعه إلى الشارع ووضع يده بجيبه الداخلي واستل سكينه، في نفس اللحظة التي استطاع فيها نديم الفكاك من الفتاة ليلحق بالرجل ،واندهش صلاح من الموقف فعقد حاجبيه:"من هذا الذي يتبع العسكري الإنجليزي بخفه ، هل غير نديم من هيئته دون أن يخبره؟"

،اتسعت عيناه بقلق:"هذا ليس نديم،نديم أطول كثيرا"
تأكد من ذلك عندما رأى نديم يسير مهرولا متنكرا بصورة الرجل الكهل فتخلى فورا عن مكانه واتجه ناحيته الأمر الذي أقلق نديم هتف الأخير :"ماذا هناك؟"
:"هناك آخر تبع الانجليزي إلى داخل الشارع"
:"ماذا؟هيا بنا"

أمسك صلاح مرفقه :"ماذا؟سنتخلى عن الأمر؟"

هز نديم رأسه نفيا :"بالطبع لا ربما هذا الآخر هو من يقتل في الآونة الأخيرة وأنا أريد معرفته"

انطلقا حيث حمزة والجندي، فاتسعت عيناهما فحمزة كان مشرفا على جثة الرجل ويخرج سكينته من صدره :"أنت؟؟"

هتف نديم بقوة ، كان فضوله سيقتله ليعرف من هذا الرجل المجهول

اتسعت عينا حمزة ولكنه لم يترك الفرصة لنفسه للخوف فأطلق ساقيه للريح

ووراءه صلاح ونديم واستطاعا أن يحاصراه وأمسكه نديم من يده وصاح به :"من أنت؟"

لم يمهله حمزة وسدد إليه ضربة في ساقه فانحنى متألما وأطلق لساقيه الريح مرة أخرى دون أن يستطيع أحدهما الإمساك به

ثانية:"هل أنت بخير؟"

هتف نديم بحنق :"نعم ،ابن الـ..... أفلت منى لكني رأيت وجهه جيدا وحتما سأعرفه"

الملاك الأسود

روائع الروايات الرومانسية

رضا الدسوقي

الفصل الخامس

فتح نديم نافذة حجرته ثم أشعل سيجارته ونفث دخانها وهو يعقد حاجبيه بشدة

ترى من هذا الفتى الذي رآه يقتل الانجليزي، شكله يوحى بصغر سنه، وذعر

عينيه عندما فاجأه هو وصلاح يؤكد أنه قليل الخبرة أو ربما لم يفعلها من قبل، أو ربما كان ذعره لظنه أنهما هناك للقبض عليه،نعم ربما لو فعلا لعرفا على الأقل من هو،لكن على الرغم من شعوره بالحنق تجاه الفتى أولا لأنه أضاع صيده وفاز هو به وثانيا لأنه ضربه بقوة في ساقه مخلفا ورائه كدمة توجعه حتى الآن إلا إنه ابتسم لأنه وبرغم حنقه فإنه يشعر بالفخر تجاهه نعم فشباب مصر دائما فخر لها ولكن ترى هل هذا الشاب كان وحده أم أن هناك آخرون أحدهم يؤمن ظهره كصلاح مثلا؟

أخذ نفسا طويلا وقرر أن يذهب إلى المكان يوميا ربما صادفه وجود الفتى مرة أخرى ووقتها لن يفلت منه أبدا مهما حدث إن شاء الله .

انتقل تفكيره بلا وعي منه إلى نادية التي بكل تأكيد سمعت حواره

مع صلاح

لا يعلم لماذا لكن بداخله شعور قوي أن نادية هذه ليست كما تبدو له لم يرها عندما كان في الملهى ربما كانت قد غادرت المكان فكر للحظات إن كان يغضبه إلى هذا الحد رؤيتها في الملهى فلماذا لم يغيرهإلى آخر وهناك أيضا سيجد الإنجليز فهم في كل مكان أينما ذهب،وفىالوقت ذاته لا يراها لأنه وبرؤيتها تتملكه العصبية والغضب، لأن هذا الملهى بعيد قليلا عن لعمران وفى هذا غطاء جيد له ولعملياته ضد الإنجليز.

ساق لنفسه هذه الحجة الواهية التي ما لبثت أن انهارت لأن نفسهأعلنت له وبوضوح لا يقبل الإنكار أن بعض منه ذهب إلى نفس الملهى الذيتعمل به ليراها رغم أنه يشعر تجاهها بالغضب حتى إن اسمها يحمل لهمرارة ذكرياته مع زوجته الأولى ويحملها ذنب احتقاره للنساء فقط لأن اسمها كاسم زوجته الأولى.

****

شكر حمزة الله سبحانه وتعالى كثيرا أنه استطاع بفضله الإفلات من الرجل الكهل وزميله قبل أن يتمكنا من القبض عليه أغلب الظن أنهما من رجال الشرطة لابد أن يكف حاليا عن التردد على هذا المكان مؤقتا حتى يهدأ الحالف بالتأكيد المكان مراقب نظرا لتكرر

حوادث استهداف الإنجليز، سيحاول أخذ حذره في المرات القادمة أو على الأقل سيحاول التخفيكي لا يكون وجهه مألوفا ومعروفا بالمكان .

وضع سكينه بالمطبخ بعد أن شحذه جيدا، استعماله لهذا النوع من السكاكينكي لا يثير الشك من حوله إذا رآه أحدفي يوم من الأيام يحمل مثل هذاالسكين أو يحتفظ به في بيته،صحيح أنه لا يعرف أحد ولا يفكر أن يحظى بالأصدقاء لكن الحرص واجب ،أخذ نفسا طويلا ومط شفتيه عندما تذكر فجأةأن شهر رمضان الكريم لم يبق عليه الكثير ولابد أن يكف عن ملاحقةالإنجليز خلاله لا لأنهم لا يستحقوا القتل وإنما لا يريد لقدسية الشهر أنتدنسه الدماء.

****

:"تأني قليلا في خطواتك لا أحد يلاحقك"

ابتسمت رقية ردا على هتاف أمها المعتاد كلما همت بفتح الباب لأحدهم هذا لأنها تجري مسرعة لتفتح أولا لتغيظ بفعلتها تلك سعاد الصغيرة التي تدب الأرض غضبا بقدميها الصغيرتين كلما نجحت عمتها في فتح الباب قبلها ولكن ابتسامتها تلك تجمدت وحل محلها ارتباك شديد كسا وجهها بحمرة الخجل وكذلك ارتبك الشاب الواقف قبالتها ولكنه حاول التماسك وتنحنح قليلا، قبل أن يقول:"تفضلي هذا من نديم أفندي"

ظلت تحدق به متجاهلة يده الممدودة بالأكياس وكذلك هو كان يحدق بهابعينيه العسليتين:"من يا رقية؟"

أفاقت على صوت والدتها وهي تسألها عن الطارق فأجابت بارتباك:"إ...إنه سعد يا أمي أقصد سعد الخوجة (مدرس) مساعد نديم في الاستديو"

كان سعد شابا لم يبلغ العشرين من عمره التحق بمدرسة المعلمين (كلية تربية)

لشغفه بالتعليم لكن ضيق حاله فرض عليه البحث عن عمل كييخفف الحمل عن والده وبحث كثيرا عن عمل يناسب ظروفه وأخيرا وجدالعمل عند نديم في الاستديو (مناسبا ومحددا بوقت)كي يستطيع الانتباهلدروسه جيدا ويكمل تعليمه ونديم هو من أطلق عليه هذا الاسم (سعدالخوجة)

خرجت والدتها من المطبخ مبتسمة:"سعد!تفضل يا بني البيت بيتك،تفضل يا ولدي لا تخجل كعادتك".

كانت كلمتها تلك كفيلة أن تخجله أكثر فتراجع بعدما ناول رقية الأكياسواستأذن معتذرا وفر هاربا إن صح التعبير.

أغلقت رقية الباب وهى حالمة لأنها تشعر بالإعجاب ناحيته ولكنها بالطبع لا

تستطيع التصريح بذلك لعدة أسباب أولها أن حيائها كفتاة يمنع

عليها أن تقول

أن هناك رجلا يعجبها وثانيا لا أحد سيوافق على تزويجها قبل عزيزة أختها

الكبرى رغم أنها في الرابعة عشر من عمرها وفتيات كثيرات من سنها وأصغر قد تزوجن وهى تشعر أنها كبرت بالفعل وأيضا لأن نديم صرح بعد موت والده أنه سيمنحها الفرصة في إكمال تعليمها لذلك هو يعدها حتى الآن صغيرة ولم تكبر بعد.

****

هبط سعد السلالم مسرعا يلهث من الانفعال فرؤيته لرقية زادت من نبضات قلبه بشكل جنوني لقد كبرت كثيرا عن آخر مرة رآها فيها كم يحبها منذ أول مرة رآها فيها عندما وافق نديم أن يعمل معه تعلق قلبه بها دون أن يدرى وتسللت إليه عيناها حتى تمكنت منه تماما،تكمل تعليمها هكذا يريدها أخوها لكن هو لا يرى فيها سوى زوجته المستقبلية وأم أولاده حتى ولو كان سنها أصغر من ذلك فرأيه لن يتغير سيتحين الفرصة للتقدم للزواج منها.

****

أنهت عزيزة ما أسندته إليها أمها من أعمال واتجهت إلى حجرتها وما إن أغلقت الباب حتى تنفست بارتياح وكأنه أزيل عن كاهلها حمل ثقيل، كانت لا تشعر بالتعب من أعمال المنزل فوالدتها توزع

أعمال المنزل عليها وعلى زينب بالتساوي لأن رقية تدرس الآن ولا ينالها إلا القليل من أعمال المنزل وزينب متقبلة لذلك تماما خصوصا عندما يتعلق العمل بترتيب غرفة نديم، ابتسمت عزيزة وهى تذكر حماس زينب لفعل أي شيء يتعلق بنديم رغم أنها تعرف جيدا أنه لا يحبها إن لأخيها عيون مختلفة حين يحب وهي لا ترى زينب بعينيه .

شعرت بدمعة تخز عينيها وانتابها إحساس بالحزن فاليوم فاجأتهم إحدى القريبات بالزيارة وما لبثت أن بدأت بإطلاق الأسئلة التي لا طائل منها:"ألم تتم خطبتك بعد يا عزيزة؟"

ابتلعت ريقها وأطرقت برأسها:"لا لم يحدث و....."

تدخلت أمها:"كل شيء نصيب يا توحيدة ثم إن عزيزة لم تكبر للدرجة التي"....

قاطعتها المرأة بفظاظة لمضايقتها وأمها:"من التي لم تكبر يا سعاد؟ ابنتك أوشكت أن يفوتها قطار الزواج..... "

كل ذلك على مرأى ومسمع من عزيزة التي شعرت بالدموع تملأعيونها ولكنها حاولت التماسك ولكنها لم تعد تحتمل عندما قالت المرأة بشكل متعمدلمضايقتها وأمها:"لقد تزوج خطيبها السابق وزوجته على وشك أن ترزق بمولود أيضا"

فتركت أمها مع المرأة اللحوحة وذهبت إلى حجرتها ونظرات أمها

المتحسرة

تلاحقها.

لماذا يظنون أن البداية رجل والنهاية أيضا رجل؟! لقد ملت تدخل الناس

بحياتها على هذا النحو وكأنها فاقدة الأهلية ليس لها دور أو رأى بما يدور بحياتها.

****

سعلت نادية بقوة كانت تعاني من نزلة برد شديدة تشعر معها أن جسدهايؤلمها بالكامل كما أنها تشعر بالضعف لأنها لا تأكل بشكل جيد، الراتب الذيتأخذه لا يكاد يكفيها،وضعت كفها على رأسها كانت تعاني الصداع أيضا،سعلت مرة أخرى فشعرت أنها تختنق فارتدت روبا منزليا يكاد يكون مهترئ لأنهاحصلت عليه من محل يبيع الملابس المستعملة وارتدته لأنها كانت تشعر بالبرد يصلإلى عظامها، شدت عليها طرفي الروب وهي تشعر بالدوار الشديد ما الذي أصابها؟

انتابتها رعشة وعلا تنفسها فجأة فقررت العودة للداخل لأنها لم تعد تقوى على الوقوف،في اللحظة التي انتبه نديم لوجودها في الشرفة،كان معتادا أنيدخن في الشرفة لم يكن شرها في تناول السجائر ولكن سيجارته وكوبا منالشاي تعتبر من متعه اليومية بعد

يوم عمل شاق،عندما همت بالدخولالتقت أعينهما بنظرة غير مقصودة فأدار وجهه عنها فلوت شفتيها ساخرةولكنها ما إن خطت خطوة إلى الداخل حتى هوت فاقدة الوعي انتبه نديم إلى سقطتها وقفز قلبه إليها قبل جسده لكنه فكر سريعا .

:"يجب أن أخبر أمي أولا هذه هي الأصول ولا يجب تخطيها"

أخبر أمه بشكل مقتضب أن نادية هوت فاقدة الوعي وأنه سيقفز عبر شرفتها

ثم يفتح لها الباب لتكون هي معها بدلا منه بكل تأكيد لم ينتظر رد والدته وعاد على الفور إلى الشرفة التي كانت لصيقة لشرفتهم فمكنته من القفز سريعا عبرها،تطلع إلى جسدها الملقى على الأرض للحظات أدرك فيها كم هي ضعيفةونحيفة للغاية لكنها رغم ذلك تتمتع بالجمال،ليت أخلاقها تتمتع بالجمال كمايفعل وجهها ، نفض عنه تلك الأفكار وسارع إلى حملها بين ذراعيه حقا كانت نحيفة للغاية وخفيفة كطفلة، شعر بأنفاسه تتلاحق على نحو غريب لقد كانت ترتجف بين يديه كورقة في مهب الريح كما أنها كانت تهمهم بكلماتغير مفهومة ، انتابته للحظة رغبة قوية في ضمها إلى صدره ليسكن عنها قليلا برد الحمى فلام نفسه بشدة وهم بوضعها على السرير المتواضع بالحجرة لكن تصلبت يداه فجأة عندما همهمت بصوت مسموع ونطقت بضعف:"حمزة!"

ابتلع ريقه بتوتر وشعر أن بداخله يشتعل نارا...

ترى من حمزة؟ حبيبها؟ زوجها؟ عشيقها؟ أم من؟بالتأكيد واحدة مثل تلك يجب أن يكون لها عشيقا.

عقد حاجبيه بقوة وهو يعود إلى عدائيته و.....

:"نديم"

أفاقه صوت أمه المنادى على الباب فسارع ليفتح لها سألته:"ماذا هناك يا نديم؟"

لوح بيديه:"لا أعرف يا أمي وجدتها تهوي على الأرض فنقلتها إلى سريرها"

وأشار إلى الحجرة فدخلت والدته على الفور،أرادت الفتيات مصاحبتها لكنها رفضت.

دخلت إلى الحجرة وتبعها نديم لكن ظل بمكانه لم يتحرك ليرى أمه وهي تضرب صدرها: "يا قلبي يا ابنتي حرارتها مرتفعةللغاية، اذهب يا نديم واحضر الحكيم سريعا"

أومأ برأسه وذهب على الفور لكن بداخله نارا لم تهدأ بعد ، لماذا يشعر بالغضب لماذا؟

حاول جاهدا لينحي مشاعره جانبا وهو ينادي الحكيم (الطبيب) ليهرول معهالأخير بملابسه المنزلية،تنحت السيدة سعاد جانبا ليقوم

الطبيب بعمله ونديمينتظر بالخارج ومضى بعض الوقت ثم خرج الطبيب بصحبة والدته حاول أن يبدو طبيعيا رغم أن العكس هو ما يدور بداخله ويشعر ناحيتها بقلقشديد غير مبرر بنظره ، أجابه الطبيب دون أن يسأل:"تعاني من الحمى نتيجة لنزلة برد قوية كما أن الجرح في ذراعها يحتاج لعناية"، ثم ناوله ورقة تحتوي على بعض الأدوية وأخبره أن يحضرها وهمبالخروج لكن نديم استوقفه:"أي جرح هذا؟"

لوح الطبيب بيديه:"يبدو أن ذراعها تعرضت لجرح قطعي سببته سكين حادة"

نظر إلى والدتهالتي بادلته الدهشة ثم نقد الطبيب بعض القروش شاكرا إياه وأخبر والدته بأنه سيبحث عن أي صيدلية ليبتاع لها الدواء لم يهدأ ذهنه لحظة، لماذا هناك جرح سببته سكين بذراعها؟ من هي؟ ومن حمزة؟ كأنه يعيد إشعال مشاعره من جديد، لماذا هو مهتم بالأساس؟!!

****

في الأيام التي تلت تلك الليلة اعتنت الست سعاد بنادية جيدا حتى أنها كانت تطهو لها وترسل البنات للجلوس معها وتسليتها حتى أنها شعرت بالألفة ناحية عزيزة وكذلك شعرت الأخيرة ربما لأنهما

يشبهان بعضهما البعض إن أعينهما تحمل نفس الحزن أما زينب فكانت تطالعها بنظرات محدقة من آن لآخر ، سخرت من تلك النظرات بشدة لأنها بها اهتمام وتساؤل :"هل نديم يهتم لك؟" فمنذ أن كانت تتناول معهم الغداء رأت نظرات زينب المسلطة على نديم أينما التفت أو تحدث،عقدت حاجبيها وهي تفكر وما شأنها هي بزينب أو نديم الأفضل لها أن تهتم بشئونها الخاصة فقط.

،كانت تشعر بأنها تزداد تحسنا فقررت الخروجللعمل في اليوم التالي بعد محاولات عديدة من السيدة سعاد لحثها على العكسوأن تمكث في البيت قليلا بعد كي تسترد كامل عافيتها ولكنها أخبرتهابحاجتها الشديدة لما ترزق به من العمل فتركتها أغلقت باب شقتها وهمت بالنزول لتجد نديم أمامها الذي أشاح بوجهه عنها كأنه لا يراها ،لا يعني أنه أنقذها أنه سيغير موقفهتجاهها لكنها استوقفته.

:"نديم أفندي"

نادته فتوقف واستدار ليرى ماذا تريد ارتبكت شفتيها

فأذابته:"أشكرك أنك أنقذتني وأعدك عندما تتوفر معي نقود سأرد لك ما أنفقته من أجل علاجي"

زم شفتيه وشعر بالغضب والاهانة من قبلها واندفع لسانه وضاقت عينيه هاتفا بها يريد رد الإهانة:"لماذا لا تملكين النقود؟أنا أسمع أن الإنجليز يدفعوا جيدا،ثم لماذا بذراعكجرح سكين؟هل تشاجرتِ مع

أحدهم أم أن أحد زبائنك سادي النزعة؟"

ارتعشت شفتيها فهم بالاعتذار لكنها ما لبثت أن تمالكت نفسها وقالت ما حثه

على التراجع، وأومأت برأسها وبعينيها لمعة حزينة أربكته:"نعم يدفعون جيدا لكنى أنفقها أولا بأول"

ثم تركته دون إضافة كلمة شعر بكلماتها أنه سيلحق بها على السلم ويصفعهالكنه اكتفى بدخول شقته وصفع الباب بقوة.

****

مرت أيام حاولت نادية العمل جاهدة كي ترد لنديم قروشه كما أنها اصطحبت

أدويتها كلها لتسأل عن ثمنها وبعدما جمعتهم ،طرقت بابهم ذات ليلة ففتحلها ونظر إليها متسائلا ووالدته تسأل:"من الطارق يا نديم؟"

أجابها:"جارتنا يا أمي"

وقبل أن يتسنى لوالدته أو أي من الفتيات الاقتراب منهما كانت نادية ترفعيدها بالنقود:"تفضل"

عقد حاجبيه بقوة ولو بكفه:"ما هذا؟"

وضعت النقود بكفه وأجابته:"نقودك وأشكرك على مساعدتي"

وتركته فجأة كما جاءت فجأة ،تبعها بنظراته ثم نظر إلى القروش بيده واختلجت عضلة بفكه:"من يا نديم؟"

استدار ليجيب تساؤل عزيزة:"نادية"

:"وماذا كانت تريد؟ولماذا غادرت؟"

أراها النقود بيده:"كانت هنا من أجل أنتعطيني هذه ثم غادرت إلى شقتها ،هذه البنت غريبة الأطوار"

كانت زينب تستمع إلى حوارهما وشعرت بشيء من الغيرة يتسلل إليها فنظرات نديم التي لاحقت نادية إلى بابها لا زالت ساكنة وجهه وهو يحدثعزيزة عنها وهذه النظرات تقلقها .

ترك لعزيزة مهمة الشرح لوالدته ودخل إلى حجرته ولازال ممسكا بالنقود في كفه نظر إليهم قليلا ورفع حاجبيه باندهاش وحيرة إذا كانت تملك عزة النفس هذه فلماذا تبيع نفسها؟

****

مرت أيام ونديم يذهب للملهى يوميا لعله يصادف الفتى قاتل الإنجليز،كان يراقب وجوه الناس من حوله لعله يعثر عليه وفجأة وجده يرتدي جلباباواسعا ويضع عمامة على رأسه لكن نديم عرفه لأنه هو أيضا بارع فيالتنكر وانتظر حتى جلس الفتى ثم لحقه إلى منضدته ثم جلس أمام دوناستئذان أو دعوة فاتسعت عينا الفتى للحظة وابتلع ريقه في توتر ثم ما لبثأن تمالك نفسه في لحظات فشعر نديم بالإعجاب يتصاعد نحوه.

هتف حمزة:"من أنت؟وكيف تجرؤ على الجلوس دون استئذان؟"

مال نديم نحوه وهو يبتسم بخبث:"أنا؟امممم لا يهم ولكن أظن أننا التقينا من قبل"

ضاقت عينا حمزة وهو يهتف:"لا أظن ذلك يا سيد ..... من أنت؟"

أجابه نديم دون مواربة أو محاولة للإنكار:"أنا الرجل الكهل الذي لاحقك يوم قتلك للإنجليزي"

ظهر الارتباك على وجه حمزة فأكمل نديم:"نعم أنا هل تريدني أن أريك الكدمة التي خلفتها ضربتك بساقيكي تصدق؟"

ابتسم حمزة بدوره ومط شفتيه:"يبدو أنك مخطئ يا سيد أنا لا أفهم عما تتحدث"

قهقه نديم باستمتاع:"امممم يبدو أن الحديث بيننا سيطول ما رأيك لو أنادي الفتاة التي بعثتها لمحاولة تعطيليبأي طريقة في المرة السابقة أم تريدني أن أخبر الجميع الآن أنك كنت الأخير الذي كان بصحبة الإنجليزي الحقير؟"

تنهد حمزة وهو يبتلع ريقه ولم يجد مفر من الحديث المباشر:"ماذا تريد؟"

دون تفكير أجابه نديم:"أريدك معنا لكني أريد أولا أن أعرف من أنت؟"

تراجع حمزة بمقعده ونظر لنديم مطولا بتهكم وسرح بفكره بعيدا

:"أنا مش فارس ولا فتي أحلام

أنا زحمه وربكه وشغل جنان

نصي بيضحك والتاني زعلان

أنا شيخ فلتان

طيب شرير وجريء وجبان

أوقات مشرق وأوقات بهتان

وساعات سلم وساعات تعبان

مفتري جداّ وكمان غلبان

شبابيك و بيبان

توهة عنوان

أنا م الأخر عفريت لابس بدلة إنسان

منقول

الملاك الأسود

روائع الروايات الرومانسية

رضا الدسوقي

الفصل السادس

:"كيف تفعل ذلك يا نديم دون الرجوع للبقية ولماذا ؟ألا يحتمل أن يكون جاسوس من الانجليز وقتله لبضعة جنود لا يعني وطنيته وربما فقط يكون مجرد طعم منهم لمعرفة فِرق المقاومة ضدهم ؟ثم علام اعتمدت في اختيارك علىفتى لم تره سوى مرة واحدة ولبضع دقائق وربما أقل مخلفاً وراءه كدمة في ساقك ؟ "

أومأ نديم برأسه موافقًا :" كل شيء محتمل يا صلاح وأنت محق جدا في شكوكك وللأمانة أنا لم أعتمد سوى على هذا ،وأشار لقلبه"

زفر صلاح بضيق وهو يهز رأسه:" يا نديم شعورك ناحية الفتى حتى وإن كان صحيحًا لا يعنى أن تثق به وتضمه إلى مجموعتنا "

هتف نديم :"ومن قال أني فعلت ! أنا فقط ....."

تذكر نديم عندما سأل حمزة عمن يكون ؟

فصمت حمزة مطولا ليفكر حتى لا يخطئ فالرجل أمامه لا يعرفه وهكذا ببساطة يريده أن ينضم إلى مجموعة مقاومة ؟ الأمر مغري للغاية لكنه يدعو للشك لكن على أي حال يجب أن يفكر أولاً:"من أنا ؟ هه أظن أنا من يجب عليه توجيه هذا السؤال إليك "

:"من أنت ؟ وما طبيعة العمل الذي تريد مشاركتي إياه ؟"

مط نديم شفتيه :" أنت محق فلنبدأ من جديد، أنا نديم وأظن هذا

يكفى الآن ،أما طبيعة العمل الذي أريدك فيه هو مقاومة الانجليز بلا شك..." ثم أشار بإصبعه إلى صدره ثم إلى حمزة قائلاً:" أنا وأنت ما رأيك؟"

وقبل أن يجيب حمزة استدرك نديم :" ها قد عرفت اسمي وطبيعة العمل الذي أريدك فيه قبل أن أعرف رأيك أريد أن أعرف اسمك أولا ،عنوانك وبضعة أشياء أخرى إن وافقت على العمل معي "

مط حمزة شفتيه وأجاب :" اسمي حمزة وأظن هذا يكفي الآن " رغم أن الاسم أثار حفيظة نديم الذي سمعه من قبل من نادية وهي تهذي من الحمى إلا إنه ابتسم لأن حمزة يرد إليه مقولته، استدرك حمزة:" أما عنواني أظنه لا يعنيك كما أن عنوانك لا يعنيني هذه .....بتلك "

:"إذن كيف سأصل إليك؟"

هز حمزة كتفيه :" ستجدني هنا كما وجدتني الآن ،ليس يومياً بالطبع فلنتفق على يوم نلتقي به سويا لكنى لا أريد العمل في شهر رمضان "

عقد نديم حاجبيه :" ولماذا ؟ لم يحرم الله القتال في شهر رمضان ؟"

:"أعلم لكني لا أريد تدنيس لياليه بدماء هؤلاء"

أومأ نديم برأسه:" دع الأمور تجري كما هو مقدر لها إن لم نعمل

في رمضان فهو خير وإن حدث فالله أراد ذلك ،لا تحبس نفسك بذلك فقط ،اتفقنا ؟ "

نظر له حمزة قليلا ثم أجابه :"اتفقنا ".

:" وهكذا يا صلاح اتفقنا أن يكون لقائنا السبت من كل أسبوع بعيدا عن البقية وكي يكون مسؤوليتي أنا فقط وإن أردت الانضمام إلينا فبالطبع لا أمانع "

صمت صلاح لعدة لحظات

:" بالتأكيد ولا أنا أيضا أمانع يا صديق "

****

:" آنسة رقية .....آنسة رقية "

شعرت رقية بالارتباك الشديد إنها تعرف ذلك الصوت جيدًا إنه لسعد، شعرت

بالاحمرار يغزو وجهها عندما نظرت خلفها لتجده بالفعل سعد والصوت لا ينبعث من تخيلاتها، ابتلعت ريقها في محاولة منها للسيطرة على ارتباكها ورعشة يدها:" نعم يا سعد ....أ.... أقصد ماذا تريد يا أستاذ سعد ؟"

شعر بالطرب في أذنيه لمجرد أنه سمعها تناديه باسمه هكذا دون تحفظ رغم

أنها ما لبثت أن ألحقتها بأستاذ فيما بعد ،كان يشعر بالارتباك هو

الآخر ولا يعرف أيضا من أين يبدأ.

حدقت به لعدة لحظات وهي تشعر أنها ستفقد الوعي بعد قليل بسبب الانفعال، كانت دقات قلبها تملأ الدنيا ضجيجا بداخله لكن عندما لم ينبس سعد ببنت شفة بدأ شعور بالغضب يتسلل إليها، صحيح أنها معجبة به لكن لا يعنى ذلك أبدا أن تعرض سمعتها إلى القيل والقال بسببه:" أستاذ سعد ماذا تريد أنا لا أحب أن يستوقفني أحد هكذا"

لكنه قابل حديثها بالصمت أيضا فاستشاطت غضبا ما هذا هل أكلت القطة لسانه؟ لماذا لا يتحدث ؟

:" بإذنك "

قررت أن تمشى رغم أنها تحترق فضولا أن تعرف ماذا يريد منها و لماذا استوقفها على هذا النحو، حاول أن يمسك مرفقها فرمقته بنظرة نارية فضل بها ألا يلمسها وسارع بالقول وكأنه يحاول إلقاء حمل كبير من فوق كتفيه

:" آنسة رقية أنا معجب بك وأريد أن أتزوجك".

؛

أغلقت رقية باب حجرتها بطريقة حالمة وهى لا تكاد تقوى على الوقوف من شدة الانفعال والفرحة .

هل قالها حقا؟ هل قال أنه معجب بها؟ هل قال أنه يريد أن يتزوجها، هي لم تجبه بشيء فقط فرت من أمامه حتى أنها نظرت خلفها وكأنه يلاحقها ووصلت

إلى البيت وهى تلهث كأنها قطعت ألف ميل عدوا، ابتسمت وهي تضع كتبها على مكتبها. كم تشعر بالارتياح لأن مشاعرهما متبادلة وأنه يرقص بقلبهما نفس النبض .

****

في اللحظة التي تشعر فيها رقية بالسعادة تأخذها بعيدا جدا إلى حيث هي وسعد وإلى فستان الزفاف كانت شبه طائرة من الفرحة بسبب تصريح سعد لها الذي كان هو في نفس الوقت يعاني الحيرة . هل تركته دون رد لأنها موافقة لكنها تخجل من الرد أم أنها غير موافقة وفقط لا تجد الرد المهذب لرفضه

زفر بغضب :" ما كان عليه أبدا أن يبدأها هي بالحديث ،كان يجب عليه أن يدخل البيوت من أبوابها ويحدث نديم بالأمر لكنه ظن بتصريحه أن هذه طريقة آمنة لمعرفة رأيها أولاً " .

****

تناولت نادية إفطارها البسيط الذي لا يكاد يشبعها في عجالة من أمرها فقط

لكي تلحق بميعاد عملها في الاسبيتالية (المستشفى) فبعد أن شفيت من الحمى , استطاعت الحصول على هذا العمل كمتدربة تمريض فمنذ أن أخبرت الست سعاد بأنها تمتهن تلك المهنة وهي تفكر بالأمر. ماذا لو احتاجها أحد ؟ ماذا لو هوت مرة أخرى فاقدة الوعي ؟ من المفترض أن تكون مستعدة قبلها لهذا الشيء، ماذا لو طرق أحدهم بابها محتاجا إلى خدمة طبية ماذا ستكون ردة فعلها ؟ فقررت بكل بساطة أن تترك عملها الصباحي كعاملة نظافة لتبحث عن العمل باسبيتالية وقد حدث وحقق الله سبحانه وتعالى لها ما أرادت واستطاعت العمل كممرضة، حمدت الله بأنها وفقت لهذا على الأقل حديثها يكون مطابق للواقع أما الليل فلقد قررت ترك الملهى الذي رآها به نديم والبحث عن آخر.

زفرت بعنف آه منه لماذا يرتسم لها وجهه قبل أن تنام وفي أثناء العمل، لماذا تريد محو نظرته المحتقرة لها وتبديلها بأخرى ايجابية رغم أنها تزعم أنها لا تهتم لأحد ولا يعنيها ماذا يظن بها الآخرون ! ولكن لا يعني أنها تركت الملهى أنها توقفت عن.....

قاطعت أفكارها الطرقات على الباب فعقدت حاجبيها إنها لا تعرف أحدا قد يطرق بابها سوى الست سعاد، نهضت لتفتح لكن ظنها كان خطئاً فالست اعتدال صاحبة البيت هي من تطرق الباب، كانت المرأة

مصرية باقتدار بجسدها الممتلئ وبشرتها القمحية والملاية الملفوفة بعناية على جسدها جاءت في ميعادها الشهري لتقبض الإيجار الشهري للشقة نقدتها نادية إياه وهى تشكرها

:" متشكره يا ست اعتدال إنك انتظرتني لبضعة أيام في الشهر حتى يتسنى لي دفع الإيجار "

أجابتها المرأة :" أنت بمقام ابنتي يا نادية ويعلم الله لولا أني أحتاج هذه النقود لما طلبتها أبدا ".

كانت الست اعتدال تبتسم بكثرة وبدت لنادية ودودة أكثر من اللازم مما جعلها تعقد حاجبيها وتنظر للمرأة تشكك وشعرت أن هناك سببا آخر غير الإيجـار وراء زيارتها وكانت محقة عندما رأت الست اعتدال تتلكأ عن عمد وأخيرا ابتسمت لتقول لنادية :" نادية يا ابنتي هل أستطيع أن أسألك شيء ؟"

:" تفضلي يا ست اعتدال"

:" متى ستلحق بك عائلتك ؟ "

ارتبكت نادية لكنها حاولت التماسك :" في الحقيقة لا أعرف موعدهم بالضبط حتى إن آخر خطاب منهم لم يذكروا أي ميعاد للمجيء إلى هنا ،ماذا ؟ هناك هل صدر مني أمر قد ضايق أحد و شكاني إليكِ ؟"

ضربت المرأة صدرها:" يا ل الندامة، لِم تقولين هذا يا أبنتي هل قلت أنا هذا؟هل اجد انا مثلكِ؟ "

حاولت نادية جاهدة أن تتحلى بالصبر فهي لا تحب اللف والدوران في الحديث

:" إذن لماذا تسألين يا ست اعتدال ؟"

ابتسمت المرأة بخبث:" الصراحة يا نادية إن سيد المكوجي يريد التقدم لخطبتك وكونك تعيشين وحيدة فهذا يفتح المجال للقيل والقال وأنا لا يرضيني هذا ولكني قلت له أن ينتظر، لكنه صمم أن أفاتحك بالأمر" .

****

:" وبماذا أجابتك يا اعتدال يا أختي ؟ "

سألتها والدة نديم بحماس لم تستطع إخفاؤه، مصت المرأة شفتيها :" لم تقل شيء فقط ابتسمت وصمتت كثيرا " ثم قالت :" ست اعتدال أخبري أي شخص يسألك عنى أنني لست للزواج" ثم استأذنت كي تخرج لعملها

تنفس نديم بارتياح عندما سمع إجابة نادية على الست اعتدال فمنذ أن جاءت

المرأة فلم تكف لحظة عن الحديث عن نادية، وهذا لفت انتباهه الذي

بلغ ذروته عندما كانت تحكى المرأة عن العريس الذي تقدم لخطبة نادية وكيف أنها رفضت، ودون إرادة منه وجد نفسه يبتسم ثم ما لبث أن عقد حاجبيه عندما ضبط نفسه سعيداً من أجل ذلك.

****

انطلق الرصاص يفجر الزجاجات الواحدة تلو الأخرى ونديم ينظر بفخر إلى صنع يده ثم ناول حمزة المسدس :" دورك"

أخذ نفسا طويلاً قبل أن يصوب مسدسه ويبدأ بإطلاق الرصاص الذي لم يصب أيا من الزجاجات، هتف به نديم :" لماذا ترتعش يدك يا حمزة أنت تصوب كالفتيات"

ساءت عبارة نديم حمزة بشدة فما كان منه إلا أن صاح بنديم :" أنا لست فتاة يا نديم وإن كنت لا تريد تدريبي فلا مانع لدي ولا أمانع أيضا أن أعود للعمل وحدي بالطريقة التي أجيدها ....السكاكين "

مط نديم شفتيه وهو يشعر بالاستياء هو الآخر :" أنت حر فيما تريد ولكنك تتصرف كالأطفال، عندما أوجه لك انتقاد تصيح معترضًا وتريد إنهاء ما لم تكمله بعد"، ثم صمت قليلا واستدرك:" حتى وإن أردت العودة للعمل وحدك يجب عليك أن تتعلم كيفية استخدام المسدس بل وجميع الأسلحة النارية ، سكينتك العزيزة لن تنقذك في كل الأحوال"

ثم أدار وجهه عن حمزة وسار بعيدا عنه دون أن يلتفت إليه وأخرج سيجارته ونفثها بغضب؛

نظر حمزة تجاهه وهو يفكر بما قاله نديم للتو ووجد أنه محق، لقد تعلم تصويب السكين وأجاده بقوة لكنه لم يكتف بذلك وتعلم كل ما يستطيع تعلمه في السيرك لعله يحتاجه يوما ما فلماذا يضيق صدره عندما يعلمه نديم على الأسلحة النارية ؟

لا..... يجب أن يصبر و يثابر حتى يتعلم ربما اليوم الذي ينتظره يقترب منه من يدري؟ يجب أن يكون مستعدا له

سار ناحية نديم وهو يشعر بالخجل وقال باقتضاب :" أنا أسف "

حدق به نديم لعدة لحظات فأكمل:" أنا أريد التعلم لكن لا تقل عليّ فتاة مرة أخرى"

اتسعت ابتسامة نديم وهو يجيبه :" أنا لم أقل أنك فتاة يا حمزة أنا قلت يداك مرتعشتان كالفتيات ولا يعني ذلك أنك منهن فقط أردت تنبيهك لطريقة تصويبك ركز على الهدف وصوب ثم أطلق الرصاص، اممم تخيل مثلا أن الزجاجات رأس عسكري انجليزي أو أحدا تكرهه بشدة مثلا ..."

قالها نديم على سبيل الدعابة لكن أنفاس حمزة علت وزم شفتيه بقوة وكأنه يتخيل بالفعل وكأنما عبارة نديم ألهبت مشاعره مما لفت

انتباه نديم لكنه فضل ألا يتحدث في الأمر يبدو أن حمزة هذا لديه ما يخفيه، وجد نفسه يحدق بحمزة مرة أخرى وسأله :" حمزة ألا تبتسم أبداً ؟"

شعر نديم أن السؤال قد فاجأه رغم أنه سؤال عادي من وجهة نظره .

الفصل السابع

تناثرت بقايا الطبق عندما سقط من يد زينب على الأرض التي تبادلت النظرات القلقة مع عزيزة فعبارات سعاد الصغيرة المهللة بوجود أمها هذا لا يعنى سوى شيء واحد أن كابوس نادية الزوجة السابقة لنديم قد عاد،ابتلعت زينب ريقها في توتر وعاودت النظر إلى عزيزة بابتسامة باهتة متوترة فاقتربت منها الأخيرة وربتت على كتفها مطمئنة وهمست بها:" ربما جاءت لرؤية سعاد فقط"

:"ربما"

تساؤلات عدة انطلقت برأسها:" لماذا عادت الآن ؟ تلك النادية بعدما مر كل ذلك الوقت ؟"

خرج نديم وبصحبته رقية التي بدت مندهشة من وجود نادية في شقتهم التيخرجت يوما وهى تصيح غاضبة أنها لن تعود إليها مرة أخرى، أما والدة نديم فقد بدت مستاءة تماما من تلك الزيارة ولم تحاول حتى إخفاء استيائها من نادية، لم يكن أحد يشعر بالسعادة بتلك الزيارة سوى سعاد الصغيرة التي

بدت سعيدة تماما بكمية الأرواح (البونبون) ونبوت الغفير (العسلية) والألعاب التي أحضرتها والدتها.

شعر نديم بمشاعره مبعثرة بين تأثره بفرحة الصغيرة بوالدتها وبين

قلبه الذي شعر ولو للحظة أنه اشتاق لنادية لكن ذلك الإحساس لم يستمر سوى لبرهة من الزمن ولفظه نديم ووجد راحته في ذلك كأنما قلبه كان يخدعه بنبضة زائفة ،بدت نادية متأثرة هي الأخرى واغرورقت عيناها بالدموع

وهي تمطر وجه صغيرتها بالقبلات إلا إنه بالأخير هتف بها بصرامة جعلتها

تنهض من على ركبتيها:" ماذا تريدين يا نادية ؟"

حدقت بنديم للحظات الذي بدا لها أكثر وسامة من ذي قبل وأكثر وقاراً ،ابتلعت ريقها بوتر صحيح إنها قد أخطأت بحقه لكنها لم تتوقع تلك الطريقة الجافة في تعامله معها ،حتى إن والدة نديم لم تمهلها لتجيب حتى وسألتها بحدة

:" لماذا عدت يا نادية ؟ ألم يكن هذا البيت مكانا لا تريدين العودة إليه مهما حدث ؟"

على الفور ارتسمت على وجه نادية ابتسامة واسعة وهى تقترب من والدةنديم فاتحة ذراعيها لتحتضن الأخيرة وهى تهتف منافقة:" كيف حالك يا خالتي لقد افتقدتك بشدة أنت والبنات" ،لم تكن خالتها فعليا إنما

نادتها باللقب الذي اعتادت أن تناديها به عندما كانت زوجه ابنها ،لكن الست سعاد لم تعطها الفرصة حتى لتقترب منها وأشاحت

بوجهها فابتلعت نادية
ابتسامتها وتراجعت عن احتضان المرأة ،كانت أحاسيس عدة تنتابهم في تلك
اللحظة بدءا من سعاد الصغيرة السعيدة بعودة والدتها لكنها تنظر إليهم جميعا بحيرة الآن لأنهم يتحدثون هكذا إلى أمها التي سمح لها والدها بالاحتفاظ بصورة صغيرة لها تنظر إليها من آن إلى آخر وتقبلها أيضا ،ورقية التي لازالت على دهشتها من وجودها ، زينب وعزيزة فتشاركا نفس الإحساس بالترقب والقلق ،حتى إن قلب زينب كان يخفق بعنف ،ماذا لو استطاعت نادية استعادة نديم ؟

لم تأت بالتأكيد من أجل ابنتها التي تركتها مسبقا ،أما نديم ووالدته فسيطر عليهما احساس بالغضب لماذا عادت الآن ؟ بعدما تركت بيتها وأسرتها وتسببت في جرح لا يندمل لنديم ،كيف تستطيع الابتسام بتلك البساطة وقد تسببت في ضياع أسرتها بأكملها من أجل المال والمظاهر الفارغة ,عندما لم تجد نادية ترحيباً لائقاً من الست سعاد ارتسمت على وجهها ابتسامة خبيثة كريهة مقررة أن تضايقهم جميعا قبل أن تمضى فاقتربت من زينب:" أهلا يا زينب كيف حالك ؟ بالتأكيد لم تفتقديني ؟ ها الحقيقة وأنا أيضا لم أفتقدكِ "
تذكرت زينب في تلك اللحظة كم افتعلت نادية معها المشاكل من أجل

أشياء تافهة ربما كانت تشعر بحبها لنديم وبالطبع في تلك الحالة لا تلومها ،وقبل أن يتسنى لها الإجابة اتجهت نادية إلى عزيزة لبث سمومها

:" عزيزة حبيبتي (قلبي معك)أنا أعرف إن أحدهم لم يتقدم لخطبتك لحد الآن

لكن غير مهم بكرة تتزوجي مثلك مثل باقي البنات"

شعرت عزيزة بالدمع يتدافع إلى عينيها ففرت إلى حجرتها وتبعتها زينب ،فابتسمت نادية بظفر وعلمت أنها أصابت هدفها في مضايقة عزيزة الهشة

هي في الحقيقة لم تقصد مضايقتها هي نفسها على القدر الذي قصدت فيه مضايقة والدتها التي امتقع وجهها فور سماع جملتها ،كانت خبيثة كريهة تعلم ذلك لكنها لم تأت إلى هنا لكسب ود أحدهم ،همت والدة نديم بالرد لكن

نديم أشار لها بالصمت راجيا فصمتت رغما عنها لكنه هو نفسه صاح بها

:" أظنك يا نادية لم تأت إلى هنا كي تتحدثي إلى زينب أو عزيزة ،ماذا تريدين ؟"

جمدت ملامحها للحظة ثم قالت:" ابنتي يا نديم أردت رؤية ابنتي"

لم تستطع الست سعاد تمالك أعصابها فصاحت بغضب واستنكار:"

أي بنت هذه التي تتحدثين عنها ؟ التي تركتها وتزوجتِ ،التي قمنا بتربيتها بدلا منك ؟"

أجابتها بجرأة ووقاحة:" أنا لم آت إلى هنا كي أتحدث معك ،أنا هنا من أجل نديم فقط"

:"نادية تحدثي بأسلوب لائق مع أمي"

خفق قلبها بخوف فعلى الرغم من طلاقها منه إلا إنها لازالت تخافه وتهاب وجوده تماماً كما لو كانا لا زالا متزوجين فصمتت على الفور.

كان نديم يشعر بالغضب الشديد وشعر أنه سيتهور ويتقدم ناحيتها لصفعها لكنه تراجع عندما رأى سعاد الصغيرة تنكمش خلف جدتها ،يا إلهي لقد نسي وجودها تماما فأمر رقية أن تصحبها للداخل

وعندما غابت في الحجرة أمسك نديم معصم نادية بغلظة ودفعها إلى الخارج أمامه:" تريدين التحدث إلي إذن هيا بنا"

أغلق الباب وراءه تاركا أمه تحاول تهدئة الصغيرة التي كانت تصيح وتبكي أنها تريد والدتها التي لم تبدو مهتمة بها كما تدعي بقدر اهتمامها بنديم ،حاولت نادية أن تفلت يدها منه قائلة بدلال :" أنت تؤلمني يا نديمي "

ابتلع ريقه عندما نادته باسم التدليل الخاص بها عندما كانا

متزوجين وأعادت إليه دفعة من الذكريات الجميلة التي انتهت بخطئها هي وطمعها هي ، لا لا يستطيع أن يسامحها لا يستطيع .

كانت تحدق به وتنتقل نظراتها بوقاحة إلى شفتيه في دعوة صريحة منها فشعر أنه يقترب منها تلقائيا :" السلام عليكم "
انتفضت نادية عندما سمعت ذلك الصوت الأنثوي يلقى عليهما السلام لم تكن سوى نادية جارتهم التي لم تبد أي اهتمام حتى لو بنظرة لما يحدث فاحمر وجه نادية بينما شعر نديم بالغيظ وزفر بغضب وهتف لنفسه :" تبا لماذا لا تهتم ؟"
كان لا يطيق لمس نادية له ولا حتى نظراتها المثيرة للاشمئزاز لكن عند خروجه من شقته لمح ظل جارته وراء الباب تستعد للخروج فاقترب من زوجته السابقة عمدا ليرى ردة فعلها ،هز رأسه بسخرية :" ولماذا تهتم أيها المغفل ؟"

****

عقدت نادية حاجبيها عندما رأت نديم يقترب من المرأة بذلك الشكل الحميمي فشعرت بشيء من العصبية يتسلل إليها ،ترى من هذه ،هزت رأسها بعنف
كأنها تريد نفض تلك الأفكار التي راودتها عن رأسها فمالها ونديم وبما يفعله

ثم زجرت نفسها بقسوة وتذكرت قوانينها التي سنتها لنفسها :"
أفيقي لا تفكري حتى بالأمر إياك والمشاعر تتسلل إليكِ , سدي الأبواب في وجه أي نبضة غريبة تخفق
يوما في قلبك ،لا مشاعر لا حب لا شيء سوى البحث عن هدفك في هذه الحياة.

.....

جلس نديم بمواجهة نادية التي بدت قلقة فسألها بصرامة :" ماذا تريدين يا نادية ؟ وأرجوك لا تحاولي إهانة ذكائي فأنت لم تأتِ لرؤيةسعاد كما تدعين"
ابتسمت وهى تجيبه بدلال :" أنت كعادتك يا نديم لا أستطيع أن أخفى عنك شيء حتى ولو حاولت , نعم رؤية سعاد ليست السبب الرئيسي إنما هو أنت "
هتف باستنكار وهو يسألها :" أنا ؟"
حاولت الاعتدال في جلستها لتقترب منه أكثر:" لقد طُلقت يا نديم " لم يبد أي دهشة لكنه اكتفى بمط شفتيه بسخرية ثم سألها :" ولماذا ؟هل وجدت رجلاً آخر يملك بيتاً أفخم وسيارة أحدث وأسرع ؟"
كان يسخر منها ووصلتها إهانته كما أراد تماماً فامتقع وجهها لكنها ما لبثت أن تمالكت نفسها واتسعت ابتسامتها :" نديم ألا تذكر أيامنا الخوالي ؟ " ثم غمزت بعينها

شعر بالاشمئزاز ناحيتها وهى تعرض نفسها بهذا الأسلوب الفج عديم الحياء

:" وماذا تريدين يا نادية ؟ أن أعيد معك الأيام الخوالي التي بعتها أنت باختيارك ،أنا لم أتغير كما أن حالتي المادية لم تتغير كثيرا فلن أؤمن لك المعيشة التي تطمعين فيها وتتمنيها ، ثم إنني لازالت أكفل إخوتي عزيزة ورقية إن كنت لا تذكرين بالإضافة لزينب أيضاً "

هتفت به :" آه زينب التي تحبك وترفض الزواج حتى الآن أملا أن تتزوج بك "

:"هذا ليس من شأنكِ , ولم لا على الأقل هي تحبني وأنا لا أملك بيتا كبيراً أو سيارة غالية الثمن "

شعرت أنها مالت بالحديث إلى منحنى لا تريده فحاولت أن تتظاهر بالهدوء

:" نديم على أي حال ليس هذا موضوعنا ،لقد جئت إليك لأخبرك بأمر طلاقي وشيء آخر أيضاً "

نظر إليها بتساؤل فاستدركت :" لقد أصبحت الآن أملك سيارتي الخاصة وبيت واسع كما ذكرت ، تركها ليطليقي بعدما اكتشفت زواجه بأخرى قبلي وعندما اكتشفت هي ذلك أدركت أنه إنسان أناني وجبان وعاد إليها لكنه ترك لي البيت والسيارة كما ذكرت ،وأنا أعرض عليك الآن أن نعود معا ونتزوج مرة أخر لكن هذه المرة

ليست في شقتك إنما في بيتي مع سعاد ابنتنا ليلتئم الشمل مرة أخرى " ، قالتها بلهجة استعطاف لكنه لم يأبه لذلك وصاح بغضب لفت انتباه من حوله

:" وأمي وإخوتي ماذا عنهم ؟ ثم ماذا سأكون أنا (زوج الست مش كدة ؟) عن إذنكِ "

وتركها بالكازينو تعانى الاحراج بسبب نظرات الناس التي حدقت بها عندما تركها نديم وغادر, ولكنها هتفت لنفسها بحنق :" لا يا نديم لن أتركك مرة أخرى "

****

مرت أيام لم يذق فيها سعد النوم وهو يفكر بما قاله والده ونديم وبالأخير استسلم لمنطقهما وقرر أن يستذكر دروسه جيدا ويضع تركيزه كاملا في ذلك حتى ينتهي من دراسته ويعمل كي يكون لائقا برقية التي فعلت المثل وامتثلت لكلام نديم فعلى الرغم من صغر سنها إلا أنها ليست متهورة أو مندفعة وتمتلك عقل راجح ،صحيح أنها لم تستطع منع نفسها من الحزن على ما حدث إلا أن الوعد الذي قطعه نديم على نفسه بتزويجها من سعد إذا وجده مناسبا بعد إنهاء دراسته وهى تثق بنديم وبرأيه فهو أخيها ورجلها وفارسها الأول دون منازع .

****

استمرت لقاءات نديم وحمزة عدة مرات لتدريب الأخير على استخدام المسدس والتدريب على إطلاق الرصاص حتى أصبح يجيده نوعا ما فالإجادة التامة تستغرق بعض الوقت ،كان ندم يشعر بالإعجاب ناحية حمزة الذي استطاع في فترة وجيزة التعلم وإجادة التصويب ،كان نهما للتعلم كان يستمع كثيرا ويتكلم قليلاً ثم يفاجئه بتعلم الشيء ،حتى أنه سأل نديم إذا ما كان يعرف شخصاً يعلمه أيضا كيف يصنع قنبلة مهلا , مهلا قنابل هكذا مرة واحدة

:" نعم مرة واحدة ألم تقل لي بنفسك أنني أتعلم سريعاً ؟"

:"بلى ولكن هذه الأشياء تحتاج إلى وقت ،مبدئياً لا مانع لدي لكنك بعد في أول الطريق على الأقل يجب تجربتك في مهمة حقيقية وليس إطلاق النيران على زجاجات فارغة "

لمعت عينا حمزة بشدة:" حقا ؟ وهل هناك مهمة قريبة "

اتسعت ابتسامة نديم لأن حمزة التقط الخيط بذكاء:" إن شاء الله لكن ليس الآن بالتأكيد هناك خطوات وترتيبات لتأهيلك لذلك "

قال حمزة في حماس :" أنا مستعد لفعل أي شيء من أجل أن يُقتل الإنجليز حتى ولو كان الموت "

عقد نديم حاجبيه مندهشا أن فتى بعمر حمزة يتحدث عن الموت بكل ذلك الحماس كأنه لا يعنيه :" الموت ؟ " كان نديم يستنكر أكثر منه يسأل

روائع الروايات الرومانسية

:" نعم الموت ولما لا أليس في الموت نهايتنا جميعا ؟ أليس هو الحقيقة الوحيدة في حياتنا جميعا دون استثناء ؟"

:" بلى ولكن من يراك تتحدث عن الموت هكذا يظن أنك تريد التخلص من حياتك أو أنك رجلٌ في التسعين من عمره ويأس من حياته ويريد التخلص منها ... ،ثم صمت قليلا وسأله ممازحاً

:" حمزة ؟ ألا تملك حبيبة في مكان ما تخاف عليها وتخاف عليك؟"

كان نديم يتوقع الصمت كعادة حمزة معه لأنه كتوم للغاية لكنه أجابه:" بلى أملك واحدة"

تملك الحماس من نديم فلأول مرة يخبره حمزة بشيء عن نفسه

:" حقا ؟ ما اسمها ،شكلها ... ورفع إصبعه محذراً إياك أن تكون كتومة مثلك ولا تبتسم "

عندما لم يجب حمزة كعادته صاح نديم بمزاح :" حسناً لقد بالغت في الأسئلة سأكتفي الآن باسمها هيا تحدث"

:" أسمها....."

:" نعم , الا تتذكر اسمها أيضاً"

فكر حمزة لعدة لحظات :" بلى أتذكر بالطبع .....فريدة هذا هو اسمها"

زفر نديم بارتياح لأنه وللحظة تخيل أن من أمامه هو نفسه حمزة الذي كانت نادية تهذي باسمه عندما حملها إلى سريرها :" بالطبع

يجب أن تكون فريدة فأنت أيضاً فريد من نوعك" .

****

ارتدت نادية ملابسها لتخرج لعملها اليومي في المشفى لكنها حرصت قبل أن تخرج كعادتها كل يوم أن تعدل من وضع شعرها المستعار وتتأكد من وجوده بشكل صحيح فأي خطأ الآن قد يكلفها الكثير والكثير جداً أيضا .

الفصل الثامن

ارتدت نادية الزى الرسمي لها كممرضة مبتدئة وبدأت جولتها المعتادة مع الباش حكيمة (رئيسة طاقم الممرضات) في المستشفى لتجول بها في أقسام المستشفى المختلفة كانت نادية سريعة الاستجابة والتعلم لذلك حازت على ثقة الباش حكيمة سريعاً كما حازت على احترام الجميع ،كما أن المرضى يحبونها صحيح أنها تكتفي بابتسامة مقتضبة للغاية وكلامها قليل جدا إلا إنها تؤدي عملها بإخلاص وتفاني جعلتهم يثقون بها,

انتهت من عملها لتجد الطبيب زين قد استدعاها إلى مكتبه في وقت سابق لكنها لم تعرف سوى الآن ،طرقت الباب ودخلت بعد أن سمعته يدعوها للدخول

:" تفضلي بالجلوس يا نادية"

جلست وهي تنتظر ليخبرها بما يريد ولكن انتظارها طال قليلاً وبدأت العصبية تتسلل إليها لأنه كان يحدق بها دون أدنى شعور بالخجل او الحياء وأخيراً نطق

:" نادية ما رأيك بي؟"

حدقت به للحظة وهي تعقد حاجبيها تمنت للحظة لو تخبره برأيها الحقيقي به أنه شخص لزج لا يمت للطف بصلة رغم أنه يظن أنه خفيف الظل ويوزعنكاته السمجة على كل من يراه من ممرضات ومريضات وأي شيء يمت للتأنيث بصلة ،وتشعر عندما تراه أنه يسحب الهواء من المكان ،كما أنهيتمتع بسمعة سيئة لكن لسبب لا تعرفه يظن أنه محبوب من الجميع, لكنها في النهاية آثرت ألا تقول له ذلك واكتفت بابتسامة أجادت أن تظهرها مرتبكة فظن غرورا أنها تبتسم استحياءً أن تعدد مزاياه فاتسعت ابتسامته وهو يدور حول مكتبه ليجلس أمامها :" أعرف أنهم يقولون عني طبيب ماهر لكني لم أقصد ذلك يا نادية أنا أقصد رأيكِ بي كإنسان"

ثم ضحك ضحكة صفراء تمنت لو تلكمه بوجهه لتخفي تلك الابتسامة للأبد:"أنتِ تفهمينني يا نادية أليس كذلك ؟"

أومأت برأسها :" بلى أفهمك ولكني لازلت جديدة هنا وربما لا أعرف حضرتك جيداً"

لمعت بعينيه نظرة لم تعجبها وخفض صوته وقال :" لنا أن نتعرف ببعضنا ما رأيكِ ؟"

ثم وضع كفه على كفها فنزعتها بمنتهى السرعة ولمعت عيناها بالغضب وهتفت:" ماذا تحاول أن تفعل أيها الطبيب ؟"

كان كمن يتعاطى المخدرات فلهجتها الغاضبة لم تؤثر به أبدا بل لدهشتها وجدته يبتسم :" إن عينيك هاتان اللتان تلمعان كعيون القطط هي من أسرتني يا نادية ،أنا معجب بكِ منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها ،أنا أستطيع أن أجعلك باشحكيمة صدقيني إن وافقت فقط"

وبدأ يمسك معصمها ويجرها إليه فانتزعت معصمها بعنف وهي تجيبه باشمئزاز

:" أما أنا فلا , أنت مقزز كذبابة الشتاء ملتصقة مهما حاولت أن تبعدها واما عن رأيي بك فأنت سمج كنكاتك تماماً"

حاول في اللحظة التالية أن يطوقها بذراعيه لكنها أفلتت منه وأخرجت على الفور سكيناً صغيرًا من طيات ملابسها تحتفظ به لحدوث أي طارئ ولم تظن

أبدا أنها قد تحتاج إليه هنا في المشفى الذي تعمل به .

وضعت نصل السكين على رقبته وهو ينظر لها بذهول شديد وهو لا يكاديصدق أن تصرف كهذا يخرج من امرأة في جمالها تبدو لمن يراها لأول مرةضعيفة ،خجولة وهشة إلى أقصى حد

ضاقت عيناها وهى تحذره بقوة :" اسمعني جيدا يا من لا تمت للزين بصلة ،إياك أن تفكر بلمسي مرة أخرى"

ثم تركت ياقة قميصه ودفعته ليسقط أرضًا ربما من الدهشة أكثر من أثر الدفعة , فنظرت له باشمئزاز :" وإياك أن تفكر للحظة أن تكون سببا لتهديد وجودي في الاسبيتالية أو محاولة العمل على خروجي من هنا وقتها لن أجد ما أخسره ولن يهمني وقتها أن أقتلك وأخلص الناس من شرورك"

وبالفعل كان هذا اللقاء بمثابة لقاء تأديبي لزين فكان يتحاشى وجود نادية قدر المستطاع واذا اضطر للتعامل معها كان يتحدث بأدب جم لم يعتده من قبل ويتحلى معها بسلوك راقي حتى إنه لم يعد يضايق أحدى الممرضات أوالمريضات بعد هذا اللقاء.

****

اتسعت ابتسامة نديم كعادته عندما فاجأه صلاح بالزيارة في الاستديو

:" أخبرني سعد أنك بغرفة تحميض الصور فلم أشأ أن أفسدها بإشراق نوري في الغرفة إذا لحقتك إلى هناك"

ضحك نديم بقوة وهو يفتح ذراعيه ليحتضن صلاح وهو يهتف :" بالطبع يا صديق إشراقتك كانت لتفسد الصور وسيكون ذنب الزبائن المساكين في رقبتك ،كيف حالك يا رجل ؟ "

جلس صلاح وهو يجيب :" بخير والحمد لله ،كيف حالك أنت ؟"

:"تمام .... ثم قطع حديثه عندما رأى بوجه صلاح حديثاً لم ينته

وكان حدسه

صادقا فما لبث صلاح أن مال ناحيته قائلا :"أريدك "

استجاب نديم على الفور وطلب من سعد أن يعتني بالاستديو وإذا تأخر يمكنه أن يغلق ويعطى المفتاح لوالدته .

وبالفعل لم تمض دقائق حتى كانا يبتعدان عن المكان بخطوات سريعة

:" خير يا صلاح "

أومأ الأخير برأسه وهو يقول :" خير إن شاء الله ،الحقيقة هناك أمران أود التحدث بشأنهما "

عقد نديم حاجبيه في تساؤل :" أمران؟"

:" نعم "

ابتسم نديم ليحثه على الحديث :"ماذا بك يا رجل لماذا أنت متردد كذلك هذه ليست طبيعتك "

تنحنح صلاح وهو يجيبه :" أنت بالطبع تعرف أن هناك عملية تلوح في الأفق ؟"

هز نديم رأسه موافقاً:"نعم أعرف "

:"جيد لقد تحدد دورنا ،سنذهب لجلب السلاح من الإسكندرية "

لمعت عينا نديم وهو يهتف:" حقا ؟"

ولكنه ما لبث أن وجم قائلاً:" لماذا لم أعرف بشكل مباشر ؟"

هز صلاح كتفيه :" أنت تعرف يا صديقي لا قواعد في عملنا ثم إن منير قد أخبرني لأبلغك "

:" الحاج عزام هذه المرة أيضاً ؟"

:" نعم سنجلب السلاح من عنده هذه المرة أيضا ،أنت تعرف أنه رجل ذو خبرة واسعة بالمجال ويفيدنا والمرة السابقة استطاع خدمتنا بالأمر جيداً "

:" نعم هو كذلك ،تعلم العمليات السابقة التي نفذناها استطاع أن يجلب لنا ما نحتاجه تماما دون سؤال وهذا ما نحتاجه "

أومأ نديم برأسه :" صحيح ،ومتى السفر بإذن الله ؟"

:" إن شاء الله في خلال ثلاثة أيام "

:"عظيم اليوم الخميس أليس كذلك ؟"

:" بلى لماذا تسأل ؟"

:" صلاح ... أنا أريد أن يرافقنا حمزة هذه المرة "

كان صلاح أقدم من نديم في جماعة المقاومة لذلك يسأله على استحياء , هتف به صلاح

:" يا نديم أعلم أنه سريع الاستجابة لكنه لازال حديث وطري العود لا يملك الخبرة الكافية "

:"أنا أعرف ذلك جيدا يا صلاح ولكن من أين تأتى الخبرة ؟

بالتدريب أولا ثم الواقع العملي بعدها أليس كذلك ؟"

:"بلى ولكن..... "

قاطعه نديم :"على ضمانتي الخاصة يا صلاح صدقني ثم إنه سينفعنا "

:"و كيف ذلك ؟"

ابتسم نديم وهو يخبره :"عيونه زرقاء ربما يصلح لأن يكون انجليزيا مثلاً "

فهم صلاح ما يقصده نديم من صلاحية حمزة بالتنكر في شخصية رجل إنجليزي

:"ولكننا لم نخبر منير أننا سنصحب أحد معنا وهذا قد يعرض العملية كلها للخطر وأنت تعرف منير"

مط نديم شفتيه :"أعرف ولذلك أريدك أن تلتقي به ثانية وترشحه من أجلى ،ثق بي فقط"

تنهد صلاح :" ليست مسألة ثقة وانت تعرف ذلك "

:"نعم أعرف ولكن ..... "

قاطعه صلاح هذه المرة :"حسنا يا نديم أرجوك لا تكن لحوح كابنتك سعاد"

ضحك كليهما وفجأة هتف نديم كأنما تذكر شيئاً:"هذا عن الأمر الأول ماذا عن الثاني ؟"

تبدل حال صلاح في لحظة واحمر وجهه وقال مسرعا كأنما يريد التخلص من حمل ثقيل:" أنا أريد الزواج بعزيزة أختك"

ساد الصمت بعدها وصلاح يحدق بوجه نديم لكنه لم يستطع أن يعرف ما يفكر به الأخير أو ما يدور بعقله

ظل نديم يحدق به طويلاً وكانت أعصابه لا تحتمل فهتف :" نديم أنت أخي وصديقي وأنا أحب أختك وأريد الزواج بها ما رأيك ؟"

لم يرد نديم للحظات بدت لصلاح كسنوات طويلة لكن نديم بالنهاية ابتسم قائلاً

:"يا لجرأتك وتقولها أمامي هكذا دون حياء" ،ثم فتح ذراعيه لاحتضان صلاح

:"بالطبع ومن سأجد خيرا منك زوجًا لأختي ولكن....."

امتقع وجه صلاح :"ولكن ماذا ؟"

:"لا تفزع هكذا يا سنة أولى حب إن شاء الله أفاتحها في الأمر بعدما تنفذ العملية"

رفع صلاح كفه مصافحاً:"بالطبع اتفقنا "

.....

فوجئ نديم في اليوم التالي بخبر موت والد سعد، هرع إلى حيث يسكن سعد وعرف أنه كان على صواب تمامًا ألا يوافق سعد في زواجه من أخته , فالبيت

قديم ومهترئ لكن ما أثر في قلبه حقاً هو سعد وإخوته ،رأى في سعد نفسه .. نديم الذي تحمل مسئولية إخوته بعد موت والده ،آلمه الموقف المكرر أمامه وكأنما الأيام تعيد نفسها لكن بوجه آخر أشد قسوة.

كان سعد يبدو مهموما لأقصى درجة ليس لأنه فقد والده فحسب لكن لأنه فقد حتى الحلم بالارتباط برقية والحلم في استكمال دراسته أيضا الآن لا وقت لديه ليرى نفسه ،الآن ليس هناك سوى المسئولية الجديدة القاسية ،ليس هناك سوى البحث عن المال والمال فقط هو من سينقذه من ورطته ولكن من أين له به ،يجب أن يجد عملاً آخر بالإضافة لعمله مع نديم ،لن يتخلى عن إخوته ،عرف الآن سبب رفض والده لأمر زواجه ربما كان يشعر بدنو أجله

:"يا الله ساعدني "

.....

تلقت رقية الخبر لكنها لم تستطع أن تبدي سوى الشفقة وأن تقول كما قالت والدتها

:"لا حول ولا قوة إلا بالله "

لا تستطيع أن تكشف لأحد ما تشعره نحو سعد انسحبت إلى حجرتها بحجة أنها تعانى الصداع ،وهناك عانت ما هو أكثر قسوة ، دموعها التي سالت بصمت دون أن تستطيع رفع صوتها لئلا يعرف أي

شخص وخصوصا والدتها

كانت تود لو ركضت إلى حيث سعد وبكت والدها هي أيضا واختلطت دموعهما

الموت قاسى كجلدات سوط ولكن الفرق أن السوط ضرباته تشفى إلا الموت فليس منه شفاء.

****

اتفق نديم مع حمزة أن يكون السفر فرادى كل بمفرده حتى ولو على نفس القطار كأنما لا يعرفون بعضهم البعض على أن يلتقي ثلاثتهم في الإسكندرية

في مكان ما قبل أن يذهب نديم وصلاح لجلب السلاح من الحاج عزام أما حمزة فدوره مقتصر على تأمين الأسلحة في طريق العودة لأنه حتى مع ثقة نديم به لا يمكنه أن يكشف له مصدر تمويلهم بالسلاح , ليس بهذه السرعة .

****

كانت نادية زوجة نديم السابقة تتردد كثيرا على بيت أهلها على غير عادتها منذ أن تزوجت لكنها تأتي الآن كثيرا لترى نديم ولكنها فوجئت بسعد الذي لم يستطع أن يتوقف عن العمل ولو ليوم واحد حتى حزنه على والده اجتره إلى

مكان عمله لا وقت للفقراء ليحزنوا , سألته نادية عن نديم فأخبرها

:"لقد سافر الإسكندرية "

رفعت أحد حاجبيها :"وماذا يفعل هناك ؟"

:"لا أعرف لقد طلب منى العمل بدوام كامل حتى يعود "

مطت شفتيها :"آه "

ثم استدارت لتغادر الاستديو ولكنها عادت مرة أخرى إلى سعد الذي بدا مهموماً للغاية لكنها قيمت ملابسه سريعاً وعرفت أنه فقير فقالت

:" قلت لي اسمك محمد ؟"

نظر لها :" لا اسمي سعد "

ابتسمت بتكلف :" امممم وكم هو راتبك يا سعد ؟"

لم يجبها ولكنها قالت :"انت تعمل مع نديم وهو نفسه ليس رجل غنى اعتقد ان اجرك ليس كثيراً "

نظر لها بتساؤل ،ترى ماذا تريد تلك المرأة منه ؟

:" ما رأيك لو أعطيك راتبا شهري يا سعد في مقابل خدمة بسيطة تؤديها إلي ؟"

:"خدمة ؟"

:" نعم اريد ان اعرف تحركات نديم"

هز رأسه :" لا أفهم ماذا تعني بتحركاته ؟"

:"تحركاته يا سعد اريد منك ان تراقبه من اجلي "

:"ماذا ؟"

****

:"أعرفكما صلاح هذا حمزة ،حمزة هذا صلاح "

مد صلاح يده ليصافح حمزة وهو ينظر له بتفحص يحاول تقييمه:" أهلا وسهلا بك معنا "

اكتفى حمزة بإيماءة برأسه أثارت حفيظة صلاح الذي ظن أن الفتى يجب أن يبدي حماساً أكثر من ذلك على الأقل.

أخبره نديم وهو يمزح :" لا تنتظر منه أكثر من ذلك فحمزة قليل الكلام للغاية "

إلى حد ما فهم صلاح موقفه فأومأ برأسه متفهما ثم قال في جدية :" ستنتظرنا هنا وبعدما ننتهي من جلب السلاح سنعود مرة أخرى كي نغادر سوياً هذه المرة" .

:"ولماذا لا أتي معكم ؟"

:"المعرفة على قدر الحاجة يا حمزة أنت هنا ليس من أجل ان تعرف مصدر السلاح إنما لتأمينه مفهوم ؟"

كان صلاح لا يبدو مريحاً جداً بالنسبة لحمزة لكنه بدا واثقاً من عمله جيدا وقد أعجبه هذا ووافق عليه.

****

عندما عاد صلاح ونديم كانا قد طلبا من الحاج عزام تأمين مواد

متفجرة وبنادق تلزم للمهمة واتفقا أيضا على طريقة النقل ،اتفقوا أن يعود ثلاثتهم

في سيارة ملاكي على أن يتنكر حمزة بدور ضابط انجليزي حتى يستطيعوا الإفلات من الكمائن المنتشرة لكن حمزة اعترض على هذه الخطة فبادره صلاح بسؤال:" لماذا تعترض يا حمزة ملامحك هذه ضامن جيد لنجاح الخطة "

:"ربما ملامحي ضامن جيد ماذا عن ملامحكما ثم أنني لا أجيد الانجليزية ماذا لو تحدث معي أحدهم ماذا أفعل وقتها ؟"

أجابه صلاح وقد أدرك صواب ما يقوله :"أنت محق إذن ماذا نفعل ؟"

أجاب نديم ممازحا :" الحل أن يكون حمزة امرأة "

نظر إليه الاثنان ثم ما لبث أن قال صلاح بحماس :" نعم هذا هو الحل"

هتف حمزة :" وكيف ستبرر هذا ؟ و أشار إلى شاربه"

فابتسم صلاح رغما عنه

:" ستغطي وجهك ببيشة ثقيلة (نقاب) وسأتنكر أنا بشيخ أزهري ونديم أيضا ولن يجرؤ أحد من الإنجليز أن يطلب منك كشف وجهك هم لا يريدون مشاكل مع الأزهريين أيضا "

أجاب نديم وقد بدأ يتحمس للفكرة :" نعم ولكن من منا سيكون

زوجها ؟ ثم ضحك واستدرك"

:"أقصد زوجه"

ابتسم حمزة لأول مرة فهتف نديم وكأنه يسعده ابتسامة حمزة :"يا إلهي هل ترى ما أراه يا صلاح لقد ظهر لحمزة فم يبتسم"

****

تم تحميل البنادق في السيارة والحرص على إخفائها قدر المستطاع أما القنابل فاقترح حمزة بما إنه امرأة الآن أن يخفيها في بطنه كأنه حامل ورغم أن نديم وصلاح ضحكا كثيرا للفكرة إلا إنها بدت لهما فكرة منطقية للغاية.

****

اقتربت السيارة من أحد الكمائن وكان كل منهم قلبه ينبض بجنون وترقب

:"قفي مصرية انتِ"

أشار له العسكري الانجليزي فتوقف نديم بهدوء فلقد تغيرت الخطة قليلا وأصبح نديم سائقاً ويجلس في المقعد الخلفي الشيخ إمام وزوجته التي لم تكن سوى حمزة بالطبع:" انزل من السيارة " نزل نديم من السيارة كما أمر واقترب أحد العساكر منها ليرى الوجوه بداخلها وبعد قليل طلب من نديم فتح حقيبة السيارة للتفتيش فتنفس نديم بتوتر لكنه لم يبد اعتراضاً ،كانت الأسلحة مخفية جيدا

ولكنه كان خائف،اقترب من حقيبة السيارة لفتحها لكنه فوجئ بصراخ لأول وهلة لم يعرف مصدره لكن بعد قليل عرف أن الصراخ من داخل السيارة نفسها وكان صوتاً أنثوياً متألما:" ساعدني يا شيخ إمام انجدني ي أخي سألد ....انجدوني يا نااااااااااااااااس" عاد العسكري الانجليزي ليجد امرأة حامل تصرخ يبدو أنها تعاني المخاض وتستنجد بزوجها وعلى ما يبدو أن الله أراد نجاتهم من الموقف فأمر العسكري نديم أن يغادر على الفور ليقود السيارة بالمرأة إلى أقرب مستشفى ولم ينتظر نديم لحظة لينطلق بالسيارة وهو يكتم ضحكة عالية كادت تقتله (حمزة أنت مصيبة)

الفصل التاسع

كان منير ينتظر ثلاثتهم على أحر من الجمر ،كلما نظر إلى ساعته شعر أنها مجرد سلحفاة عجوز لا تتحرك أو أنها تعود للوراء ولا تتقدم لثانية بل تتأخر لساعات طويلة كان بطبيعته لا يقلق هكذا ولكن لوجود ذلك المدعو حمزة معهم فهذا ما يقلقه ،دائما ما يقلق من الوافدين الجدد إلى جماعتهم صحيح هو يثق بنديم ويثق بمن يرشحهم إلا أنه كان يجب أن يلتقيه بنفسه قبل أن يوافق صلاح في اصطحابهم إياه في مهمة كهذه,كان ينتظرهم في شقة الطوارئ التي يشتركون جميعها في دفع إيجارها ،كانوا يخفون فيها السلاح بل ويختفون فيها أنفسهم إذا ما أحتاج أحدهم للاختفاء عن الأنظار لمدة معينة أو إذا ما أصيب أحدهم في إحدى المهمات فجأة طرق الباب ثلاثة مرات متتالية بوتيرة سريعة نوعاً ما فعلم أنهم وصلوا ولكن يبقى أن يتأكد من كلمة السر حتى يفتح لهم فهتف

:"من ؟"

أجابه صلاح بصوت خفيض :"مصر حرة "

أجابه :"بأولادها الأحرار "

ثم فتح الباب ليحتضن صلاح بقوة وكذلك نديم كأنه كان يفرغ شحنة

توتره في معانقتهم لكنه توقف للحظة وهو يحدق بذلك الشاب النحيل وراء نديم

فتراجع نديم إلى حيث حمزة وقال بحماس :"أقدم لك اكتشافي .. حمزة .... أقصد زوجة الشيخ إمام"

عقد منير حاجبيه في تساؤل فروى له نديم ما حدث بالضبط وكانوا لا يزالون يرتدون زيهم التنكري وكذلك حمزة مما جعل تخيل الأمر مضحكاً للغاية ،كان

منير يشعر بالسعادة الشديدة لإتمام الجزء الأول من المهمة هذا يعنى أنهم اقتربوا كثيرا من تحقيق الهدف الذي يسعون إليه ويبدو أن قلقه من حمزة

أصبح غير مبرر وخصوصا عندما روى له نديم ما حدث ورأى ثقته به وصلاح أيضا فتقدم ناحيته وهو يقدم نفسه :" أنا منير " ،ومد يده مصافحا فمد حمزة يده بدوره

:" تشرفنا وأنا حمزة "

:"أهلا بك معنا لقد سمعت عنك من صلاح وما فعلته اليوم يؤكد أن اختيارنديم في محله "

أومأ حمزة برأسه باقتضاب كعادته :"الشرف لي أنا في الانضمام إليكم "

****

غادر كل منهم وحده كي لا يلفت النظر إليه ولكن بعدما ابتعدوا عن المكان

التقى صلاح ونديم مرة أخرى وعاجله صلاح بالحديث :"نديم لقد عدنا من الإسكندرية وأدينا مهمتنا بنجاح الحمد لله ما رأيك لو أحضر أبى وأمي لزيارتكم غداً "

ابتسم نديم وهو يمازحه :" أأنت متعجل لهذه الدرجة ؟"

أومأ برأسه :"نعم أنا كذلك بالفعل "

عقد نديم حاجبيه ومط شفتيه :" إحم ..... أعتقد يا صلاح الوقت غير مناسب ثم إن العملية لم تنفذ بعد "

عقد صلاح حاجبيه بدوره :" ولماذا الوقت غير مناسب ؟ثم إن العملية ستتم إن شاء الله وستنفذ كما يجب "

شعر نديم بالتوتر يتصاعد في نبرة صوت صلاح فبدأ يشعر بالتوتر هو الآخر ولكن يجب عليه أن يخبره بما يجول في خاطره :" أنا أعرف أنك تريد للأمر أن يتم سريعاً ولكن أنسيت سعد ؟"

عقد صلاح حاجبيه :" سعد؟ وما به سعد ؟"

بالطبع أنت تعلم بموت أبيه :" بلى أعرف ذلك "

:"نعم تعرف ولكن ما لا تعرفه أنه قبلها مباشرة تقدم لخطبة رقية"

هز صلاح رأسه وهو لا يفهم ما يقال له :" سعد ورقية! "

:"نعم لقد تقدم سعد لخطبتها وتم تأجيل الأمر إلى حين إنهاء

دراسته والآن قد مات والده فلا أظن من المناسب الآن إتمام خطبتك وعزيزة لابد أن نؤجلها ولو لبعض الوقت "

صاح صلاح غاضباً:"وما لي أنا وسعد وأمر خطبته لرقية"

ثم صمت قليلاً:" نديم أنا لست صغير السن كي أنتظر العمر كله "

هتف نديم بدوره:" أنا لم أطلب منك انتظار العمر كله أنا فقط أردت تأجيل الأمر لبضعة أيام أخرى من أجل سعد لا أريده أن يظن أننا لم نراعي شعوره"

للحظة صاح صلاح بغضب :" لقد طفح الكيل أنا انتظرت كثيرًا ربما أكثر مما تتخيل كي أستطيع مفاتحتك بالأمر"

:"صلاح أنا أريد تأجيله لا إلغاؤه "

:"فليؤجل إلى آخر العمر إذن لقد مللت"

ثم ترك نديم وابتعد غاضباً ونديم يحدق في أثره وهو يشعر بالذهول لكل هذا الغضب الذي يبديه صديق عمره ؟,

أما صلاح كان يشعر بالفعل بالغضب الشديد لقد انتظر طويلا جدا ،انتظر الوقت المناسب للتقدم فضاعت منه للمرة الأولى وتمت خطبتها ثم انتظرثانية وكله أمل أن يحدث الله بعد ذلك أمراً وتكون له وحده دون غيره وحدث ما تمناه وسهر ليال طوال يدعو إليه ، فانتظر مرة أخرى كي تلملم شتات نفسها وانتظر وانتظر حتى يجد

بنفسه الشجاعة لمفاتحة نديم والآن يأتي نديم ويخبره أن ينتظر مرة أخرى وكأن الأمر هين وكأنه لم يمل الانتظار.

****

لم يكن نديم يشعر بالضيق من تصرف صلاح الغاضب بل كان يتفهم شعوره ويقدر ما يمر به فهو قد عاش الحب من قبل ويدرك لهفته ولكن عزيزة أخته

ورقية أيضا كذلك وهو ليس غليظ القلب للدرجة أن يسعد هذه على حساب تلك ،ولكن صلاح عقد الأمور من حوله وذهب مغاضباً على الأقل يجب أن يفعل شيء من أجل صديقه ويخبر عزيزة بما كان من صلاح.

****

بعد أن ألقى التحية على والدته وإخوته وزينب التي كانت عينيها تخبره باشتياقها الشديد له وكالعادة تجاهل الأمر ربما تدرك يوما ما أنه لا أمل يرتجي من وراءه ، سأل عن سعاد ولكن والدته أخبرته أنها نامت بعد يوم طويل من اللعب فذهب إلى الحجرة وقبل وجهها الملائكي وترك لها حلواها المفضلة بجانبها ثم خرج ،سألته زينب أن تحضر له الطعام ولكنه رفض بأدب وطلب من عزيزة أن تدخل غرفته ليسألها عن ملابس معينة لا يجدها منذ فترةلم يشك أحد بالأمر ودخلت كل منهن إلى حجرتها بينما لحقته عزيزة إلى حجرته

سألته

:" ما الذي تبحث عنه تحديدا يا نديم ؟"

:"اجلسي يا عزيزة "

كانت أخته هادئة للغاية رقيقة كزهرة بيضاء هشة ومرهفة المشاعر ،كان قديماً إذا صاح بها أو دفعها بقسوة وهم صغار كانت تلومه برقة ثم تبتعد لمسح دموعها وكان لا يستطيع وقتها الانتظار ليصالحها ويعتذر إليها ابتسمت في هدوء

:" أي ملابس تريد ؟"

لم يتحدث مباشرة لأنه كان يبحث عن كلمات يبدأ بها وأخيرا سألها بشكل فاجئها:" ما رأيك بصلاح يا عزيزة ؟"

احمر وجهها بشدة وشعرت بالارتباك فمجرد ذكر اسمه يورث قلبها ارتباكاً ونبضات غير اعتيادية ،وانطلق عقلها يجيب لكن دون أن ينطق لسانها بحرف هي لا تجرؤ ،هو بالنسبة لها ليس مجرد صديق لأخيها إنما هو في الحقيقة فارسها الذي تتمناه حتى قبل أن تتم خطبتها للمرة الأولى كانت تراه

كذلك وكانت مشاعر الاعجاب والحب تزداد ناحيته يوما بعد يوم ولكنه لم يبدِ نحوها يوما أي مشاعر تشجعها وجاء والدها رحمه الله ليخبرها أن هناك من

تقدم لخطبتها وبلهجة آمرة لم تستطع فعل أي شيء بمواجهتها ولم

تستطع بالمقابل أن تخبره بمشاعرها حيائها يمنعها من ذلك,
صمتت وهى تفكر في صلاح ثم أجابت سؤال نديم بسؤال
:" رأيي به ؟ كيف ؟"
حرك نديم كفيه في الهواء :" رأيك به يا عزيزة ،كيف ترينه ؟هل يعجبك كرجل ؟ أنا وأنت نعرف أخلاقه جيدا لهذا أسألك عنه نفسه هل تفهمينني"
احمر وجهها مرة أخرى وهى تبتلع ريقها بتوتر:" صلاح إنسان جيد"
:" فقط ؟"
:"ماذا تعني ب فقط ؟"
: "أعني ..... وصمت قليلا ثم قال :" بصراحة صلاح تقدم لخطبتك لكنى أجلت الأمر من أجل سعد وأريد معرفة رأيك والآن"
شعرت أنها محاصرة ،ماذا تخبر أخاها ؟موافقة بشدة لأنها تحبه أم رافضة بقوة لأنها تخاف أن تجرح مرة أخرى
عندما لم تجب حاول نديم حثها على الحديث :" ها ماذا قلت ؟ ما رأيك ؟"
هزت كتفيها بحيرة :" لا أعرف "
:" عزيزة أرجوك لا مجال للحيرة إما أن توافقي أو لا"
:"ألا أحتاج لوقت للتفكير على الأقل ؟"

:"بلى تحتاجين ولكن صلاح يحبك حقا ويريد الزواج بك أنت لم ترينه وهو يصيح في غاضباً عندما أخبرته بضرورة تأجيل زيارتهم لبعض الوقت "

خفق قلبها بقوة هل حقا ما تسمع ؟ صلاح يحبها ؟ إنها تسمع الآن ما تمنت سماعه طوال عمرها فلماذا تشعر بالحيرة، لم يتقدم صلاح شفقة بها أو مجاملة لصديقه بل لأنه يحبها كما يخبرها نديم الآن، ربت على كتفها بحنان:" هل فكرتِ ؟"

أطرقت برأسها في حياء :" نعم "

:"و....."

:"موافقة "

****

لم ينم سعد ليلتها وهو يعاني فوضى عارمة في مشاعره فما طلبته زوجة نديم السابقة جعل مشاعره تعاني حيرة ما بعدها حيرة ،كان منقسما ما بين ما عرضته تلك المرأة وما سيوفره له الراتب الذي حددته لهذه المهمة ولإخوته

من مساعدة له على الإنفاق عليهم بعد وفاة والده ورقية التي بات الارتباط بها شبه مستحيل وأصبحت بعيدة المنال أكثر من ذي قبل وبين واجبه ناحية نديم الذي لم يعامله يوما كمستخدم عنده إنما كأخ صغير حتى عندما تقدم لخطبة رقية لم ينهره أو يعامله بتعالي بل

نصحه ووعده بأن يفكر بالأمر ثانية إذا عاد له حاملا لشهادة دراسته , هه سخر من نفسه :" عن أي شهادة يتحدث وهو قد ترك دراسته حتى يستطيع العمل بدوام كامل من أجل توفير الطعام له ولإخوته"

تنفس بتوتر لولا أن نطق اسم رقية بالخطأ لكان القرار أسهل كثيرا فعندما كانت نادية تعرض عليه المال قفز اسم رقية على لسانه حتى قبل أن يتسنى له التفكير وهتف بها :" ورقية ؟"

ففهمت هي الأمر على الفور وأنه يحب رقية فلمعت عينيها بخبث وهى تهمس كالفحيح :" بالطبع سأساعدك على الاقتران بها إن ساعدتني أنت , أما إذا لم تفعل صدقني سنعود أنا ونديم سوياً وسأحرص ألا ترتبط برقية أبدا ثم أنني لا أريد أن أؤذيه"

ظل يفكر كثيرا ثم غلبته نفسه وزينت له سوء عمله وقرر أن يراقب نديم في كل شيء ما دام معه وحسم الأمر لنفسه :" إما رقية والمال أو الجوع لي ولإخوتي، وربما أيضا ينالني ثواب الجمع بين زوجين افترقا"

****

فوجئ صلاح بنديم يقف أمامه فابتسم تلقائيا ولكنه كان يشعر بالإحراج الشديد لما فعله من قبل ولكن ابتسامة نديم طمأنته قليلا هتف نديم وهو يفتح ذراعيه

:"ماذا هناك يا صديق ؟ ألن تنهض لاستقبالي ؟"

نهض صلاح على الفور وعانقه بحرارة كاعتذار عما بدر منه لكن نديم أبعده بخشونة:" وفر هذا العناق الحار عندما تعرف البشرى التي أسوقها إليك "

خفق قلب صلاح بعنف:" بشرى ماذا ؟"

جلس نديم على أقرب مقعد ووضع الساق فوق الأخرى واتسعت ابتسامته

:" لاااااا اطلب لي شيئا أشربه أولاً "

سارع صلاح لفعل ما طلبه نديم بالضبط , كان نديم يتلذذ بتعذيبه ورفض الحديث حتى بعدما جاءت المشروبات وبدأ صلاح يشعر بالتوتر:" ماذا هناك يا نديم ؟ لا تتلاعب بأعصابي رجاءً"

قرر نديم أخيرا أن يخبره :" لا شيء من الممكن كنت أستغل ذهابك غاضباً لأتخلص منك للأبد ولكن ماذا أفعل وأختي موافقة عليك !"

سارع صلاح بالاعتذار :" أنا آسف يا نديم سامحني لقد تسرعت في غضبي و....."

ثم قطع حديثه كمن تنبه لأمر مهم :" ماذا قلت للتو ؟"

مط نديم شفتيه متظاهرا بالضيق:" قلت إن

أختي.....عزيزة.....تريدك أقصد لقد أخبرتها ووافقت على الزواج منك"

فتح صلاح فمه للحظات طويلة وظل هكذا لبعض الوقت حتى إن نديم هتف بمزاح:" يبدو أن أحدهم اختار لفمه عمل مصيدة للذباب ،هل سمعت ما قلته ؟ "

انتبه صلاح على عبارة نديم وشعر أن قلبه يكاد يخرج من صدره من الفرح

ماذا قال نديم للتو ؟عزيزة وافقت على الزواج منه ؟ يا الهي :" ولكن أنت قلت ..... التأجيل"

وضع نديم كفه على جبهته بصورة تمثيلية :" يا الهي أنت تتمتع بمخ بسماكة فيل يا صديق"

:" قرار التأجيل كما هو كما أخبرتك من قبل من أجل سعد ورقية أما موافقة عزيزة فهو فقط لطمأنتك بعدما كدت تقتلني وأنا أخبرك"

اتسعت ابتسامة صلاح وبدأ في تقبيل نديم وعناقه وهو يهتف :" أنا أحبك يا نديم حقا أحبك يا أغلى صديق في الدنيا "

ضحك نديم :" كفاك يا رجل ماذا سيقول الناس إذا رأوك تقبلني على هذا النحو؟ "

وضحكا سويا وصلاح يشعر أنه يملك الدنيا بيمينه

****

التقى حمزة بنديم كما كان متفق واصطحبه الأخير حيث ينتظر الجميع ،كان حمزة يشعر بالتوتر لأنه سيلتقي بأناس لأول مرة

بخلاف منير الذي تعرف إليه من قبل قدمه منير إليهم

:"أقدم لكم حمزة عضو جديد معنا وله مستقبل باهر إن شاء الله "

سارعوا ليرحبوا به ويعرفهم منير الواحد تلو الآخر

:" جمال ... المطبعجي (عامل طباعة) والمسئول عن طباعة المنشورات وأحيانا توزيعها "

:"بهاء أفندي (ناشنجي ممتاز (يجيد التصويب)"

:"قدورة إسكندراني عشق القاهرة وقرر أن لا يغادرها أبدا"

:"عم سعيد "

جميعهم رحبوا به وصافحوه بشكل عادى إلا عم سعيد هذا توقف عنده للحظات ونظر إليه بامتعاض

:" يده طرية مثل البنات ومازال حديث العهد" ،ثم ضاقت عيناه فجأة وسأل حمزة :" لماذا أذنيك مثقوبتين ؟"

عقد نديم حاجبيه فهو على الرغم من معرفته لحمزة وملاقاته لأكثر من مرة لم يلاحظ ذلك ولكن عم سعيد معروف بحدة الملاحظة التفت الجميع ليسمعوا الإجابة من حمزة الذي أجاب بهدوء من اعتاد ذلك السؤال:" إنها أمي سامحها الله خافت علي من الحسد فثقبت أذني كي أبدو لمن يراني أنني بنت ولست ولد "

(كانت الامهات يخفن على أولادهن الذكور من الحسد فيدعون أحيانا أنهن أنجبن إناثا وليس ذكورا وأحيانا كان يتولى عنهم تلك المهمة

أحد أفراد أسرتهن)

ابتسم الجميع لما قاله حمزة لكن نديم اقترب منه هامسا :" لا تتضايق من عم سعيد إنه لا يثق بأحد بسهولة"

اجتمعوا إلى المنضدة وقدم لهم قدورة الشاي ثم جلس وبدأ عم سعيد بالحديث

:"الحمد لله وبفضله استطعنا الحصول على السلاح ولكن يبقى أن ندبر خطة لدخول المكان وقتل من به ليعرف الانجليز أننا نستطيع الوصول إليهم في عقر دارهم بل وقتلهم أيضا ولكن الجائزة الكبرى ليست في قتل من في الكامب فقط ...

انتبه له الجميع

الجائزة أن نصل إلى مكتب الضابط المسئول عن الكامب بالطبع يحتوى على الكثير من الوثائق المهمة التي نستطيع استخدامها بل ونشرها لفضح الانجليز فيما بعد"

هتف بهاء:"إذا كنا سندخل المكان إن شاء الله فما الصعوبة في دخول مكتب الضابط ؟"

التفت إليه عم سعيد:" نعم سندخل المكان ولكن معلوماتنا تقتصر على عدد الجنود المتواجدون بالمكان"

تدخل منير :" بالفعل حتى الخريطة التي نملكها للمكان بدائية للغاية ولا توضح مكتب الضابط حتى وإن كانت كذلك من أين لنا بمفتاح

الخزانة التي بها الوثائق؟"

سأل صلاح

:" ومن أين لنا بالمفتاح ؟"

حك منير ذقنه:" لقد راقبنا الضابط جيدا واستطعنا معرفة أنه لا يترك مفتاحه أبدا ويحمله معه في أي مكان فهناك طريقتين للحصول عليه إما قتله أو خطفه"

تدخل حمزة هذه المرة وهو يهتف:" خطأ فالطريقتين محفوفة بالمخاطر فقتله سيجعل الانجليز متحفزون وعدائيون للغاية وخطفه أيضا أول شيء سيفكرون به ما الذي يجعل المصريون يخطفون هذا الضابط بالذات إلا إذا كان يحمل شيئا ثمينا برأيهم"

انتبه الجميع لحديثه وتابعوه باهتمام لأنهم أدركوا منطقية حديثه فاستدرك

:" كمفتاح خزانة مثلا "

فقال عم سعيد وبدأ يتحمس:"والحل برأيك ؟" أجاب دون تردد :"سرقته"

هتف نديم باندهاش:" سرقته "!

:"نعم سرقته ،سنسرق المفتاح ،ولن يجرؤ هو على إخبار أحد أن مفتاح الخزانة (عهدته) قد سرق منه حتى وإن فعل سيأخذ ذلك بعض الوقت وساعتها.....طرقع بإصبعيه:"نكون ضربنا

ضربتنا"

شعر الجميع بالحماسة لهذا الاقتراح وشعر نديم بالفخر أنه السبب في انضمام حمزة إليهملكن صلاح استوقف الجميع قائلا :"الفكرة رائعة ولكن نحتاج لمن ينفذها ترى من فينا يتقن النشل(السرقة) كي يفعلها"

وجم الجميع بعدما واجهتهم الحقيقة لكن جمال نطق أخيرا بعد طول تفكير

:"الأمر لا يحتاج لنشال الأمر يحتاج إلى فتاة"

التفت إليه الجميع وارتفعت حواجبهم فأكمل:" نعم فتاة تسرقه وفى الوقت نفسه لا يستطيع الإبلاغ عنها أو يخبر عما حدث كما قلت يا حمزة وطريقة السرقة عن طريق فتاة معروفة" ،ثم غمز بعينه ففهم الجميع ما يقصد

هتف نديم :" ومن أين لنا بالفتاة أيها الذكي "

تدخل صلاح موجها حديثه لنديم

:" ألم تخبرني مرة أن جارتكم الجديدة تعمل في ملهى وتستطيع اصطياد الانجليز"

اتسعت عينا نديم على آخرها وهتف باستنكار شديد:" من تقصد ؟ نادية ؟ "

الملاك الأسود

.....

روائع الروايات الرومانسية

رضا الدسوقي

الفصل العاشر

عندما هتف صلاح بجملته شعر نديم أن ناراً تسرى بدمائه ،كيف فعل به ذلك ولكن الخطأ خطأه من البداية واللوم يقع عليه وحده فهو من أخبر صلاح

ولكن ما يؤلمه حقا أنه لم يستطع النطق بكلمة أو ينبس ببنت شفة وهو يرى الجميع متحمسون للفكرة بل ويحثونه على الاسراع لتنفيذها وجلب موافقة نادية إلا حمزة الذي رأى بوجهه امتعاضًا وربما احتقارًا لما يسمع ولكن ماله وحمزة الان المهم هي فقط .

حتى صلاح عندما وجه إليه اللوم على ما قاله وأنه بهذا قد ورطه هتف به قائلاً:" إن هذا هو عملها ولقد رأيتها أنت تفعل ذلك وأخبرتني ،ماذا هل ستتظاهر بالشرف والعفة الآن ؟"

لم يستطع الرد فسخرية صلاح ضربت رجولته ليته لم يخبره بشيء ، ولم يقل عنها شيء لأحد أيلقيها بيديه إلى أحضان الانجليزي ؟

شعر بقسوة الأمر على قلبه ,

سأل نفسه لماذا كل هذا الغضب والألم لأنه سيضطر لاستخدامها لاصطياد ذلك الضابط ،أليس في مهمة وطنية والسيطرة على الخزانة شيء رائع ومكسب آخر للمقاومة ؟

الحقيقة التي لا يمكنه انكارها انه يشعر بشيء مختلف تجاهها منذ اللحظة الأولى التي رآها فيها .

حتى عندما رآها في صحبة العسكري الانجليزي وهي تخرج معه من الملهى كان غضبه غيرة ليس فقط كما أقنع نفسه وقتها غيرة ونخوة على بنات بلده لكنه شعر بالغيرة أن يلمسها أحد غيره ،خفق قلبه بقوة عندما وصل لتلك النقطة بتفكيره لماذا يشعر أنها تنتمي لقلبه ؟ ما الذي يشجع قلبه إلى هذا الحد كي يخفق هكذا كلما رآها ؟ كلما تحدثت ، كلما التقت عينيه بأعينها الزرقاء التي يعتبرها قطعة من نعيم الجنة,إنها نفسها لم يصدر منها شيء يشجعه على العكس حتى عندما يعاملها بجفاء أو يلقي على مسامعها كلمات قاسية لا تقابل كلماته بالاهتمام ،لا تحزن ،لا تبكي ،لا تتوسل لئلا يخبر أحدا عما رآه منها فقط إنها لا تبالي وهذا ما يثير جنونه

حتى وإن تخطى شعوره هذا أو تجاهله ماذا سيفعل ؟

سيذهب إليها بكل بساطة ويخبرها :"نادية جارتنا العزيزة هل تقبلين باصطياد ضابط انجليزي من أجلنا وسرقته ؟ وتعريض حياتك للخطر من اجل مجموعتنا ؟ وإن رفضت يهددها بفضحها كما أخبره صلاح ؟"

يا إلهي أي موقف هذا الذي وضع فيه مرغما ولكنه خطأه من البداية

كان يجب أن يخرس ولا يخبر بما رآه لأحد أيا كان حتى ولو كان صديق عمره صلاح ؛

أشعل نديم سيجارته في الشرفة ونفثها بعمق كعادته عندما يحيره أمر ما وكان يعقد حاجبيه تماما حتى أن سعاد الصغيرة لم تفلح في رسم الابتسامة على شفتيه لتستسلم في النهاية وتتركه وحيدا في الشرفة كان يحيره تماما كيف سيخبر نادية بما يريد؟! الأمر ليس بالبساطة التي تحمس لها الجميع في الاجتماع ،إنه فقط لن يطلب منها المساعدة لكنه سيطلب منها شيئا لا يطيق حتى التفكير بحدوثه حتى وإن كانت هي اعتادت ذلك وامتهنته ,لا يعرف لماذا ولكن على الرغم أنه رآها بنفسه من قبل فإنه لا يصدق أنها تسبح في الوحل ،تجيده تختلط به ويلمسها وتلمسه ،لكنه أيضا يشعر بالخجل منها ومن نفسه , كيف بهذه البساطة بل الوقاحة من رأيه يخبرها بالأمر ! كيف يخيرها بين الموت بالفضيحة الذي لا يتمناه للأحد وبين الموت اختيارا والقاء نفسها بين أحضان ذلك الضابط بمباركته هو والبقية ؟! أين رجولته التي صرخت بها مؤنبة ؟ أين قسوته التي جلدتها ؟

ليته صرخ بالجميع وقتها أنه غير موافق ليته أخبرهم أنها حوريته التي خصه الله بها خفق قلبه كثيرا عندما فكر بها كذلك وأغمض

عينيه وتنفس بعمق يا إلهي ساعدني.

بعد تفكير طويل للغاية قرر أن يطرق بابها ويخبرها مباشرة بكل شيء ،أخبر والدته أنه سيسأل نادية جارتهم عن شيء يخص عملها كممرضة لأن هناك من سأله عن ممرضة لرجل طاعن في السن بأجر جيد ففكر بها, كانت هذا الحجة التي ساقها لوالدته عندما سألته إلى أين سيذهب ؟

عندما فتحت بابها شعر للحظة أن شفتيه تخذلانه وأراد التراجع عن الأمر برمته ليخبرهم أنها لم توافق ويتخلص للأبد من قلقه عليه ، بصوت رقيق أطار ما بقى من صوابه:" هل تريد شيئا يا نديم أفندي ؟"

ابتلع ريقه بتوتر وهو يحدق بها دون وعي منه :"الحقيقة ..... احم..... فقط أنا أريدك في عمل"

عقدت حاجبيها وقالت باندهاش :" عمل ؟"

:"نعم اي ... هل أستطيع الدخول من فضلك ؟ربما يطول شرح ما أريده قليلا هل تسمحين لي ؟ "

فتحت له المجال ليدخل وتركت الباب مفتوحا وهى تدعوه للدخول :" تفضل "

كان يشعر بقمة الخجل من أن يصارحها بشيء كهذا

جلس على أحد الكراسي وجلست هي في قبالته وهى تسأله باهتمام

:" خير يا نديم أفندي "

خيل إليه أنها تنظر له بتفحص فضح ما يكنه صدره، فابتلع ريقه وهو يحاول ترطيب شفتيه بلسانه :" الحقيقة الأمر يخص عملك ك.... بتر جملته قبل أن ينطق بكلمة قد تسئ إليها ثم استدرك قائلا :".. الأمر يخص عملك الليلي "

لم يشأ القول لها عملك كراقصة أو فتاة ليل فعقدت حاجبيها :"عملي ؟ وماذا قد يريد شخص مثلك من عمل فتاة مثلي ؟"

كانت تشير لما بدر منه سابقا لكنه تجاهل ذلك وهو يشعر بالإحراج فما واجهها به الأمس يطالبها به اليوم،أخذ نفسا طويلاً ثم بدأ بالشرح وهى تستمع إليه ،لم يكن ينظر إليها وهو يشرح الأمر فخجله منعه من ذلك لكنه عندما انتهى من شرحه رفع رأسه إليها.

يا إلهي هل هذه نظرة لوم بعينيها ؟ حدقت به لبضع لحظات صامته كاد فيها أن يخبرها أن تنسى الأمر وتعتبر أنها لم تره من الأساس ،دعا الله ألا توافق ،أن تطرده من شقتها وتخبره أنها لا تريد رؤيته مرة أخرى وهو سيخبرهم أنها رفضت وبدلاً من أن تخاف من تهديده بفضحها هددته هي بفضح أمرهم والابلاغ عنهم لكنها نطقت أخيرا بما لا يريد سماعه وبما أتى لسماعه منها ,

سمع موافقتها :" أي شيء يؤذى الانجليز أنا مستعدة له "
للحظة أراد أن يسألها إن كان هذا شعورها نحوهم لماذا رآها مع أحدهم يوما ؟لكنه تراجع مهزوم المشاعر لموافقتها ولخسته التي شعر بها الآن لمطالبتها بأمر كهذا. سألت عن بعض التفاصيل المكان ،الزمان وغيرها فأجابها نديم وعينيه لا تفارقها لكنها كانت تطرق برأسها فلم تر عينيه المحدقتين بها ،أجاب أسئلتها وأضاف أيضا أنها سترتدي شعرا مغايرا للون شعرها وتغير من شكلها حتى لا يستطيع الضابط التعرف إليها إذا أراد الابلاغ عن الأمر , قالها مرتجلا لأنه لم يتفق مع أحد على هذه الخطة الاضافية لكنه أراد تأمينها قدر المستطاع للحظة خطر بباله أنه ولو أول مرة يتمنى أن تلغى عملية للمقاومة بشكل نهائي ؛

أغلقت خلفه الباب وهى تشعر بالغثيان فسارعت إلى الحمام تفرغ محتويات معدتها، كان تشعر بالاشمئزاز منه ومما سمعته يلقيه على أذنيها رغم موافقتها ورغم أن أي شيء يؤذى الانجليز هي على استعداد له كما أخبرت نديم إلا أنها شعرت أنها تحتقر نديم بشدة في هذه اللحظة فعقدت حاجبيها واحتلت عينيها نظرة قاسية للغاية وهتفت :" الرجال دائما الرجال".

****

عندما خرج من شقتها وجد نفسه أمام نادية زوجته السابقة، يا الهي كم يشعر بكرهها لماذا تأتي الآن إنه لا يريد رؤيتها وخصوصا الآنعقدت حاجبيها الرفيعين وهى تسأله :" ماذا تفعل في شقة جارتكم الجديدة يا نديم ؟"

زفر بغضب وهو يصيح بها :" وما شأنك أنت ؟ إليك عني"

اقتربت منه وهى تحاول بث أكبر قدر من الدلال في صوتها :" شأني أنت يا نديم "

أبعد يدها بعنف :" لا .. لا شأن لك بي ابتعدي عن طريقي"

وتركها ونزل السلالم مسرعًا هو لا يريد أن يتواجد معها في مكان واحد إنه يشعر أنه يكره حتى نفسه.

لوت نادية شفتيها وهي ممتعضة مما فعله للتو لكنها همست لنفسها :" ستكون لي في النهاية يا نديم مهما فعلت لن أستسلم "

ثم نظرت صوب الشقة التي خرج منها ،اسمها نادية كاسمها أخبرها سعد بذلك فكرت قليلاً وهى تتحدث إلى نفسها :" نعم وما الضير في زيارة قصيرة "

اقتربت من الشقة ثم طرقت الباب لكنها شعرت بالغيرة تتسلل إليها عندما رأتها فالفتاة جميلة بحق إذن لماذا كان نديم عندها ؟

سألتها نادية :" نعم هل أستطيع مساعدتك بشيء ؟"

نظرت لها الزوجة السابقة بحقد ثم بدلت نظرتها تلك إلى الاحتقار

وهي تزيحها عن طريقها بقرف وتطلع داخل الشقة بنفس النظرة التي لم تفارق وجهها للحظة وهى تلمس أحد المقاعد باشمئزاز مما استفز نادية :" من أنت ؟ وكيف تدخلين بيتي بهذه الطريقة ؟"

نظرت لها الأخرى باحتقار وهي تمح يديها من لمس المقعد :" أتسمين هذا بيتا ؟هه أنا زوجة الذي كان في بيتك الآن"

رفعت نادية حاجبيها :" آه ..... ثم ؟"

رفعت أحد حاجبيها وهى تمط شفتيها :" ابتعدي عنه وإياك والاقتراب منه مفهوم "

لوت نادية شفتيها واقتربت من زوجة نديم السابقة ودفعتها من كتفها وهى تشير إلى الباب بإصبعها :" هيا إلى الخارج وأنا لا أنظر لأشياء الآخرين والمرة القادمة التي أراك فيها إياك ثم إياك أن أرى بعينيك تلك النظرة المحتقرة لي لأنني سأحرص على محوها بفقء عينيك هل فهمت ؟"

كانت تنظر لها بذهول وهى لا تصدق ما تسمعه للتو فاستدركت نادية وهي تدفعها مرة أخرى إلى الخارج:" بإذنك لا وقت لدي لتلك النظرات الذاهلة ", ثم أخرجتها وهيتغلق الباب ورائها بعنف والأخرى لا تكاد تصدق أنها قد تم طردها بهذا الشكل للتو لكنها أقسمت بحقد أن تريها من هي نادية.

****

لم يتطلع نديم إلى نادية ولا لهيئتها التي اتخذتها متنكرة كي تكون غطاء جيد لها إذا ما فكر الضابط في الإبلاغ عما حدث ،كان قد اتفق معها أن يصحبها إلى الملهى الذي يسهر به الضابط كل ليلة ليتركها هو وينضم للرجال الذين سيكونون حولها إذا ما حدث مكروه أو حدث أي شيء يستدعي تدخلهم,

كانت صامته لا تنبس ببنت شفة وكذلك هو وبعد قليل ظهر الملهى الذي ستدخله لمحاولة إغواء الضابط وسرقة مفتاحه, وأخيرا نطق نديم :" هذا هو الملهى"

خفق قلبها بتوتر لكنها لم تنطق إلا بإيماءة من رأسها واستعدت للاتجاه نحوه لكن نديم أمسك برسغها ولم يتركه حتى عندما نظرت إليه مستنكرة

:" أرجوك لا تدعيه يلمسكِ ،افعلي أي شيء ، دعيه يحتسى الخمر حتى الثمالة ،أي شيء لكن لا تجعليه يلمسكِ وانتبهي لنفسكِ جيدا .... أمر أخير ..... لو استطعت جعله ينام لوقت أكبر فهذا أفضل كثيرا كي نستطيع نسخ المفتاح وإعادته لك قبل أن يستيقظ اتفقنا؟"

(اتفقوا على نسخ المفتاح وإعادته للضابط حتى لا يشك في لحظة في العلاقة بين فقده للمفتاح وبين تخطيط سرقتها)

حدقت به بغرابه وخفق قلبها لماذا يهتم على هذا النحو وهو نفسه من أتى بها إلى هنا ! سحبت يدها منه بغلظة وهى تنظر له ساخرة

:" لا تقلق كثيرا يا نديم أفندي "

وهى تتجه إلى الملهى وقلبه يتجه معها حيث ذهبت ،تطلع في أثرها لبعض الوقت ثم لحق بها إلى الملهى وهناك رأى جمال والجميع وكل منهم متنكر بهيئة مختلفة لكنه عرفهم لأنهم اتفقوا فيما بينهم على اتخاذ هيئاتهم تلك باستثناء حمزة الذي اعتذر عن المجيء لمرض والده ولأن وجوده غير ضروري بشكل كبير في تأمين نادية .

عندما دخلت نادية إلى الملهى اتجهت على الفور إلى البار الذي يجلس عليه الضابط الذي عرفته على الفور من صورة اعطاها لها نديم والتقطها له هو في وقت سابق ،لم تكن تعري شيئا من جسدها لكنها اقتربت منه بدلال وهى تقول بصوت خفيض :" أنا أشعر بالعطش سيدي هل أجد عندك ما يرويني ؟"

صحيح أن الضابط لا يتكلم العربية جيدا لكنه يفهمها من طيلة وجوده بمصر وعندما نطقت جملتها لمعت عينيه بشهوة وهو ينطق متحمسا :" طبعا "

طلب إليها الخمر كما فعل لنفسه وأمسكت هي بكأسها وقربته إلى فمها لتبعده فجأة وهمست به بنفس النبرة التي أذابته :" لا هذا الكأس لا يكفيني أعتقد أن هناك أشياء أخرى يملكها سيدي" ،ثم غمزت بعينها فشعرت أن لعابه يسيل كالكلب فعرفت أنها نجحت في

مهمتها وبالفعل نهض من مكانه وهم بوضع يد على ظهرها فابتعدت عنه قليلاً ورفعت أحد حاجبيها :" لا ليس هنا" .

في اللحظة التي غادرت بها الملهى كان نديم يتطلع إليها والنيران تشتعل بقلبه وتحركت قدميه بالفعل للحاق بها ومنعها من المغادرة مع الضابط لكن جمال استوقفه ممازحاً:" ما هذه السرعة ؟ يبدو أن جارتكم هذه موهوبة تماماً "

أراد لحظتها لو كال لجمال اللكمات ليخرسه للأبد فلا أحد يشعر بما يشعره , كانت النيران تسرى بجسده وهو يتخيلها تلاطف ذلك الحقير أغمض عينيه بقوة لا إنه لا يريد حتى التخيل .....

غادر الجميع الملهى في أثر نادية والضابط يحاول التحرش بها وهى تمشى معه لكنها تنجح في الابتعاد كل مرة وتعود للقول أن حجرتها بالبنسيون ليست بعيدة ,

قد حجزوا لها في فندق صغير كي تكون تحت أعينهم وبالفعل لم يمض كثير من الوقت حتى كانت وحدها بصحبة الضابط الذي حاول أن يحتضنها فور دخولهما للحجرة لكنها أعلنت له بحسم أنها لن تكون له قبل أن ترى ما يستطيع فعله من أجلها ثم أخرجت زجاجة خمر كبيرة من تحت السرير أخبرها نديم بوجودها

حاول الضابط الاقتراب منها مرة أخرى وهتف بشهوة:" لكني معكِ الآن يا هلوة ماذا تريدين ؟"

أشارت لزجاجة الخمر وهى تهمس بدلال :" أريد أن تحتسي هذه من أجلي ووقتها أكون لك كما تريد"

نظر للزجاجة باستنكار وهو بالأساس يتمايل مما احتساه في الملهى :"كلها ؟"

":اممم، أومأت برأسها بغنج جعل رأسه يدور معها وبدأ باحتساء الكأس تلو الآخر في اللحظة التي لم يعد فيها يحتمل وقرر الدخول إليها وليحدث ما يحدث , سأله صلاح :"إلى أين يا رجل ؟"

:" إليها لقد تأخرت كثيرا في جلب المفتاح "

لكزه قدورة في كتفه ممازحا :" دعهما فيبدو أنها تتمتع بقدرات عالية "

ضحك الجميع مما أثار جنون نديم الذي صاح بهم وكل منهم يعلق بشيء عنها

:" إياكم والحديث عنها بذلك الشكل ومن يمتلك كلمة فليبقيها لنفسه"

سكت الجميع على الفور مندهشين من ثورته غير المبررة بنظرهم إلا أن بهاء ضحك ثانية معلقا :" يبدو أن أحدهم الجارة الحلوة تحلو له"

هم نديم بالرد لولا أن منير أشار لهم بالصمت لأن نادية ظهرت في نافذة حجرتها وتشير بوشاح ،كانت هذه هي الاشارة ليتقدم نديم ويصعد على الحجرة بهدوء محاولا ألا يراه أحد وطرق الباب ثلاثاً لتفتح له وتغلق الباب سريعاً قبل أن يستطيع سؤالها أو أن يختلس نظرة إلى الداخل قد تشي بما حدث بينهما.

****

أغلقت الباب وراءه وأسندت ظهرها إليه وهي تطلع إلى الضابط الثمل النائم على السرير كجوال فحم لم يستهلك وقتا كثيرا كي يصل إلى حد الثمالة لكنه قبلها بدأ بفك سترته واقترب منها لكنها لكمته بقوة تراجع على أثرها ليسقط على السرير فاقتربت منه مسرعة لتحصل على المفتاح وتعطى إشارتها ,

جلست على مقعد قبالة السرير وهى تطلع إلى الضابط وقلبها تعتصره آهة كتمتها كثيرا وعصتها دمعتها ونزلت لأول مرة منذ سنين وهي تنظر إليه وتطلع إلى بذلته العسكرية فارتعشت شفتيها فرؤية البذلة العسكرية الانجليزية تعيد لها بقوة الالام قاسية على روحها تماما شعرت للحظة أنها ستنهض من مكانها لتقوم بخنق الضابط أو ذبحه لكنها في النهاية استطاعت الصمود بفضل الله أمام رغبتها تلك حتى عاد نديم أخيرًا بنسخة المفتاح الأصلية لتضعها مكانها بسرعة ولم تنس سرقة نقود الضابط قبل أن تنصرف مع

ندیم لیظهر الأمر كأنه عملیة سرقة عندما یستیقظ الضابط.

****

انتهت مهمة نادية إلى هذا الحد ورفضت أن يصحبها نديم إلى أقرب مكان يوصلها إلى المنزل كما عرض عليها فتركها دون كلمة إضافية ثم اتجه إلى المكان الذي يلتقي فيه مع الرجال كما كان متفق , تغيب عم سعيد وحمزة عن تأمين نادية إلا أنه وجد عم سعيد هناك وبعد قليل وصل حمزة كان يبدو عليه الارهاق ليسأله صلاح عن صحة والده :" أصبح بخير الحمد الله اطمأننت عليه وها أنا ذا ،ماذا حدث ؟"

شرح له صلاح باختصار وبدأت موجة التعليقات مرة أخرى مما أثار نديم فصاح بهم :" أظن أنها ساعدتنا في شيء لم نكن نحلم حتى في الحصول عليه لولا فضل الله ثم هي فكفانا حديث عنها "

هم قدورة بالرد لكن منير استوقفه بإشارة من يده :" نديم محق وأظن أننا أعطينا الموضوع أكبر من حجمه لننتبه للمهم"

انهمكوا بعدها في توزيع الأدوار ومراجعة خريطة الكامب ,

قدورة وبهاء ومنير وعم سعيد سيحاولون اثارة الجلبة أمام الباب الرئيسي للكامب بينما كل من صلاح ونديم وحمزة وجمال يتسلقون السور الخلفي إلى الداخل ويقوم صلاح وجمال بزرع أكبر قدر من الديناميت في المكان بينما يحاول نديم وحمزة الوصول إلى الخزانة

والتسلل إلى مكتب الضابط عندما يفجر صلاح أول قنبلة في الباحة الخلفية للكامب مثيرًا ضجة وجالبا لاهتمام الجنود مستغلين حالة الهرج وقتها ويحصلان على الوثائق ويتراجعا للانضمام للبقية لأن المجموعة الأمامية المكونة من قدورة وعم سعيد وبهاء ومنير يكونوا قد دخلوا إلى الكامب مستغلين نوبة الذعر التي أثارتها القنبلة الأولى وتوزيع ما يستطيعون من ديناميت أيضا ومن ثم الانسحاب أيضا هم والمجموعة الخلفية لإتاحة الفرصة لضغط أزرار التفجير لإحالة المكان إلى كومة من التراب وقتل أكبر عدد من الجنود الانجليز,

سرى الأمر كما خططوا له تماما لولا أن في اللحظة الأخيرة وعند انسحاب حمزة ونديم هتف أحد الجنود الانجليز :" أنت مصرية.. أنت توقفي "

ثم أطلق الرصاص من بندقيته ليصيب حمزة في كتفه فاستند إلى نديم لكنه بعد لحظات هوى فاقد الوعي بين يديه .

الفصل الحادي عشر

من أنتِ ؟

خلجان الجنة عيناكِ..

وجموح الخيل يسكنها ..

برية كصخب الريح وطلع الزهر مرساكِ..

جنية مصباح أنتِ أم أنتِ ملاكي..

(العمر الماضي)

اتجه نديم على الفور إلى شقة الطوارئ مصطحبا حمزة الفاقد الوعي رافضا أن يصحبه أحد إلى هناك فخطتهم يجب أن تسير كما هي تماما بعدما تنتهي العملية بالنجاح أو بالفشل يتفرقوا كل إلى بيته وحياته ولا يجتمعوا مرة على الأقل لفترة من الزمن فالإنجليز سينقبون الأرض بحثا عن منفذي تلك العملية وسيصابون بحمى الشك والاعتقال لكل من يظنون للحظة أن له يد بالأمر ولقاءهم سيعرضهم جميعا لخطر الاعتقال بل والقتل أيضا فسجون الإنجليز تشهد على الفظائع التي يرتكبونها في حق من يعتقلوه ووسائل تعذيبهم التي قد تخضع أعتى الرجال.

أراحه على السرير الوحيد الموجود بالشقة برفق ثم ضربه برفق

على خده

عدة مرات محاولا إفاقته وأخيرا فتح حمزة عينيه بضعف فزفر نديم بارتياح

ثم همس به:"اطمئن إصابتك ليست خطيرة سأغيب لبضع دقائق وأعود وبصحبتي الحكيم إن شاء الله".

سعل حمزة بضعف وهو يقول:"ما دامت إصابتي ليست خطيرة فلماذا الطبيب؟"

رفع نديم حاجبه مبتسما:"إصابتك ليست خطيرة ولكنها رصاصة يا رجل"

ثم تركه دون إضافة كلمة أخرى وغادر الشقة لجلب الطبيب،في تلك اللحظة

التي سمع فيها حمزة صوت الباب كان يحاول مغادرة السرير حتى يغادر

الشقة كلها قبل عودة نديم لكنه بعد عدة محاولات أعياه الدوار وفقد الوعي

مرة أخرى.

كان الطبيب رجلا موثوقا به فذات يوم عندما أصيب بهاء واضطروا لحمله

إلى الشقة ولم يكن في استطاعتهم حمله إلى المستشفى وإلا

تعرضوا للخطر

جميعا صاح أحدهم أنه رأى لافتة لطبيب في أول الشارع وعند استدعائه لم يسأل كثيرا وإنما عالج بهاء بهدوء وعند مغادرته للشقة دعا لهم بالتوفيق لما يفعلونه لصالح الوطن وأنهم إذا احتاجوه في أي وقت فهم يعرفون أين سيجدونه هكذا ثم غادر حتى دون محاولة معرفة اسمهم لكنه أدرك بفراسته أنهم مجموعة غير عادية وعملها غير اعتيادي أيضا.

مر بعض الوقت حتى عاد نديم بالطبيب الذي لم يتسن له حتى تبديل ملابسه

فقد كان يرتدي معطفه المنزلي ويضمه بعناية كان رجلا خمسينيا أشيب

الشعر أصلعه لكنه كان يمتلك وجها بشوشا ومحببا لكل من يراه ،أخبره نديم

عن نوعية الإصابة فطلب منه الذهاب لشراء بعض الأشياء التي يحتاج إليها

والتي لم يجد الوقت لحملها معه عندما طرق نديم بابه.

وصل معه نديم إلى باب الشقة وفتحها له ثم أرشده للحجرة التي يرقد فيها حمزة ثم انصرف لجلب الأشياء التي طلبها.

طالع الطبيب حمزة الذي يرقد فاقد الوعي وعدل من نظارته الطبية

وبدأ بالكشف عن إصابته كانت الإصابة في الكتف ليست بالخطيرة ولكن يبدو أن مصابه قد فقد الكثير من الدم وبدأ بخلع قميص حمزة الملوث بالدماء لكنه عقد حاجبيه عندما وجد رباطا ضخما يلف صدر حمزة محيطا بظهره أيضا هز رأسه لكنه بدأ بفكه أيضا لكن يده توقفت بذهول وهو ينزع الرباط عنه،لكن لطول خبرته استطاع أن ينحي مشاعره جانبا ويواصل عمله بهدوء ومهارة استطاع خلالها تطهير الجرح وحمد الله كثيرا أن الرصاصة لم تستقر بالكتف وإنما اخترقته وهذا يسهل عمله كثيرا.

مضى وقت قصير عاد بعدها نديم حاملا معه ما طلبه منه فسارع الأخير بتغطية حمزة إلا من جرحه وبدأ يخيط الجرح بمهارة ثم نهض وجذب نديم معه إلى الخارج الذي سأله بلهفة:"ماذا هل حمزة بخير يا حكيم"

عقد الطبيب حاجبيه:"اسمه حمزة؟"

ارتبك نديم لأنه أفشى باسم صديقه بدون قصد لكنه حدث فما باليد حيلة

مط الحكيم شفتيه:"اممم حقا لا أعرف كيف أخبرك وهل ستصدقني أم لا لأنني نفسي غير قادر على تصديقه رغم رؤيتي له بنفسي"

شعر نديم بالقلق يتزايد بداخله ترى ماذا يقصد الطبيب وما الذي رآه بنفسه:"ماذا تقصد؟"

ابتلع الطبيب ريقه ثم عدل من نظارته وزم شفتيه قليلا ثم قال:"أقصد أن من تدعوه حمزة حليق الرأس والذي يمتلك شاربا ولا أعرف كيف ليس إلا فتاة"

اتسعت عينا نديم بغير تصديق ولوى شفته بابتسامة غير مصدقة : "فتاة ؟أنت بالتأكيد تمزح"

هز الطبيب رأسه نافيا :"لا أمزح لقد علمت هذا عندما خلعت قميصه والرباط الذي يحيط به جسده أقصد جسدها"

وضع نديم كفه على فمه وهو لا يزال غير مستوعبا لما يقال له :"فتاة؟ لا ااا بكل تأكيد هناك خطأ ما ،حمزة فتاة ! إنه يمتلك شاربا"

كان يحدث نفسه كمن أوشك على الجنون.

هز الطبيب كتفيه:"هذه هي الحقيقة ،هل تأذن لي أنا يجب أن أغادر"

استوقفه نديم :"لا أرجوك لا أنت لم تعد الرباط إلى حاله أليس كذلك؟"

كان يقصد الرباط الذي يلفه حمزة حوله:"لا لم أفعل"

:"حسنا أيها الطبيب من فضلك أعد كل شيء مكانه بالضبط وأنا سأتكفل بالباقي عندما يستيقظ آه أقصد عندما تستيقظ"

شعر الطبيب بالإعجاب ناحية من لا يعرف اسمه وهو يحثه على ستر جسد الفتاة بالداخل ويعيد الأمور كما كانت لأنه لا يستطيع فعلها بنفسه.

عندما غادر الطبيب كان نديم يعاني من إعصار يعصف بما بداخله ويقذفه بوجهه دون رحمة،كان غاضبا مستنكرا ومذهولا مما سمعه من الطبيب.

حمزة فتاة ! لكنه حليق الرأس ويمتلك شاربا .

هل هو من الذين قرأ عنهم يوما وهو يقرأ عن المواريث بأن هناك نوعا من الأطفال يولد ولا يعرف جنسه ويكون إرثه حسب الطبيعة الطاغية عليه ،أم أنه فتاة بالفعل وفقط يضع شاربا مستعارا ،اقترب من وجه الفتاة ومد يده ليلمس الشارب مستكشفا ما إذا كان مستعارا أم لا لكنها تأوهت فأبعد يده كالملسوع ولم يجرؤ على وضعها مرة أخرى.

سيطرت على نفسه عدة مشاعر متضاربة :"من هي؟وكيف تم خداعه بتلك السهولة دون أن يكتشف حقيقته؟"

عقد حاجبيه وهو يتذكر بعض الأشياء، ثورة حمزة عندما أخبره أن تصويبه كالفتيات كانت ثورة غيرة مبررة وكأنه يدفع عنه اتهاما ما وبغضبه يخفي حقيقته،ثقب أذنيه الذي لاحظه عم سعيد وإجابته التي أصابت بعض العادات لم تكن سوى إجابة مراوغة تخفي حقيقته

وهو بالفعل فتاة ثقبت أذنيها ووضعت الأقراط بها بالتأكيد هو كذلك لكن لماذا؟ لماذا خدعته؟ لم تتنكر بثوب رجل ومن هي؟

للحظة أراد أن يهزها بعنف كي تستعيد وعيها ويسألها عمن تكون،أراد أن يخلع شاربها هذا الذي تضعه ويعرف هويتها أو على الأقل يتضح له شكلها الحقيقي ،تقدم ناحيتها بالفعل لكنه تراجع في آخر لحظة لا سيتركها تظن أنها ما زالت تخدعه ليستطيع مراقبتها ومعرفة ما تخفيه ومن هي؟.

اتجه للحوض ليغسل وجهه ليشعر ببعض التحسن، كان قد أخبر صلاح أن يبلغ والدته أنه متغيب لأن أحد أصدقائه قد مات والده ووصيته أن يدفن في مسقط رأسه وهو يساعده على نقله إلى بلدته القديمة،كانت حجة معقولة لتغطية غيابه وحتى لا يثير تساؤلات والدته حينما يعود.

.....

مرت ثلاث ساعات أخرى صارع فيها نديم رغبته بإيقاظ حمزة وضربه على خداعه له وبدأ حمزة يستعيد وعيه شيئا فشيء:"كيف حالك يا حمزة؟"

شعر أنه سينفجر ضاحكا بمرارة من مناداتها إياها بحمزة ترى ما اسمها هويدا؟ زهرة؟أم ماذا؟!.

واستطاع بأعجوبة السيطرة على رغبته باستجوابها.

نظرت له بوجل ثم إلى أزرار قميصها المغلقة فتنفست بارتياح

لاحظه نديم فلوي شفتيه ساخرا وتحركت عضلة بفكه وهو يحاول السيطرة على نفسه.

أجابته وهى تحاول استعارة صوت حمزة الذي اعتادت عليه:"الحمد لله يا نديم أشكرك كثيرا أنك أنقذت حياتي"

أومأ نديم برأسه :"على الرحب والسعة يا صديق"

.....

عاد نديم إلى بيته في اليوم التالي لكنه كان يعود إلى شقة الطوارئ ويحمل معه الطعام إلى مجهولته التي هناك وتثير جنونه بشدة لكنه كان يعاملها كحمزة حتى يصل معها إلى معرفة هويتها وماذا تريد منه ومن مجموعته.

.....

كانت تشعر بارتياح للملابس التي أحضرها معه نديم بدلا من ملابس حمزة الملوثة بالدماء بعد قليل نهض نديم ليغادر الشقة لكنه استدار مرة أخرى يواجهها بعينين متفحصتين :"آه أردت إبلاغك يجب أن تترك الشقة غدا على الأكثر من المفترض أنها شقة خالية لا يجب أن نثير الشكوك من حولها"

أومأت برأسها :"حسنا سأتركها غدا إن شاء الله"

:"ستغادرها وحدك اتفقنا؟"

:"بالطبع"

كان نديم يقصد بذلك تركها تغادر الشقة حتى يتسنى له مراقبتها.

أعطاها بعض النقود كحمزة وحاولت الرفض لكنه صمم وغادر الشقة متمنيا خطأ واحد تقع فيه الفتاة ليعرف حقيقتها.

****

استيقظ مبكرا واتجه إلى الشقة لمراقبتها حتى يستطيع العودة مبكرا أيضا لوالدته التي صممت أن تزور أخيها في طنطا قبل حلول شهر رمضان الكريم لكي يرافقها إلى محطة القطار ولن تقبل منه أي عذر.

انتظر طويلا ولكنها لم تظهر فصعد إلى الشقة ليجتاحه غضب شديد لأنه لم يجدها هناك لكنه ما لبث أن استرخى لأنها لا تعرف أنه يعلم خدعتها وبالتأكيد ستظهر كحمزة مرة أخرى.

عاد إلى البيت ليجد السيدة اعتدال هناك وتسأل والدته عن نادية، حاول أن يستمع باهتمام لقد انشغل تفكيره تماما عنها ولم يعرف عنها شيء منذ تلك الليلة على الأقل كان يجب أن يشكرها .

أجابت والدته:"لا أعرف يا سيدة اعتدال فأنا لم أرها مذ فترة وهي

هادئة للغاية"

مطت اعتدال هذه شفتيها وهي تجيبها :"إنها غائبة عن شقتها منذ يومين لم يرها أحد منذ أن غادرت ليلا :"ترى أين ذهبت هذه ربنا يسترنا جميعا"

تحفزت خلاياه عند سماع هذه العبارة.

يومين؟أي منذ أن قابلها لآخر مرة ليلة أ كانت مع الضابط،يا إلهي هل أصابها مكروه وهي بطريق العودة للبيت ،خفق قلبه بقوة سيكون هو السبب إذا ما حدث لها شيئا.

غادرت السيدة اعتدال وبعدها غادر هو وعائلته إلى محطة القطار وفكره مشغول تماما بنادية المتغيبة منذ يومين إنه عانى الكثير اليومين الماضيين أينقصه أن يشغل بها أيضا؟.

.....

كان يفكر بنادية طيلة الطريق مشغول بما قد يكون حدث لها لكنه تنفس الصعداء تلقائيا عندما رآها، كانت تبدو شاحبة وضعيفة مما ضاعف قلقه عليها.

وفجأة وكأنما شيطانا التبس كيانه فجأة تملكه الغضب وهو يسألها :"أين كنتِ؟"

عقدت حاجبيها وهى تنظر له بسخرية :"وما شأنك بي يا نديم أفندي؟"

استشاط غضبا عند سماعه لعبارتها فأمسكها من ذراعيها بقوة تأوهت لها ودفعها إلى داخل شقتها ثم أغلق الباب وراءه وصرخ بوجهها :"لا هو شأني أين كنتِ اليومين السابقين، أجيبيني؟"

كانت تنظر له بتحد ولا تجيب سؤاله وعندما فعلت زاد غضبه وبدأ يكيل لها الاتهامات دون وعي وكأنما يفرغ فيها شحنة توتره ليومين كاملين:"ماذا؟عدتِ للضابط أم كنت في أحضان آخر؟"

أخذت نفسا طويلا للسيطرة على أعصابها قدر المستطاع ثم حدقت به وقد ضاقت عيناها:"حقا؟هه وما شأنك أنت إن كنت مع الضابط أو غيره ألم تكن أنت من اصطحبني كي أكون في أحضانه أين كانت نخوتك هذه وأنت تقودني إليهم لماذا تهتم أين كنت ومع من؟"

أربكته أسئلتها فلم يجبها واكتفى برفع كفيه قرب رأسه وعاد للصراخ:"أنا أهتم فحسب أجيبي على سؤالي"

أجابته بتحدي:"لا لن أجيب وتفضل إلى خارج شقتي في الحال"

كان غضبه يتزايد بشكل لم يعهده من قبل لكنه كان في الحقيقة بحاجة إلى إجابة سؤال واحد أرقه كثيرا .

:"حسنا سأغادر لكن بعد أ تجيبيني على سؤال واحد فقط"

عقدت ذراعيها وهي تتنفس بغضب هي الأخرى فاستدرك قائلا:"هل لمسك الضابط ليلتها؟"

:"لا لن أجيبك هيا إلى الخارج"

كان تحديها له يثير جنونه لأقصى حد فقد كان يشبه المجنون وهو يمسكها من ذراعيها ويهزها بعنف :"انطقي هل لمسك؟"

كان ذراعها يؤلمها بعنف وهو يغرز أصابعه فيه بهذا الشكل، فأغمضت عينيها بألم:"تكلمي"

"لا لم.. لم يفعل هل تشعر بالراحة الآن، ابتعد عني"

ثم دفعته بعيدا عنها، كان بالفعل يشعر بالارتياح يغمره لسماعه ذلك منها وهم بالمغادرة بالفعل لولا أنه رأى بقعة دم كبيرة تنتشر على كتفها، وضعت يدها على الجرح وهي تحاول الاستناد إلى أي شيء بضعف لكن هذا المشهد أضاء في رأسه آلاف اللمبات.....حمزة .....نادية!

كلاهما عينيه زرقاء ولها نفس الجمال كيف لم ينتبه، أذني حمزة المثقوبتين كالفتيات، تغيب حمزة عندما كانت نادية مع الضابط، حمزة الذي اتضح أنه ليس هو وليس إلا فتاة ، تغيب نادية ليومين هما نفس المدة التي كان بها حمزة في شقة الطوارئ، والآن الجرح الذي ينزف ،غير معقول حمزة هو نادية ؟

"أنتِ؟!"

تراجعت للخلف: "أنا ماذا؟"

كيف لم يربط بينهما من قبل وهي بالفعل تشبهه حتى وهي تضع الشارب: "أنتِ حمزة؟لكن كيف ؟ شعرك؟و..شاربه!"

كان يقصد شعرها الطويل، بتر عبارته فجأة ووجد نفسه يمسك بشعرها لكنه وجد بيده شعرا مستعارا وهي أمامه حليقة الرأس كما اعتاد أن يرى حمزة لكن دون شارب: "أنا لا أفهم شيئا"

قال عبارته تلك ثم بدأ بالصياح : "من أنتِ؟"

تراجعت للخف محاولة الهرب لكنه كان أسرع منها وحجز جسدها بينه وبين الحائط: "من أنتِ؟"

كانت تتطلع له بتحد وليس بخوف كما كان متوقع كانت تنظر إليه كمن لا يعنيه أو يهمه شيء، بدأ صبره بالنفاذ لصمتها وتحديها :

"أجيبيني من أنتِ؟ولم تتنكرين بثوب رجل وإلا أقسم لك إن لم تفعلي سأقتلك بيدي"

لوت شفتيها بابتسامة ساخرة : "حقا وكأنني أهتم إن فعلتها،اقتلني ليتك تفعلها....."

وضع يده على رقبتها لخنقها وتضييق الخناق حولها :"سأفعلها ولكن بعد أن تجيبي أسئلتي"

قالت بصوت مختنق وبدأت أنفها تسيل بالدماء:"نعم أنا وحمزة شخص واحد لكني لن أقول المزيد"

شد كفه على رقبتها أكثر وهو يصيح بها :"لماذا؟"

ثم ضاقت عيناه :"أنتِ جاسوسة للإنجليز؟ ما اسمك؟ جولي؟ ايميلي"

بدأت عيناها بتثاقل كأنها ستفقد الوعي فارتخت يده عن رقبتها فشهقت لتملأ رئتيها بالهواء وحدقت به للحظات وترقرقت عيناها بالدموع لكنها رفعت كفها مسرعة ومسحتها لا لن تدع يتسلل إليها ولو للحظة.

نظر إليها بحيرة وقلب مرتبك تماما كعقله..

مظهرها ودموعها تلك لا توحي أبدأ أنها انجليزية إنها فقط تشير لإنسانة مجروحة بعمق لكن لا لماذا عليه أن يصدق تلك الدموع ربما كانت خدعة كشخصيتها

لكنه ولسبب لا يعرفه لم يتحدث بل اكتفى بالتحديق لها ، عينيها الزرقاء الغائمة بالدموع وشفتيها المرتعشتين سلبا قلبه أي منطق فامتدت يده إلى وجهه وحرك إبهامه يمسح الدماء عن تحت أنفها ونزل تدرجيا يلمس شفتيها المرتعشتين :"اسمي حور"

لم يسمعها جيدا فأبعد إبهامه: "ماذا قلتِ؟"

"اسمي .....حور"

****

الفصل الثاني عشر

"زوجة عمي زهرة بتولد"

استقبلت أذني عثمان هذا النداء المتكرر اللاهث من ابن أخيه محمد فنهض

على الفور تاركا كل شيء ليلحق بالطفل إلى حيث زوجته، عثمان الرازي

تزوج من زهرة قريبته لوالده أحبها وأحبتها لكن لم يشأ الله أن يرزقا بالأطفال وظلا سنين على هذا الحال حتى إن والدته الحماة العتيدة ألحت عليه أن يتزوج ولم تفلح عدة مرات لكنها في النهاية استطاعت أن تؤثر عليه وتقنعه بزيارة بيت إحداهن لخطبتها وعلمت زهرة زوجته ولدهشته لم تثور أو تغضب فقط قالت :"أتمنى أن تكون سعيدا"

وبالطبع لم يكن كذلك أبدا فزهرة رفيقة روحه ورفيقة سنوات قضيا فيها أجمل لحظات حفرت بين جدران القلب ونقشت على أوعيته ولكن ماذا يفعل والجميع يطلب منه أن يتزوج حتى تكون له ذرية تحمل اسمه وتحت الضغط استسلم يجب أن يعترف أنه جبان ولكن الجبن فيه أحيانا النجاة وهو قد اشتاق لطفل يهدهده ويضمه إلى

ذراعيه لكنه عندما ذهب إلى بيت التي يريدون منه تزوجها شعر عندما رآها أنها باهتة يغيب عن وجهها الجمال وعن روحها الألفة مقارنة بزهرة ومن مثل زهرة في قلبه ومن مثلها في مكانتها عنده ليعينه الله على إنهاء هذا اللقاء كي تستريح والدته ويهدأ بالها لأنها قالت له إن لم تعجبك هذه لن أتحدث إليك في هذا الموضوع ثانية وهو يعلم أنها ستفعل لكن على الأقل سيستريح من إلحاحها لبعض الوقت وهناك مضى الوقت ثقيلا كالموت حتى أنه تنفس الصعداء عندما خرجوا وأعلن لوالدته بما لا يقبل الشك:"أمي .....لقد انتهى الأمر للأبد أنا أحب زوجتي ولن أجرحها"

لم يهتم بما كانت تهمهم به أو تقوله لأنه كانت مهتم بالعودة إلى زهرة كي يعتذر كي يقبل وجنتيها ويديها معلنا اعتذاره أنه فكر للحظة أن يستبدلها بأخرى لكنه عندما دخل البيت ناداها لأكثر من مرة وعندما لم تجب تسلل الخوف إليه أن تكون تركت له البيت ولكن لا إنها لن تفعلها، وبدأ بالبحث عنها في أرجاء البيت وأخيرا وجدها لكنها كانت فاقدة الوعي وعلى خديها أثرا لدمعة حزينة وخزت قلبه لكنه حاول إفاقتها لأكثر من مرة وعندما لم ينجح سارع بمناداة والدته من الطابق السفلي وذهب ليأتي بالحكيم وكانت البشارة (زهرته حامل).

ماذا؟أنه لا يشعر بالسعادة إنه فقط يطير بلا جناحين، اللهم لك الحمد

لقد حقق
الله أقصى أمانيه وسيرزقه الله الطفل الذي يتمناه من زهرته..
يا الله كم أنت كريم ورحيم بعبادك..
ومرت شهور الحمل وكلا من زهرة وعثمان لا يصدقان أنها حامل لولا انتفاخ
بطنها الذي يزيد يوما بعد يوم معلنا عن طفل ينتظر إذن الله بالخروج إلى
الدنيا واليوم وفي هذه اللحظة جاءه محمد ابن أخيه بالبشرى أن زهرته تلد
وذهب يسابق الريح ليصل إليها كانت تتألم ولكن والدته أخبرته أن هذا أمر
طبيعي لكنه كان لا يحتمل أن يرى حبيبته تعاني لكن الله استمع لندائه ولم
تطل ساعة الولادة وانطلقت أول صرخة انتظرها الجميع وارتاحوا لسماعها
أيضا فجرى ناحية الحجرة لتقابله والدته بوجه متجهم فهوى قلبه بقدميه أن
تكون زهرة قد أصابها مكروه لكن والدته مطّت شفتيها وأعلنت

بامتعاض :

"لا تقلق لكنها أنجبت بنت"

لن يناقشها فيما رزقه الله به فالله يؤتي من يشاء إناثا ويؤتي من يشاء الذكور

ويجعل من يشاء عقيما, من هو كي يشترط على الله بأن يرزقه بذكر وقد تمنى لسنين ودعا الله كثيرا أن يرزقه الذرية فالآن بعد أن استجاب الله لدعائه يمتعض؟ حاشا لله,اللهم لك الحمد حمدا كثيرا يليق بعزتك وجلالك وعزيز سلطانك.

كانت زهرة نائمة وسط بركة من العرق فدعا الله بسره لكل الأمهات وأدرك المعنى الحقيقي لوصية رسول الله صل الله عليه وسلم في قوله أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك، وقت أن سمعها لم يفهمها وتساءل كثيرا لماذا لكنه الآن يعرف كم تتعب الأمهات تكفيهن آلام المخاض،اقترب من محبوبته الصغيرة على أطراف أصابعه كانت تحرك يديها الصغيرتين وكأنها تعلن عن وجودها الذي لم يتعد بضع دقائق، حملها والدها برفق وحدق بملامحها وحمد الله ودموعه تسيل بلا وعي منه ،كانت تفتح عينيها فميز فيهما اللون الأزرق .فابتسم

:"إن لها عيون والدتها"

وفجأة ابتسمت صغيرته فخطفت ما تبقى من قلبه وأراد أن يخفيها في قبلاته

ويضمها لتكون جزءا من جسده كما أصبحت جزءا من روحه.

.....

:"سأسميها حور"

عقدت زهرة حاجبيها وهي تكرر الاسم وكذلك فعلت والدته

:"حور؟ما هذا الاسم ؟ولماذا لا تسميها عنايات كإسمي؟"

كانت زهرة تشعر بالانفجار الوشيك ناحية تلك المرأة ولولا عثمان لكانت انفجرت بها منذ زمن بعيد.

ابتسم عثمان مواسيا لوالدته التي تظن قطعا أن زهرة هي من أوحى بالاسم أو على الأقل أخبرته ألا يسمي المولودة كاسمها:"عفوا يا أمي ولكن هذا الاسم الذي يليق بها .....حور"

:"وما معناه؟"

"جمع حورية يا أمي إنها بعيني لا تكفي أن تكون حورية واحدة إنما هي حور"

وعندما أصبحت حور في عمر السنتين أتم الله نعمته على والديها وحملت أمها مرة أخرى ولكنها أنجبت ولدا في هذه المرة وفرح الجميع وخصوصا جدتها فلم تعد تدللها كالسابق فكل شيء أصبح

من حق حمزة لكنها لم تكن تشعر بالغيرة ناحيته فوالدها لم يكن يعامل حمزة بأفضلية عنها ولكنه كان يعامله بحزم وحنان في نفس الوقت إنه يريد لولده أن يصبح رجلا لا فتى مدللا، وكان حمزة بالفعل رجلا رغم صغر سنه وتصرفاته تشبه الكبار وقد كان والدهما يأخذه في جلسات الرجال يشاركهم الرأي ويستمع إليهم باحترام حتى إن والده استشاره أن عمه يريد تزويج محمد من حور فسكت حمزة صاحب الإثني عشر عاما ثم قال لوالده:"لكنها صغيرة يا أبي وتريد إكمال تعليمها وحضرتك من وضع الفكرة برأسها من الأساس"

ابتسم الأب لكلامه:"أنت محق يا حمزة في مسألة التعليم لكن بالنسبة لسنها حور ليست صغيرة إنها في الرابعة عشرة من عمرها وفتيات كثيرات في مثل سنها بل وأصغر أيضا تزوجن"

:"نعم يا أبي ولكن ترى هل ستوافق؟"

عقد والده حاجبيه:"توافق؟وهل لها رأي بعد رأيي؟"

"نعم يا أبي لها رأي لقد أخبرنا الشيخ عبود بذلك ووجوب استئذان البكر"

مط والده شفتيه:"امممم حسنا يا حمزة ليفعل الله ما يريد"

كان والده ألحقه بالأزهر ليكون فخرا لعائلته فما من شيء يستحق الفخر من رأي والده إلا دراسة دين الله وشرعه.

وبالفعل سأل الأب حور عن رأيها في الزواج من محمد ابن عمها لكن الخطأ الذي وقع فيه هو سؤالها في وجود الجدة التي وما إن سمعته يستأذنها حتى بدأت بالصياح .

:"تستأذنها؟ ولماذا؟هل للبنات رأي؟ بالتأكيد زوجتك المصونة لا توافق لذلك

تتظاهر بأنك تسألها رأيها لترفض ابنتك وتحرج عمها برفضها ابنه"

كل ذلك وزهرة وعثمان لم يعطى الفرصة للرد على ما تقول لأنها وبعقليتها

القديمة تعتقد أن البنت ليس لها رأي بشيء طالما تأكل وتشرب فليس لها أن

تعترض على شيء يفعله بها أهلها، أخذ عثمان نفسا طويلا قبل أن يسأل ابنته

مرة أخرى عن رأيها والتي كانت تنظر لجدتها بغيظ فوالدها لم يعتد معها على

هذه الطريقة في الحديث أبدا ولا حتى والدتها لكنها لن تصغر والدها أمام أمه

وأمام أخيه ستوافق. وشعر الجميع بالراحة لذلك حتى إن والدها

رماها بنظرة امتنان فابنته ذات عقل راجح رغم صغر سنها إن رفضت ستؤكد ما تقوله جدتها وتضع والدها في موقف محرج ولكن عندما انتهت المباركات والدعوات بالتوفيق من أمها وأبيها فكرت هل تحب محمد ابن عمها،

عقدت حاجبيها ، حب!تدرج وجهها بالحمرة لمجرد ذكر الكلمة أين حياؤها كي تنطق بهذه الكلمة البنات المؤدبات لا تتحدثن ولا تفكرن بمثل تلك الأشياء هكذا علمتها أمها، إنه ابن عمها واختيار والدها وهل سيختار لها والدها شيء يضرها ؟

وهكذا ارتاحت لتفكيرها ، ومرت الأيام سريعا وكان يوم الزفاف كانت فرحة

بفستانها الأبيض الجميل ولم يعرف من حولها هل الفستان جميل حقا أم لأنها

فقط ترتديه وعيونها الزرقاء كلآلئ تخطف من ينظر إليها،كانت العادة أن يزف العريس في حفلة خاصة به وتزف العروس كذلك مع النساء ولكن نظرا لضيق بيتهم قرروا وضع خيمة للنساء وأخرى للرجال على أن يذهب محمد في نهاية الليلة ليجبها من خيمتها وتزف إلى بيته.

كانت فرحة بفستانها وكان محمد سيطير من الفرح لأنه وأخيرا

ستزف إليه

حوريته فقد وقع في غرامها منذ أول لحظة رآها فيها عندما كانت طفلة عيونها الزرقاء شغفته حبا وبراءتها سلبت عقله تماما ،ابتسم وهو يفكر فيها وأنها ستصبح معه أخيرا وفجأة ساد الهرج في الحفل لأن مجموعة من عساكر الإنجليز اقتحموا الحفل دون سبب يستدعي ذلك ولكن من يسأل المحتل ماذا يفعل ولماذا؟!

نهض محمد من مكانه وهو يشعر بالذعر أن يدخل هؤلاء إلى خيمة النساء ولكن يبدو أنهم فعلوا هم وقائدهم بالفعل فانطلق بسرعة الصاروخ وهو يصيح بحمزة

:"الحق بي يا حمزة"

لحق به حمزة وتجمع الرجال في محاولة منع الجنود من الدخول بين النساء ولكنهم أطلقوا طلقات تحذيرية في الهواء فتوقف الجميع خائفا وكل منهم يفكر

فيما يسمعه عن فظائع الإنجليز كانت حور لا تفهم ما يدور حولها ولا ترى جيدا ما يحدث لأنها كانت تغطي وجهها بجزء من طرحتها لكنها وجدت حمزة يصيح بها فجأة:"هيا إلى البيت بأسرع ما يمكنك"

سألته مذعورة:"ماذا هناك يا حمزة وأين محمد؟"

:"محمد يحاول منع الإنجليز من التواجد هنا وهو من أخبرني أن

أدخلك هيا"

كانت حور دائما ما كانت تسمع حمزة يغني (يا عزيز يا عزيز كبة تأخذ الانجليز)

وذلك مع أصدقائه كلما مر بهم جندي من جنود الاحتلال البريطاني أسرعت معه لكنه سمعت طلقات نارية وصراخ ووالدتها تصرخ وهي تضرب صدرها

:"عثمان!"

وذهبت إلى حيث الجنود.

اختلط الأمر على حور لكن حمزة حثها على الإسراع:"لو رأوك الكلاب لن يرحموك، هياااا"

كان صوت الصراخ يصم أذنيهما معا، وقلبها يخفق بقوة لابد أن والدها حدث

له مكروه أرادت أن تخرج ثانية لكن حمزة نهاها :"إياكِ والخروج ظلي هنا تحت المنضدة لو دخلوا البيت للتفتيش سيدخلون الغرف ولن يبحثوا هنا"

سألته بلهفة وهي تختبئ:"وأنت؟"

:"لا شأن لكِ بي اختبئي جيدا"

كان يحميها ربما من قدر ومن يقف بوجه القدر بعدما اختبأت بثوان

معدودة استدار ليعود إلى والده ووالدته ولم يشعر بالخوف أبدا فهو رجل كما يقول له والده ولا يصح للرجال أن تخاف لكنه عندما اتجه إلى الباب وجد رجلا ضخما يحمل الملامح الانجليزية الباردة يتقدم ناحيته كشفت حور عن جزء بسيط من مفرش المنضدة فلم ترى سوى قدمين ضخمتين ترتديان البذلة العسكرية للإنجليز .

صاح به حمزة بشجاعة خافت منها عليه:"ماذا تريد منا؟"

سمعت ضحكة مقززة منفرة وهو يتكلم بعربية ركيكة وهو يلكز حمزة بقوة:"ماذا أيها الصغير هل تظن أنك تستطيع الوقوف بوجهي ها الذين بالأسفل فعلوا وكان مصيرهم ال..... "

ووجه إليه سبابته وإبهامه على شكل مسدس وقلد بفمه صوت طلقة فاتسعت عينا حور وحمزة والذي صرخ به:"ماذا تقصد هل قتلتهم؟"

:"بالطبع ذلك الذي يشبهك وامرأة مجنونة اقتربت منا عندما فعلت وذلك العريس الذي حاول منعي من الدخول"

ضربه حمزة بقدمه فتأوه الرجل لكنه أمسك بجسد حمزة الضئيل فمهما كان ، فحمزة طفل والرجل يبدو من قدميه وصوته أنه ذو بنيان قوي صاح بحمزة:

:"والآن لتخبرني أين هي العروس التي ذهب الكل ضحية لحمايتها

هيا أخبرني وكن ولدا لطيفا"

صاح حمزة به وهو يحاول التملص من بين يديه:"لن تعرف مكانها حتى وإن قتلتني"

ضحك الرجل ثانية وحور تشعر وكأنها أصيبت بالخرس أبيها، أمها، محمد يا إلهي قتلهم ذلك المجنون هتف الرجل وهو يقترب من وجه حمزة :"إذن فأنت بلا فائدة"

وأخرج سكينه وذبحه بكل خسة، لم تر حور سوى جثة أخيها تسقط أرضا وهي مدرجة بالدماء فصدر منها شهقة جعلت الرجل يبتسم بجذل و حمل المنضدة من فوقها ويدفعها في شراسة فوضعت يديها فوق وجهها خوفا ثم فقدت الوعي.

خطفت لبعض الوقت نالت فيه أصنافا من العذاب وحلق شعرها ثم بالأخير استطاعت الهرب ، جائعة مشردة حتى وصلت إلى خيمة السيرك الخلفية وهناك فقدت الوعي.

عثرت عليها الست فاطمة ذعرت في أول الأمر لكنها حملتها بين يديها فقد كانت نحيفة للغاية ظنتها ولدا في أول الأمر لكنها اكتشفت أمرها فيما بعد عندما أفاقت وهي مذعورة وتسأل أين هي كانت الصدفة وفضل الله عليها أن العم إسماعيل لم يكن هناك.

لمدة يومين كاملين استطاعت فيهما الست فاطمة أن تلبسها ملابس

للفتيان وتهتم بها وبجرح السوط على ظهرها وأفهمتها أنها يجب كي تستطيع حماية نفسها أن تكون فتى لا بنتا فحياة السيرك كحيواناته منها الأليف والكثير منها الشرس واستطاعت الست فاطمة بمضي الوقت أن تكسب ثقة حور وتحكي لها قصتها وكانت بدورها المرأة تساعدها في إخفاء شخصيتها الحقيقية خصوصا إسماعيل فظ الطباع والمشاعر فقد كانت تعلمها كيف تخفي ملامح أنوثتها الطفولية بالأساس برباط تشده حول جسدها ،ومن هنا صممت حور تعلم كل شيء قد يقربها يوما من هدفها من الانتقام من الإنجليز ستتعلم فك القيود ربما أسرت بين أيديهم يوما ما ستتعلم تصويب السكاكين ليكونوا هدفا سهلا لها، ستفعل أي شيء وكل شيء حتى تنتقم منهم وتجد من قتل عائلتها دون رحمة، لكن معرفة إسماعيل بالصدفة لحوار دار بين فاطمة وبين حور جعلها تترك السيرك لتبحث عن هدفها في الحياة.

فقد كان إسماعيل يعاقر الخمر بشكل يومي هذا غير السجائر وغيرها وبعد أن أنهى عملها عاد لحجرته لإخراج زجاجة الخمر الرخيصة خاصته فسمع حوارهما: "أسرعي قبل عودة إسماعيل هيا!"

عقد حاجبيه:"أسرعي! من هذه التي تحدثها فاطمة إنه لم يشرب الخمر بعد حتى يتخيل الأشياء"

اقترب من الباب ليجد فاطمة تساعد حور في شد الرباط حول جسدها فسال لعابه ولمعت عيناه:"إذن حمزة فتاة هه"

وكان يحاول انتهاز الفرص لغياب فاطمة لكن الله تفضل على حور بعدم إعطائه تلك الفرصة أبدأ إلا عندما ضرب فاطمة وتدخلت حور وجرحها بذراعها وهناك ضربته فاطمة على رأسه وطلبت من حور الابتعاد للأبد وعدم العودة ثانية للسيرك محملة معها مبلغا من المال كانت فاطمة توفره لجنازتها ومصاريفها وانطلقت حور لكن بوجه حمزة فهي ظلت تحلق شعرها طيلة السنتين التي أمضتهما في السيرك، واشترت بالمال شاربا وحواجب مستعارة من أحد المحلات التي تبيع مستلزمات السينما، وبباقي المبلغ استأجرت شقة بجانب نديم ولعبت الصدفة دورها في لقائهما كحمزة وكنادية والآن اكتشف نديم أمرها وهي تغمض عينيها وتتذكر كل شيء عنها وداخلها يهتف بقوة :"هذه أنا حور ...عثمان .....الرازي"

****

الفصل الثالث عشر

لم تخبر حور نديم بشيء مما دار بعقلها من ذكريات فأدراج ذكراها لا تفتحها لأي شخص سوى نفسها وفقط لتزكية نار الانتقام بداخلها التي لم تخبو أو تضعف للحظة من الزمن ولا يعني أن نديم عرف حقيقتها أنها تثق به بهذه السهولة ويرى ما بداخلها واضحا صحيح أنها تشعر ببعض الاطمئنان ناحيته وعينيه تشبه عينا والدها ودفئهما ولكن مالها ونديم وعينيه.

احترم نديم صمتها الطويل دون محاولة مقاطعة ما يدور بداخلها فقد شعر أن بداخلها بحر ثائر تحاول السيطرة عليه فعينيها كانتا تتغيران من الأزرق الصافي إلى غيوم ملبدة فعلم أنها تتذكر ماضيها وما يحمله من آلام نعم إنه يعلم أن هناك شيء ما يؤلمها فلا أحد يتخلى عن نفسه من أجل لا شيء.

لكنه بالأخير ابتسم وقلبه لا يكاد يهدأ :"تدرين شيئا؟"

نظرت له بتساؤل:"الحق يقال لقد أدهشتني تماما وإلى الآن أشعر بتلك الدهشة لكونك وحمزة واحد لكن ما يشعرني بالارتياح حقا بل قولي بالسعادة أن اسمك ليس نادية كما كنت تدعين، حور إنه أجمل اسم قد أسمعه يوما وهو مناسب لكِ تماما حور! نعم لا يليق بك أن

تكوني حورية واحدة".

لم يكن يدري وهو يقولها أن هذه بالضبط كانت كلمات والدها لها والتي ما كان دائما يرددها على مسامعها ويدللها بقوله، ارتجف قلبها لذكرى لكنها ما لبثت أن تمالكت نفسها سريعا ولم تعد ملامحها تشي بشيء مما يدور بداخلها كان نديم يراقبها ويراقب كيف تتغير ملامحها ولون عينيها بين اللحظة والأخرى كأنها تصارع نفسها.

سألها فجأة:"لكن ما يحيرني هو لماذا تلجأ فتاة للعمل ضد الإنجليز؟بل وتتنكر أيضا في زي رجل أيضا بل وتحلق شعرها لذلك السبب بينما تتباهى النساء بشعورهن" كان يقصد بذلك نادية زوجته السابقة التي دائما ما كانت تتباهى بشعرها أمام أختيه اللتين يمتلكان شعرا متوسط الجمال.

حدقت به للحظات وهي تفكر ربما لو لم يحدث لها ما حدث لها ولعائلتها لكانت الآن من تلك النساء اللاتي تتباهى بشعورهن.

حدقت به مرة أخرى وعقدت حاجبيها بقوة :"هل قتل عائلتي سبب كاف؟"

امتقع وجهه وهو يسمع منها أن عائلتها قد قتلها الانجليز وشعر بالشفقة ناحيتها فرقتها التي تتنكر خلف الحزم والغموض وواجهتها الصارمة لا تحتمل أبدا أن تحمل كل تلك الآلام فخلف الابتسامة ألف

دمعة وخلف الضحكة تتنكر قهقهات الألم.

ولكن من يدفع الإنسان للتخلي عن نفسه؟ لبيع وجهه مرغما ليشتري الأقنعة إلا الألم والآهة، للحظة تذكر المهرجين مجرد أقنعة لوجوه ضاحكة ابتسامة كبيرة يرسمها اللون الأحمر واضحة لتخفي تحتها أي عبوس، واللون الأبيض بكثرة وبسخاء لإخفاء العيون إذا ما فكرت دمعة بالانفلات من زمام القناع فكثرة الألوان البيضاء تخفي عن الناس الحقيقة ،ربما لو صرح لحور بتلك الأفكار التي تدور بداخله لعرف أنها بالفعل عملت لفترة في السيرك وقد تستطيع أيضا إبهاره ببعض الحيل السحرية ،كان يشعر بقبضة باردة تعتصر قلبه وهو يرى الحزن عميقا في عينيها عندما صرحت له بسر آخر وهو قتل الإنجليز لعائلتها، شعر أنه يريد ضمها إليه لتشعر إنه بجانبها ويستطيع أن يمسح حزنها خفق قلبه بقوة إنه يشعر بحبها يتسلل إلى قلبه كأشعة الشمس في فجر كل يوم في هذه الدنيا دائم وسرمدي وينمو رويدا حتى يسطع نوره قويا بالنهاية.

:"حور أنا...."

هم بالفعل أن يصارحها بمكنون قلبه لكنها قاطعته بحزم :"والآن وقد عرفت الحقيقة وأنني أنا حمزة سأعود للعمل وحدي"

اتسعت عيناه مستنكرا :"تعملين وحدك ؟ بالطبع لا"

رفعت عينيها بتحد سافر وسألته بسخرية: "ومن يمنعني؟"

:"أنا سأمنعك"

جلست على أحد الكراسي وقد استعادت هدوئها كاملا واستعادت معها طبيعتها ثم وضعت ساقا فوق الأخرى بشكل استفزه :"وكيف ستمنعني؟ستبلغ عني السلطات المصرية أم الإنجليزية"

ثم صمتت قليلا وهي تتفرسه ثم استدركت:"أم ستخبر الجميع أنني حمزة؟"

عقد حاجبيه لتحديها السافر له :"لا هذا ولا ذاك"

نظرت له بتساؤل كاد يصيح بها (أرجوك غطي عينيكِ عندما تنظرين إليّ)

مط شفتيه قليلا وهو يتفرسها بدوره:"عملك كحمزة يؤمن لشخصيتك غطاءا جيدا وكذلك شخصيتك كنادية أما عملك معنا فأعتقد أنكِ في حاجة إليه أكثر منا"

:"بمعنى؟!"

:"بمعنى أنكِ تريدين الانتقام لعائلتك صحيح؟"

ودون أن ينتظر إجابتها أكمل"مهما بلغت قدراتك أو ذكائك فأنتِ لا زلتِ وحدك بمفردك فوجودك معنا كمجموعة للمقاومة يؤمن لكِ العون منا إن أردتِ شيئا,

معلومات أكثر والاطلاع على خبايا الإنجليز وأماكنهم التي حتما نحن على دراية أكثر بها ثالثا وهذا الأهم وجودك معنا قد يؤمن لكِ السلاح والحماية وغيرها من الأشياء التي تتيح لك الانتقام منهم حقا لا الوقوع في قبضتهم"

فكرت قليلا إنه محق في كل كلمة يقولها فوحدها هي أكثر بطئا وحذرا بشكل قد

يؤخر أي شيء تفعله طويلا أما معهم فتوفر المعلومات وحدها ميزة قد لا تحصل عليها وهي تعمل بمفردها فهي تكاد تنبش الأرض بحثا عن قاتل عائلتها التي لم تره ولو لمرة لكنه سمعت صوته وتعرف ضحكته,تعرف وقع خطواته لذلك هي تبحث في وجوه الناس,في خطاهم,في أي شيء قد يوصلها إليه..شعرت بالرجفة تتسلل إليها فعقدت ذراعيها لتسيطر على انفعالها فحتى ولو كان نديم على علم بالأمر فيكفيه هذا وليس من المفترض أن يتعرف على شعورها وما تحسه وتعانيه

أومأت برأسها: "حسنا أنا موافقة"

رقص قلبه فرحا لأنها وافقت فهذا يعني أنها ستكون بجانبه أو بالأحرى سيبقى بجانبها.

...كانت تشعر بالدوار خصوصا وأن جرحها بدأ بالنزف مرة أخرى فنهضت بضعف وهي تشير إلى الباب فعقد حاجبيه .هل تطرده الآن؟

:"أرجوك تفضل الآن لأنني بحاجة للراحة"
وبالفعل ترنحت من الدوار فحاول إسنادها فرجعت للوراء
كالملسوعة ورفعت إصبعها محذرة:"إياك أن تلمسني"
رفع يديه عاليا: "أنا أحاول مساعدتك فحسب"
أومأت برأسها: "نعم أعلم ذلك لكني لا أريد مساعدة من أحد"
.....

كانت في أمسّ الحاجة بالفعل أن يساعدها نديم فهي تشعر بالدوار للغاية وبدت لها المسافة إلى حجرتها طويلة للغاية ولكنها لن تسمح لنفسها أن تضعف أو أن يرى ضعفها أحدا ،أخذت نفسا طويلا وهي تحاول الوصول إلى حجرتها..وصلتها وهي تلهث كأنما جرت لأميال تطلعت إلى ذراعها وابتلعت ريقها في ألم لقد انتشرت بقعة كبيرة من الدماء على ذراعها المصاب ويجب أن تبدل ملابسها وتغير الأقمشة المحيطة بذراعها وهذا وحده كفيل بإرهاق مخيلتها قبل جسدها ،بدأت في مسح الدماء وتطهير الجرح مرة أخرى وهي تعض على شفتها السفلي بألم وبدأت بربط أقمشة جديدة على الجرح وهي تكتم آهتها وحالما انتهت كانت تلهث بشدة وهي تشعر بالتعب الشديد يلف رأسها ،ارتدت باقي ملابسها وهي خائفة أن تقع مغشيا عليها ولكنها حمدت الله كثيرا عندما انتهت دون أن يحدث ذلك فاستلقت على السرير وبمجرد أن وضعت رأسها على الوسادة حتى نامت

بعمق فكل ما تحتاجه الآن هو الراحة التامة.

.....

****

عندما عاد نديم إلى شقته كان حائرا ومندهشا منها ،من أين تأتي بكل هذه الرقة والصرامة في آن واحد! كيف تملك عذوبة كزهرة تتفتح لكنها في لحظة واحدة قد تتحول عينيها الرائعتين إلى عيون نمرة تبرق شراسة وحدة، عندما عرف أنها وحمزة شخص واحد لم يرى في عينيها الخوف إنما رأى في عينيها الضيق فقط لأنه اكتشف أمرها، لن يخبر أحدا بشيء حتى صلاح فهذا سره وهو ينوي منذ الآن أن يكون سرها ويريدها أن تثق به.

****

:"كولونيل"

رفع الضابط يده بالتحية العسكرية للرجل أمامه الذي بدا حازما وحادا دون حتى أن ينطق بكلمة ،كانت نظرته ثاقبة بعينيه الخضراوين الحادة مما جعل الضابط يشعر بالوتر دون حتى أن ينطق الكولونيل بكلمة فمنذ أن علم أن الكولونيل هاري قد استدعاه وهو يشعر بالتوتر وربما الخوف أيضا فهذا الرجل هاري ليس رحيما أبدا وشهرته تسبقه في مكان يذهب إليه .

أشار له هاري بالجلوس فجلس بترقب لما سيحدث بعد، لم يمهله هاري كثيرا ليفكر

:"قل لي روبرت .....اسمك روبرت أليس كذلك؟"

أومأ الضابط برأسه :"بلى يا سيدي"

:"بالطبع سمعت عن انفجار الكامب"

ازدرد الضابط ريقه:"أجل سيدي"

مط الكولونيل شفتيه وهو يتفحص الضابط عن عمد كأنما يقصد إرباكه

وزيادة شعوره بالتوتر والخوف وكأن هذا يسعده أن يرى الخوف بأعين الناس منه، ويشعر باللذة عندما يتوسل إليه أحدهم.

كان يمسك بملف أمامه فلوح به في وجه الضابط: "أنت المسئول عن الخزانة أليس كذلك؟"

:"بلى"

أجاب الضابط وهو يشعر في قرارة نفسه بالراحة قليلا لأنه تخلص أخيرا من ذلك الحمل الثقيل من على كاهله فحراسة الخزانة ومسؤوليته عنها كانت تورثه القلق الدائم وجاء انفجار الكامب ربما ليخلصه من تلك المسؤولية الثقيلة، لم يمهله هاري مرة أخرى للتفكير:"أين كنت ليلة الحادث؟"

ابتلع ريقه وهو يجيب:"لقد انتهت فترة مناوبتي سيدي فكنت في بيتي آنذاك"

:"امممم وأين كان مفتاح الخزانة؟"

توتر الضابط أكثر"في مكانه المعتاد سيدي في جيب سترتي العسكرية"

:"لكن من معاينة مكان الانفجار تم اكتشاف أن الخزانة لم تنفجر لكنها كانت مفتوحة ومن معاينتها تم اكتشاف أنها قد فتحت بمفتاحها أيضا: "ترى روبرت ماذا يعنى ذلك؟"

طأطأ الضابط رأسه :"لا أعرف سيدي"

وكأنه لم يسمعه سأله مرة أخرى:"قل لي روبرت هل تعرضت لشيء غير اعتيادي فترة ما قبل الانفجار"

:"شيء غير اعتيادي؟مثل ماذا؟"

:"السرقة مثلا؟"

ابتلع الضابط ريقه في توتر فأدرك هاري أن هناك خطبا ما ، كان الضابط يشعر بالتوتر لأنه لم يروي لأحد شيئا مما حدث مع تلك الفتاة التي قابلها بالبار كي لا يسخر منه زملاؤه نظرة هاري المسلطة عليه بتفحص لم تعطه الفرصة للإنكار أو بالتفكير بأمر آخر

:"نعم سيدي الحقيقة أنني قد تعرضت للسرقة قبل يومين تقريبا من

الحادث"

شعر هاري بالحماس لأنه شعر بحدسه أن الأمر له علاقة بتفجير الكامب وحتى إن لم يكن كذلك فهو لن يخسر كثيرا إلا بضع دقائق من وقته:"أريد أن أعرف كل شيء بالتفصيل روبرت كل شيء كيف تمت السرقة ومتى والمسروقات كل شيء مفهوم؟"

:"مفهوم سيدي"

وبدأ برواية كل شيء لهاري بدءا من ملاقاته لحور فجأة حتى استيقاظه في حجرة الفندق وبوجهه كدمة كبيرة جراء لكمة الفتاة له واكتشافه بسرقة بعض الأموال من جيبه، حك هاري رأسه وهو يحاول ربط الأحداث ببعضها البعض :"إذن أنت لم تمس تلك الفتاة"

:"لا سيدي هي لم تسمح لي بلمسها في بادئ الأمر بحجة أننا في طريقنا للفندق وحتى عندما وصلنا إلى هناك لم تسمح لي"

:"وهل وجدت مفتاحك بمكانه؟"

:"نعم سيدي"

:"في مكانه الذي تضعه فيه كل مرة؟"

:"نعم سيدي....."ثم صمت فجأة

ضاقت عينا هاري:"ماذا؟"

:"لقد وجدته في الجيب الأيسر وأنا معتاد على وضعه بالجيب

الأيمن ولكني عندما بحثت عنه ظننت أني أنا من غير مكانه وكان الأهم بالنسبة لي هو وجود المفتاح نفسه لا مكانه"

:"اممم، هل لي بأوصاف تلك الفتاة؟"

لم يفهم الضابط لماذا لكنه نفذ فحسب وأدلى له بأوصافها ، بعدما انتهى روبرت تفحصه هاري قليلا ثم أمر بانصرافه رغم أنه يريد تحويله للمحاكمة بسبب إهماله فهو قد أدرك على الفور علاقة السرقة بتفجير الكامب، ربما كانت عملية سرقة عادية وهو يبالغ بالأمر إلا إنه يشعر بغير ذلك وحدسه لا يخطئ أبدا.

****

عادت والدة نديم وإخوته لكن زينب كانت تبدو على غير عادتها وتبدو مهمومة نوعا ما، لاحظ نديم ذلك لكنه لم يرد التدخل أو حتى سؤالها كي لا تظن أنه اهتمام من نوع ما وتبني عليه الآمال رغم أن أمرها يهمه تماما كعزيزة ورقية.

لكنه سأل عزيزة فهمست له:"لقد طلبها أحدهم للزواج"

لمعت عيناه فرحا: "حقا؟"

كان بالفعل سعيد من أجلها فزواجها يعني أنه قد ارتاح من جانبها سوى أنها لن تعلق الآمال عليه كما تفعل دائما.

:"وماذا كان ردها؟"

:"لقد رفضت"

شعر بالإحباط :"رفضت؟!"

:"من أجلك يا نديم ولكن أمي لم توصل ردها بعد وصممت على استشارتك أولا"

:"وأين هي زينب الآن؟"

:"في حجرتها"

:"حسنا"

ودون إضافة كلمة اتجه إلى حجرة زينب وطرق بابها ودخل عندما دعته لذلك

احمر وجهها عندما وجدته بحجرتها فهو ربما لم يدخلها أبدا بعدما أصبحت تعيش معهم: "كيف حالك يا زينب؟"

أجابته بصوت خفيض :"الحمد لله"

:"لقد علمت للتو أن أحدهم تقدم لخطبتك؟"

احمر وجهها أكثر لكنه استدرك قائلا:"وسمعت أيضا برفضك، لماذا ترفضين؟"

شعرت أنها ستبكي وبالفعل ملئت الدموع عينيها وكادت تصيح من أجلك يا نديم لكنها لم تجرؤ لكن نديم هو من قال ذلك:"أنت ترفضين من أجلي أليس كذلك؟"

لم تجبه بحرف فأكمل مختصرا ما بداخله في كلمات قليلة :"زينب

أنتِ مثل عزيزة ورقية تماما ولم أفكر بكِ للحظة كشيء آخر،أعلم أنك ربما تكرهينني الآن أو حتى تشعرين بالغضب تجاهي لكنى لا أستطيع خداعك ولا أستطيع أيضا رؤيتك تدمرين حياتك من أجلي"

ابتلعت ريقها في حزن شديد وهي تشعر إنها تبتلع مرارة الرفض منه فنزلت دموعها بغزارة :"زينب أرجوكِ لا تبكي أقسم لك أنني لا أريد أن أظلمك بأي شكل وأن أمرك يهمني تماما ولهذا جئت إليكِ,أنتِ تهدرين حياتك من أجل انتظاري وهذا يؤلمني كما يؤلمك تماما ، كان يمكنني أن يشعرني حبك بالغرور وأن أسعى لحبك ولتسلية لكني لست كذلك وأنتِ لا تستحقين، فكري يا زينب بكلامي جيدا وأنا بانتظار ردك".

عندما تركها وغادر الغرفة انهارت بالبكاء فالحلم الذي انتظرته طويلا قد ذهب إلى غير رجعة، كانت تحتمل من أجله لأنها لم تصارحه بحبه والآن لقد كان يعرف كل شيء ولم يتقدم خطوة لأنه لا يحبها ويحول الابتعاد ربما تفهم بمفردها أنه لا يفكر بها، ضربت الوسادة بيديها :"كم أنا غبية"

بكت كثيرا حتى تورمت عيناها لكن عندما هدأت اتخذت قرارها لن تنتظره بعد الآن بعدما ألقى بوجهها رفضه إياها.

خرجت من حجرتها واتجهت مباشرة إلى حجرته طرقت الباب وعندما دعاها للدخول لم تقل سوى كلمتين :"أنا موافقة "

****

كانت حور ترتدي ملابسها لكي تذهب إلى الاسبيتالية التي تعمل بها فلقد امتنعت عن الذهاب لبضعة أيام دون إبداء أسباب بسبب إصابتها ولابد أن تذهب لتبرير موقفها والاعتذار أيضا عن غيابها ،وقفت أمام المرآة لتعدل شعرها المستعار لكنها فجأة خلعته مرة أخرى وأخذت تتطلع إلى نفسها وهي تتحسس شعرها وتنظر إلى نفسها كأنما تفتقد نفسها التي لم تعد هي والتي لم يبق منها إلا سراب وقلب مجروح، لمع اسم نديم أمام عينيها فشعرت بقلبها يخفق فعقدت حاجبيها وتلاحقت أنفاسها ثم ارتدت مرة أخرى شعرها المستعار بحدة لأنها شعرت بالغضب من قلبها الذي يبدو أنه سيحنث بوعده معها، لقد واعدت قلبها أن تعيش للانتقام وفقط لا مكان للحب أو لشيء آخر سواه،لكن لماذا نديم؟إنها لن تستطيع الإنكار أمام نفسها فهي تشعر به بشكل مختلف،صحيح أنه جرحها كثيرا بكلماته القاسية إلا أنها عندما تراه أو تسمع صوته فقلبها يخفق.

(لكنه رجل متزوج) زجرت نفسها بعنف وهي تذكر نفسها أخذت نفسا طويلا واحتلت عيناها نظرة الجمود نفسها وكأنما لم يخفق قلبها منذ قليل وارتدت شعرها المستعار ثانية وهي تقسم لنفسها أن لا مكان بقلبها سوى للانتقام من قاتل عائلتها وقتها فقط ربما تفكر

بالأمر، همت بمغادرة الشقة فوجدت أمامها السيدة سعاد والدة نديم

:"صباح الخير يا نادية يا بنيتي"

:"صباح النور يا سيدة سعاد كل سنة وأنتِ طيبة"

:"وأنتِ طيبة يا حبيبتي"

ظنت حور أن والدة نديم فقط تريد تهنئتها بالشهر الكريم ولكنها فاجأتها بالقول أنها تريد دعوتها للإفطار معهم ، شعرت حور بجفاف حلقها وهي تتذكر بذلك أيام رمضان مع عائلتها :"اقرئي بقلبك لا بعينيكِ يا حور"

كان ذلك حمزة يحثها على تدبر القرآن وأن تشعر الآيات لا أن تقرأها بسرعة وخصوصا في رمضان ، همت أن ترفض لكن سعاد الصغيرة ظهرت فجأة وهي تهتف بها :"تعالى وأنا سوف أحتفظ لك ببعض الأرواح أم أعطيها لك الآن؟"

شعرت حور بقلبها يخفق بقوة كانت في صغرها تعشق الأرواح لكن المرارة التي تحيط بقلبها لم يعد يجدي معها أي شيء وهي أيضا قد حرمت على نفسها تناول الأرواح حتى تثأر لعائلتها فشكرت سعاد الصغيرة وهي تقول لها :"حسنا سآتِ"

تهللت السيدة سعاد لموافقتها فهي في الحقيقة تدعوها لتكون بالقرب من نديم ربما يوفق ابنها ويتزوج من تلك الفتاة الهادئة بدلا من تلك النادية التي وما إن طلقت تأتي تقريبا كل يوم بحجة رؤية

سعاد ابنتها ولكنها تعرف نواياها فهي تحاول كسب ود نديم مرة أخرى حتى يعود إليها.

ربتت على كتف حور :"حسنا يا ابنتي سننتظرك على الإفطار إن شاء الله"

أومأت حور برأسها واستأذنت للانصراف لعملها هي فقط وافقت لأنها حقا لا تعرف لماذا ولكنها خائفة من تجمعهم سويا تخاف أن ينسيها تواجدها وسطهم عائلتها تخاف من قلبها وخفقاته التي لم تعد تفهمها.

****

كانت السيدة سعاد قد دعت صلاح أيضا بعدما صرح لها نديم برغبته في الزواج من عزيزة فلم يعد هناك معنى للتأخير فزينب قد وافقت على الزواج وإن حدث وتم أي شيء لزينب ربما قتله صلاح ، كانت سعادتها لا تقدر وهي ترى ابنتيها سيتزوجان نعم فزينب لا تقل حبا عن رقية وعزيزة ، أخيرا ستصمت أعين الناس وألسنتهم عن بناتها العقبى لرقية

****

دخل نديم الاستديو الخاص به فوجد سعد منهمكا في بعض الأعمال فناداه فترك ما بيده ليعرف ماذا يريد في الحقيقة:" يا سعد هناك

أمرا أود مفاتحتك فيه"

عقد سعد حاجبيه وشعر بالقلق:"عزيزة أختي وزينب ربما يتزوجان قريبا"

شعر سعد بالغصة تملأ حلقه فهتف دون وعي:"ورقية؟"

طأطأ نديم رأسه بخجل:"أعتقد أنكما ربما تتأخران قليلا أرجو مسامحتي"

كان يخبره بالأمر مراعاة لمشاعره لموت والده ولكن ما باليد حيلة لكن سعد امتلأت نفسه بالغضب فهذا لا يعني سوى شيء واحد أن نديم يرفضه ولكن بطريقة مهذبة فأوغر في صدره وتصاعد غضبه وقرر أنه من اليوم سيستفيد من الجميع قدر المستطاع فالمال دائما كان المشكلة وهو سيحصل عليه بأي طريقة.

****

اجتمع الكل على مائدة الإفطار وكان صلاح يختلس النظر إلى عزيزة بين لحظة وأخرى وهو لا يصدق أنه أخيرا سكون لها وستكون له رغم أنه يشعر بالضيق ناحية حور التي لم تتحدث كثيرا إلا إذا حدثها أحدهم فسخر منها في نفسه وأنها تتظاهر بالعفة رغم أنها.....

انتهى الجميع من الإفطار وبدأت الحلوى والمشروبات تنهال من كل جانب كالعادة في الشهر الكريم وفجأة دق الباب ففتحت عزيزة لتظهر نادية بوجهها المغرور ككل مرة وحاولت الابتسام وهي

تتصنع الود معهم لكن ما إن وقعت عيناها على حور هتفت:"ماذا جاء بهذه الراقصة هنا؟"

الملاك الأسود

روائع الروايات الرومانسية

رضا الدسوقي

الفصل الرابع عشر

اتسعت عينا نديم وهو يسمع هتاف نادية المقيت تماماً مثلها، كم يشعر الآن أنه يمقتها, ولا يطيق حتى رؤية وجهها؛ سبحان الله أسماه قلباً إلا لأنه يتقلب..

فبالأمس القريب كانت عشقه, وحبه الذي لا ينتهي؛ والآن يبغضها تماماً.

استدركت كلامها دون حتى أن تهتم لاستنكاره, واقتربت من حور وقالت في حقارة:

:"ماذا تفعلين هنا أيتها الراقصة ؟.. آه هل تتفقين على الرقص بزواج أحدهم ؟.."

امتقع وجه حور, وزمت شفتيها, ونظرت لنديم..

بالتأكيد أخبر زوجته عنها..

حدقت به لبضع لحظات, كانت قاسية جداً على كليهما؛ فهى تظن أنه قد أفشى

سرها, وهو غير مصدق لما يحدث؛ حتى أنه قد نظر لصلاح بغضب حقيقى؛ لأن

لا أحد غيره يعرف عن حوريته..

صاحت أمه:"ماذا تقولين يا نادية!.. هل جننتي ؟.."

وصاح نديم في صلاح:"كيف تجرؤ على فعلها ؟.."

:"أقسم أنني لم أتفوه بحرف.."

كانت نادية تنظر لهما بتشفٍ, واستطاعت استغلال الموقف تماما لصالحها..

:"أريتم؟.. إنها بالفعل كذلك, ويبدو أن صلاح, ونديم يعرفان عنها منذ فترة طويلة..

ولِمَ يخبركم أحدهما؟.. ترى لماذا؟.."

استدار لها نديم, وفى عينيه نظرة شر أخافتها:"أنتِ ماذا تفعلين هنا؟.."

لم تنظر إليه؛ إنما نظرت للست سعاد, وهى تهتف:" أرأيت كيف يدافع عنها؟.. جئت لأنقذكم، تخيلي يا حماتي العزيزة أن بناتك العزيزات قد يوطدن صداقتهن بالجارة, والتى تكون راقصة.. ماذا سيقال عن سمعتهن؟.."

كان هذا كثير على الست سعاد, وعلى البنات اللاتي كن ينظرن للموقف ككل

باستغراب..

هتفت الست سعاد موجهة حديثها لحور:"هل هذا الحديث صحيح يا ابنتي؟.."

كانت حور تستشيط غضباً, فنظرت لها بحدة:" لست مرغمة لتبرير موقفي لأحد.."

ثم اتجهت علي الفور إلى الباب كي تغادر الشقة..

لم تسكت نادية إلى هذا الحد؛ بل اقتربت من الست سعاد, وهمست بها بابتسامة

ساخرة:" بالطبع كنت تريدين تزويجها لنديم!.."

كان هذا بالفعل أكثر ما يغضب الست سعاد, ويشعرها بخيبة الأمل والإحباط؛ شعورها أنها خُدعت في تلك الفتاة الهادئة, يغضبها ويحزنها أيضاً تدخلت عزيزة لأول مرة في الحديث هاتفة:"ربما من الممكن أن تكون راقصة؛ لكننا لم نر منها شيء يسئ إليها, أو إلينا؛ على العكس إنها تتعامل مع الجميع بأدب؛ عكس شخصيات أخرى صحيح لسن راقصات؛ إنما أحقر خلقاً.."

امتقع وجه نادية عندما أدركت المعنى الموجه إليها, وبدأت بالصياح:" لم يعد سوى العانس تتحدث إلي.."

شعر الجميع بالغضب لهذه الجملة, وبدأ صلاح بالدفاع عن عزيزة, وأمها أيضاً

مما اضطر نديم للصياح فيهم:" كفى.. أنا لن أسمح لأحد بالحديث عنها بسوء بعد الآن, سأتزوجها.."

صمت الجميع كأنما على رؤوسهم الطير, وأولهم نادية التي فتحت

فمها كالبلهاء؛ غير مصدقة أن يتركها نديم, أو يفكر بغيرها..
وأول من بدأ بالحديث كانت أمه:" ماذا قلت؟.. ستتزوجها؟!.."
:"نعم سأتزوجها إن شاء الله على سنة الله, ورسوله, وهذا قراري.."
ودون أن يستمع لرد فعل والدته, اتجه إلى نادية؛ ليدفعها خارج الشقة:" هيا إلى الخارج.. هياااا وإياكِ, ثم إياكِ؛ أن أراكِ مرة أخرى.."
خرجت الأخيرة مذهولة مما يحدث؛ فهى لم تفكر عندما خططت لفضح حور؛ أن مخططها ينتهى بتلك الطريقة المهينة لها للغاية..

أما والدته فقد سالت دموعها حزناً؛ أن يكون هذا قرار بِكرها..
صاح بهم عندما رأى الجميع ينظر إليه:"هذا قراري, ولن أغيره.."
ثم خرج هو الآخر, وصفع الباب فى عنف؛ كاد يكسر فيه زجاجه..

****

نظرت الست سعاد إلى صلاح, وهى تتوسله:" أرجوك أن تفعل شيئاً, لا تدعه يفعلها ويتزوج من تلك الراقصة.. ماذا سيقول الناس عنه, وعن إخوته البنات؟..
تنهد صلاح بغضب هو الآخر:" يبدو أنه جُن، سأحاول التحدث إليه, لكن ليس الآن؛ ربما فى وقت لاحق عندما يهدأ.."

****

ود نديم لو يطرق بابها, ويعتذر لها عما حدث؛ ولكنه فكر أنه حتى وإن فعل لن تفتح له, ولن تقبل منه أى إعتذار الآن،إنه يشعر الآن أن حبها قد توطد في قلبه، كاد للحظة أن يصيح بهم هى أطهر من أى شخص, وهى ليست راقصة, وليست كما يظنون؛ لكن نظرة الغضب بعينيها ألجمته أن يفشى سرها للمرة الثانية, بعدما أخبر صلاح فى المرة الأولى أنها راقصة، لكن ما يحيره حقا هو؛ كيف عرفت تلك الحقيرة ؟.. رغم أن صلاح أقسم أنه لم يقل شيئا،هل رأتها؟.. أم ماذا؟..

كاد يجن من التفكير, وقادته ساقيه إلى الإستديو؛ فهو قد إعتاد الذهاب إلى

هناك إذا ما إحتاج للتفكير بشئ ما, أو حيره شئ..

جلس وهو لا يشغله سوى حور؛ التى لابد الآن قد فقدت الجزء الصغير من الثقة الذى بنى بينهما.

فى نفس اللحظة كانت حور تذرع الأرض مجيئاً, وذهاباً كنمرة محبوسة, كانت تشعر بالغضب ليس من نديم؛ وإنما من نفسها.. كيف جرؤت على إعطاء ثقتها لمن لا يستحق؟..

كيف سمحت لنفسها بالإندماج مع الناس؟.. لدرجة أنهم ينزعجون من طبيعة عملها كراقصة أو غيره.

هل تصيح بهم كل بمفرده أنها ليست راقصة؟.. أوعلى الأصح تعمل كذلك لتنتقم لعائلتها التى قتلت بلا رحمة, أو شفقة, وعدم احترامهم لها ونظرات الازدراء..

التى تملئ أعينهم حتماً ستتغير إن عرفوا حقيقتها, وأنها بنت عائلة وأصول كما يقولون..

ستحاول قريباً جداً مغادرة ذلك المكان إلى آخر, لايعرفها فيهم أحد, ووقتها لن تعرف أحداً, ولن تتعامل مع أحد..

****

بات نديم ليلته فى الإستديو, حتى إنه لم يتسحر لليوم التالى.. نهض ليغسل

وجهه ثم أخرج ساعته؛ فخفق قلبه إنه موعد خروج حور للعمل ترى ستذهب اليوم؟.. أم غضبها منه سيجعلها تلازم بيتها؟.. ولكن لم يمض سوى قليل من الوقت حتى ظهرت أمامه في اتجاهها لعملها.

:"نادية... نادية.."

لِمَ يناديها حور؟.. فاسمها يخصه وحده, هي حوريته هو فقط..

زمت شفتيها متجاهلة نداؤه؛ فسارع للوقوف أمامها:" أرجوكِ اسمعيني.."

نظرت له باحتقار:" أنا لن أسمع شيئاً.."

:"لا.. ستسمعينني.."

اختلجت عضلة بفكها, ولمعت عينيها كهرة, وقالت له بتهديد:"إياك وأن تملى علي ما أفعل.."

علم أنه لا فائدة من إستخدام هذا الأسلوب معها؛ فأخذ نفسا طويلا, ثم قال:" حسنا.. هل أستطيع التحدث معك قليلاً؟.."

:"فيما؟.."

:"فيما حدث بالأمس, أرجوكِ.."

:"ماذا تريد أن تقول؟..أنك قد أخبرت زوجتك أننى أعمل كراقصة.. وبماذا أخبرتها أيضا؟.. بحقيقتي؟!.."

عقد حاجبيه بقوة:"ومن قال أنها زوجتي؟.."

:"هي من قال ذلك.."

زم شفتيه, ثم أطلق سباباً:"الحقيرة.."

:"حور إنها ليست زوجتي, إنها مطلقتي, وأم ابنتي؛ وهى تحاول فقط أن تعيدني إليها هذا كل ما في الأمر, كما إنني وأقسم بالله لم أخبر أحداً بشيء عنكِ, وحتى صلاح أقسم أنه لم يخبر أحد.."

جزء منها شعر بالارتياح؛ لأن نادية لم تعد زوجته, واستشعرت

الصدق في صوته, وعينيه؛ فحدقت به للحظات:"وماذا تريد الآن؟.."

شعر بتردد كبير؛ لكنه حسم أمره في النهاية:"حور أنا أحبكِ, وأريد أن أتزوج بكِ.."

خفق قلبها بقوة.. حب؟.. إنها لا تعرف تلك الكلمة, ولا تريد معرفتها؛ ربما فى هذه اللحظة بالذات شعرت بشئ غريب ينتابها, لم تحسه من قبل شعرت أنها تنتمى لنديم, وتشعر به كما يشعر بها, إحساس لم تجربه من قبل؛ حتى عندمازوجوها لمحمد ابن عمها رحمه الله؛ لم ترى فيه رجلها وإنما وافقت على الزواج منه لعدم إحراج والدها، إحمر وجهها بخجل شديد؛ فهى مهما حاولت الإنكار؛ فهى فى النهاية لها قلب فتاة..

ولكنها ضمت قبضتها بشدة محاولة السيطرة على نفسها, وهتفت مدافعة عن أسوار مدينتها التي حصنتها بالجمود من قبل:" أنا لست للحب.."

شعر نديم بخيبة أمل؛ لكنه لم يكن ينتظر منها أن تصرح له بحبها هى الأخرى؛ فهى لازالت تخفى الكثير عنه, ولا تثق به تماماً؛ ولكن نظرة وحيدة فى عينيها شعر أن هناك أمل؛ فاطمأن قليلاً, وهذا يكفيه الآن..

:"لن أعارضكِ بشئ, ولن أجادل معكِ برأيكِ؛ يكفيني أن اعترفت لكِ..الليلة السبت, لنلتقى بمكاننا المعتاد يا حمزة.."

فهمت أنه يريد ملاقاتها فى الملهى الذى إعتادا أن يتقابلا فيه, بشخصية حمزة, لا تعرف لماذا؟.. ومن المفترض ألا يلتقى أيا منهم بالآخر خصوصا هذه الفترة؛ لكنها لم تسأل كعادتها, وانصرفت إلى عملها بعد أن أومأت لنديم بالموافقة..

أما هو فعلى الرغم من حذره؛ فقد طلب منها أن تلقاه كحمزة في الملهى فقط؛ ليستمتع بصحبتها دون قيود؛ فكونها نادية لا يتيح له مقابلتها إلا قليلاً جداً..

****

عندما عاد إلى الإستديو، ووجد صلاح بانتظاره؛ فأشاح بوجهه في ضيق:"ألن تتحدث معي؟.."

سأله صلاح برفق..

فأجابه نديم بضيق:"وفيما قد أتحدث معك يا صلاح؟.."

:"أنا لم أقل شيء أقسم لك, لكن أن تتزوجها فهذا غير معقول يا نديم, والدتك لم تكف عن البكاء؛ منذ أن فجرت بوجهنا هذا الخبر.."

هز نديم رأسه, وخفض صوته:"اسمعني جيداً يا صلاح أنا أحبها, ولن أتزوج غيرها.. هل فهمت؟.."

:"لا لم أفهم.. كيف تربط حياتك بواحدة مثل هذه راقصة؟..تبيع جسدها لمن يدفع أكثر.. ألم يكن هذا كلامك؟.."

احتد صوت نديم:

"بلى هذا كلامي؛ لكنه تغير الآن, وهى ليست كما تظن, ثم هل نسيت أنها ساعدتنا في العملية الأخيرة؟.. ولولاها ما استطعنا سرقة مفتاح الخزانة من الضابط.."

:"أنت قلتها ساعدتنا.. هل كل من يساعدنا من فتيات نتزوج منهن؟.. ثم إنها ساعدتنا عن طريق ماذا؟.. أليس بكونها راقصة, واصطادت الضابط على هذا الأساس؟.."

:"اسمعني جيدا يا صلاح؛ أنا لا يعنيني ما قد يقوله العالم عنها؛ يكفيني أنني أحبها, وللمرة الثانية أقول لك إنها ليست كما تظن.."

أدرك صلاح أنه لا فائدة ترجى من الحديث معه بهذا الشأن؛ ربما فى وقت آخر سيعاود للحديث معه عن الأمر؛ ولكنه الآن يبدو مصمما للغاية..

مط شفتيه ثم قال:" حسنا يا نديم لنؤجل حديثنا لوقت آخر؛ لكن هيا إلى البيت لترتاح قليلاً ولتحاول إرضاء والدتك.."

:"لا أريد الذهاب إلى البيت الآن, ثم إن سعد لم يحضر بعد.."

سمعا كليهما صوتها من اتجاه الحمام الخاص بالإستديو..

:"من هنا؟.."

جاءه الرد من وراء الباب:"أنا سعد.."

عقد نديم حاجبيه, وهو ينظر لصلاح بتوجس:"منذ متى, وأنت هنا يا سعد؟.."

:"منذ قليل فقط, لكنى وجدت الباب مفتوح.."

:"حسنا.."

تراجع هو وصلاح إلى الخارج.."ترى هل سمع شيء؟.."

:"لا أعتقد ذلك فوجوده بالداخل لا يسمح له بذلك, كنا نتحدث بصوت خفيض.."

نظر له نديم بتشكك, وهو لا يشعر بالإطمئنان أبداً؛ لكنه نسى الأمر سريعاً معنداء صلاح لسعد أنهما سيغادران..

غادر الإثنان الإستديو, وخلفا ورائهما إبتسامة سعد الخبيثة؛ فقد سمع كل

شئ, وعرف الكثير أيضاً؛ وسياطلب تلك النادية بالكثير فى المقابل،لقد وصل فى اللحظة التى غادر فيها نديم؛ ليستوقف حور, وعندما وجد صلاح بدوره يتجه للإستديو, شعر أن هناك أمر يجب أن يعرفه عن ثلاثتهم فأينما توجد المعلومات؛ يوجد المال..

ولمعت عيناه بشر لم يعتده هو نفسه عليه؛ ولكن منذموت أبيه تعلم جيداً أن الدنيا غابة, إن لم تستذئب؛أكلتك الذئاب..

لم يفارق وجه نديم حور أبداً, وهى تعمل بالإسبيتالية, وقلبها لم يكف لحظة

عن الخفقان, لم تنكر أنها تشعر بالسعادة؛ أن هناك من يحبها لقد إفتقدت هذا الشعور من سنوات وحيدة،الحب الوحيد الذى شعرت به قليلاً بعد قتل عائلتها, كان من الست فاطمة حتى مع هذه؛ كانت حور تحبها بحذر خشية الجرح,مرة أخرى إبتسمت للحظة, ثم قطبت جبينها ثانية على الفورفهى لم تفعل ذلك منذ زمن بعيد, رغم أنها كانت تبتسم أحيانا كثيراً؛ كى تتعامل مع الناس،عادت للوم نفسها مرة أخرى؛ فهى لم تعتد شعور طعم السعادة, ولم يعد لها مكانا بقلبها.

****

التقت هي ونديم ليلاً؛ لكن كحمزة وشعرها الحليق المميز..

حاول نديم أن يحدثها عن حبه مرة أخرى؛ لكنها استوقفته:" لا أريد أن أتحدث الآن من فضلك, ثم إذا سمعنا أحدهم ستكون مصيبة على كلينا؛لا تنس أنني هنا كرجل.."

ابتسم لحسن منطقها, وأومأ برأسه موافقاً.. يا الله كم

يعشقها..:"وداعا.."

:"وداعا هند.."

انتفضت حور لدى سماعها الصوت, ونهضت من مكانها على الفور وتبحث عن مصدر الصوت..

وبدوره نهض نديم ورائها, لا يكاد يفهم شيء: "ماذا هناك؟!.."

لم تجبه أبداً واتجهت إلى حيث الراقصة هند؛ لكنها لم تجد معها الرجل الذي سمعته يحدثها منذ قليل:"من كان معكِ منذ قليل؟.."

نظرت له المرأة اللعوب بدهشة: "وما شأنك أنت يا حليق الرأس؟.."

أخرجت حور سكينها على الفور, ووضعتها على رقبة المرأة التي بدت مذعورة للغاية:"تكلمي الآن, وإلا قتلتكِ.."

تحشرج صوت المرأة, وهى تجيب:"إنه ضابط إنجليزي.."

:"وما اسمه؟.."

:"لا أعرف.."

:"شكله ؟.."

:"رجل انجليزي بعينين خضراوين وشعر أشقر"

:"وماذا كان يريد؟.."

صمتت المرأة ولم تجب, فحثتها حور بالنطق سريعاً..:"كان يسأل

عن فتاة شعرها أسود, عيونها زرقاء.."

خفق قلبها وهى تنظر لنديم؛ هذا لا يعنى سوى شيء واحد؛ أنهم يبحثون عنها..

ضاقت عينا حور بقوة, وهى تسأل المرأة:"هل كان أعرج؟.."

بدا على المرأة التفكير, فأعادت سؤالها بحدة:"هل كان أعرج؟.."

:"نعم كان كذلك.."

تركتها حور فجأة؛ فنعتتها المرأة بالجنون.

اتجهت حور على الفور إلى الخارج لتغادر المكان, ونديم بأثرها:

:"ماذا هناك يا حور؟.."

كانت أنفاسها متلاحقة؛ كأنما تهرب من وحوش الغابة مجتمعة:

:"لقد.. ك... كان هنا يا نديم.."

نظر لها بتساؤل:"من يا حور؟.. من تقصدين؟.. أنا لا أفهم شيئاً.."

أمسكت بقميصه, وهى ترتعش:"كان هنا.. قاتل عائلتى.. كان هنا.."

اتسعت عيناه:"ماذا؟!.. وكيف عرفت ذلك؟.."

:"لقد سمعت صوته.."

:"سمعتِ صوته!.. ربما كان صوتاً مشابهاً.. من أين لكِ بتلك الثقة؟.."

ضمت قبضتها, وضربت قلبها:"إنه محفور هنا يا نديم, محفور هنا..أنا أعرفه جيداً؛ ذلك الصوت القذر أعرفه جيداً.."

كانت شفتاها ترتجفان؛ كأنها تعانى الحمى؛ فعقدت ذراعيها حولها بقوة علها تتوقف عن الارتجاف:"إنه هو..أنا متأكدة من ذلك؛ لا يمكننى أن أخطأه هو من....قت....قتل عائلتىكلها, ودمرنى.. قتلهم جميعاً هل تفهم؟.."

اتسعت عيناه بشدة عندما فهم أمراً ما؛فأمسكها من كفيها المرتجفتين:"حور هل فعل بكِ شيء؟.."

أجابته إرتجافة شفتيها وارتعاش أنفاسها؛ لكنه سألها ثانية:"أجبيني.. هل آذاكِ؟.. "

أومأت برأسها, وكانت تنتفض بقوة.. يا إلهى إنه لم يرها بهذا الضعف من قبل..

شعر بجفاف فى حلقه,لقد فهم ما تعنيه حور بأن الرجل قد أذاها, وإجتاحته موجة غضب شديدة؛أن هناك من لمسها, أو مسها بسوء, أخذ نفسا طويلاً؛ لأن ثأرها هو ثأره هو, ولا أحد غيره..

وجد نفسه يشدها من كفها, ويسحبها وراؤه:"يجب أن تختبئي الآن.."

نزعت كفها من يده:"هل اختبئ الآن بعدما وجدته؟!..

:"نعم بعد ما وجدتيه.. لأنهم يبدو أنهم يبحثون عنكِ, وصدقينى لن تنالى إلا

التعذيب, والقتل إذا وقعتى بأيديهم.. هياا بنا.."
مشت معه مرغمة, وهى تفكر أنها بالفعل لا تريد الوقوع بأيدي الإنجليز ليس خوفا؛إنما لو حدث ذلك؛ فهي لن تستطيع إتمام انتقامها أبداً؛ لقد انتظرت ثلاث سنوات, ولن يضيرها الانتظار قليلاً بعد..

أخذها نديم إلى شقة الطوارئ؛ ليؤمن لها مكاناً آمناً للإختباء فيه, وطلب منها كذلك مفاتيح شقتها؛ كى يأتى لها بشعرها المستعار؛ فهى هناك بصفتها نادية؛ ليس كحمزة..
:"اعتنى بنفسك جيداً.."
تركها لتشتعل النار بداخلها من جديد, ولمع لهيبها فى عينيها بقوة؛ أخيراً وجدته, قاتلها, وقاتل أسرتها أخيراً..
****
عاد نديم إلى البيت ليجد نادية زوجته السابقة بإنتظاره, لم يكن فى مزاج حتى ليرى وجهها؛ الذي أصبح في كراهة رؤية شيطان بالنسبة له..
لم يتوقف عندها وحاول الصعود إلى الشقة؛ لكنها استوقفته:"ألن تلقى علي التحية؟.."
:"ابتعدي عن طريقي.."

:"لا لن أبتعد.. "،ثم ضاقت عيناها واستدركت:

:"صدقني يا نديم إن لم تفعل ما أريد؛ سأكتب نهايتك, ونهاية ناديتك هذه بيدي.."

ضاقت عيناه بدوره:"ماذا تقصدين؟!.."

:"أقصد أنني سأبلغ عنك السلطات الإنجليزية؛ لأنك تعمل ضدهم, وتلك الحقيرة تساعدك؛ فإما أن نتزوج ثانية'أو رقبتك وإياها.."

:"أنتِ حقيرة.. يا الله.. لماذا أحببتكِ يوماً؟.."

:"لا يهم.. قل ما تشاء.. سأدعو الناس لزفافنا يوم الخميس القادم.. إما الزواج,أو المشنقة.. وتركته دون كلمة.."

وهو ينظر بأثرها بغضب شديد, ثم بصق على الأرض ورائها، كان عقله متحير تماما من أين تأتى بتلك المعلومات؟..أخذ نفساً طويلاً وهو يعد نفسه بالتفكير مرة أخرى؛ ولكن أولاً ليأتى بما أرادته حور؛ ليعود للشقة..

وبالفعل عاد اليها بالأشياء التى طلبتها, وغادر مرة أخرى مخبراًإياها أنه لن يتاخر عليها..

****

كان يجب أن يخبر صلاح؛ ليخبر المجموعة بدوره,أن هناك خطراً

يحيط بهم كى يستعدوا بالإحتياطات اللازمة لذلك؛وبالفعل قابله وأخبره بالأمر..

فهتف صلاح:"ومن أين عرفت تلك النادية بأمرنا؟.. ونحن لم نتحدث عنه سوى فى
الإستد....."
قطع حديثه وهو ينظر لنديم, وهتفا بوقت واحد:"سعد؟.. كيف لم أدرك ذلك؟.. كيف؟.."
ثم أمسك بكتفي صلاح:"اسمعني جيداً نادية الآن في شقة الطوارئ, اشتر لها بعض الأطعمة واذهب إلى هناك, وأنا سألحق بك بعد قليل.."
أومأ صلاح برأسه, وبدأ بتنفيذ الأمر على الفور.. أما نديم فقد عاد للإستديو وعندما رأى سعد؛ وجه له لكمة قوية أسقطته أرضاً:"أيها الوغد القذر.. هل تتجسس علي؟.."
لم يحاول سعد الاعتذار ولا حتى الإنكار:"ولِمَ لا؟.. أليس من عمل الخير؛ محاولة التوفيق بين زوجين مطلقين وأنا أحتاج المال, وزوجتك السابقة تعطيني بسخاء؛ فلماذا لا أفعل؟.."
شعر نديم أنه سيجن من تلك الجرأةوالتبجح.. ما هذا؟!..
:"أيها الوغد.. لقد كنت سأزوجك أختي.."

:"حقا؟.."، كان يسألها باستهزاء غير مصدق أن نديم كان سيفعلها؛ لسوء أحواله وتدهورها..

لكن نديم أكمل:"نعم حقا.. كنت سأزوجك رقية؛ لكنك خائن للأمانة.. هيا إلى الخارج هياااا...."

****

اشترى صلاح الطعام كما أمره نديم, وذهب إلى شقة الطوارئ وفتح بمفتاحه الخاص؛ ليجدها تتجه ناحية الباب تبدو عليها اللهفة, وتبدو انها كانت تنتظر نديم..

عقدت حاجبيها فى ضيق؛ فصلاح هذا لم يحبها, وهى أيضا لا تفعل..

أغلق الباب وهو يحدق بها قليلاً, فربما ساعدتهم بمهمة وطنية؛ لكنها تبقى بنظره راقصة, وداعرة أيضا تعيش على اصطياد الرجال؛ فطالعها باحتقار وهو يناولها كيس الطعام:"لقد أرسلني نديم لأعطيك هذه.."

تناولته منه دون كلمة شكر حتى, وانتظرت أن يخرج؛ لكنه لم يفعل..

لأن وقتها لمعت برأسه فكرة زينها له شيطانه, فكرة قد تجعل نديم يتخلى عن الزواج منها؛ فوالدة نديم توسلت إليه أن يجد حلاً, والآن الحل قد سيق له بين يديه..

فحدق بها بطريقة غريبة؛ فقالت بحدة:"لماذا تنظر إلي هكذا؟.."

اقترب منها فتراجعت للوراء على الفور, وبدت الشراسة على وجهها:"ماذا تريد؟.."

اقترب منها أكثر, وبدأ بهجومه عليها:"أريدكِ أنتِ.. اخبريني كم تتقاضين مقابل عملك ها؟.."

:"أيها الحقير القذر.."، وذيلت حديثها بصفعة على وجهه؛

فجن جنونه وحاول تقبيلها, فليعد نديم فى أى لحظة الآن ليرى من يحبها ويريد الزواج منها, ووقتها سيخبره أنها هى من أغوته..

كانت تقاوم بشراسةادهشته؛ فى اللحظة التى جاء فيها نديم ليرى ما يحدث..

فتوقف صلاح على الفور هاتفا, وهو يشير لحور:"هي من أغوتني.."

عاجلته لكمة قوية من نديم:"أنت يا صلاح؟.. لماذا أيها الوغد؟.. هل هذه الثقة التى أعطيتك إياها؟.. هل هذا هو الإخلاص يا صديق عمري؟.."

صاح صلاح غير متظاهر هذه المرة:"تضربني من أجل هذه يا نديم!.. هذه الداعرة الفاسقة.."

عاجلته لكمة أخرى ونديم يصيح به:"لا تقل عليها كذلك..إنها ليست كما تظن وسبق أن قلت لك ذلك.."

كان يلهث من الانفعال؛ لكنه أكمل:"ومن اليوم لست صديقي, ولن تتزوج بأختي.."

اتسعت عينا صلاح غير مصدق لما يحدث؛ فصديق عمره يبيعه الآن من أجل امرأة، غادر وأغلق الباب وراءه بعنف.

أما نديم فقد نظر لحور اللاهثة بدورها:"هل أذاك؟.. ماذا حدث؟.."

روت له ما كان من صديقه؛ فعقد حاجبيه بقوة.. لماذا يفعل صلاح ذلك؟.. وهذه ليست طبيعته على الاطلاق.. لماذا؟!..

هتف فجأة وهو يتطلع إليها:"حور هل تتزوجيني؟..

:"ماذا تقول؟..وعائلتي وثأري!.."

:"لنتزوج, وأنا سأنتقم لكِ..أعدكِ بذلك.."

هزت رأسها بعنف:"لا لن يحدث.."

صاح بها؛ وقد طفح الكيل مع كل ما مر به اليوم:"لماذا؟.. هل أنتِ مرتاحة لما أنتِ فيه مطاردة مشردة؟.. تعملين كراقصة وتتعرين أمام الناس للأخذ بثأر؟.."

صاحت به:"أنا أفعل مثلما تفعل أنت ومجموعتك,أجاهد الإنجليز, وأبحث عن قاتل عائلتي.."

:"هه تجاهدين!.. هل تصدقين ذلك حقا؟.. ربما نحن نجاهد, أما أنتِ فنيتكِ غير خالصة للهفة الجهاد رضا له.. كيف ترضين الله,

وتجعلين جسدكِ نهشا لأنظار الذئاب؟.."

:"أنا لم يلمسني أحداً من قبل هل تفهم؟..ثم صمتت قليلاً, ثم أكملت حديثها مرة أخرى:"أتدري شيئاً؟.. لقد كنت متزوجة من قبل, ويوم زفافى قتل الإنجليز أبى,أمى,أخى, وزوجى.. هل هذا يكفى كى لا أتخلى عن ثأري؟.."

اتسعت عيناه غير مصدق للألم الذى عاشته من قبل, وشعر بالصدمة أنها كانت متزوجة من قبل، لكنه كان متمسك برأيه فى أن يبعدها عن الخطر المحدق بها, خاصة مع تهديد نادية له..

:"وليكن.. دعينى أنتقم لكِ؛ بدلاً من فعل ذلك بنفسكِ.."

:"قلت لك هذا ثأري وحدي, وأفضل أن أكون بين أحضان الإنجليز, وكؤوسهم؛على أن أترك ثأري, وأتزوج بك.."

أثارت جنونه تلك الجملة؛ فهو يشعر بالرعب من أن يصيبها مكروه؛ وهى تقول له ذلك, ولم يعى إلا وصفعته مستقرة على خدها؛ ابتلع ريقه واختلجت عضلة من فكه وهو ينظر إليها..

متسعة العينين غير مصدقة؛ لكنها لم تمهل لنفسها لحظة في التفكير؛ فقد أخرجت سكينها, وتحرك بسرعة كبيرة ناحيته؛ لتضع السكين فوق رقبته،ولمعت بعينيها شراسة لم يعهدها شراسة لا حدود لها..

:"لا أسمح لأحد أن يضربنى.. هل تفهم؟.."

:"هل تشهرين سلاحك بوجهي حور؟..ها لقد صنع الإنجليز منكِ مسخ يصعب,بل يستحيل التعامل معه.."

ثم دفعها عنه وصاح:"افعلي ما تريدين زجي بنفسكِ وسطهم, وارقصي لهم, وافعلي ما شئت؛ كي تصلى لانتقامك؛أما أنا فسأفعل ما أريد, سأتزوج من نادية مرة أخرى, هى ليست مسخاً على الرغم من عيوبها.."

كان يخبرها بذلك ممزق الفؤاد, كان يريد حمايتها من شرور نادية,ربما بالفعل أبلغت عنها السلطات..

ربما لو كانت وافقت على الزواج منه؛ لكان سافر هي وإياه إلى أي مكان

داخل,أو خارج مصر.. ويبتعدوا عن الجميع؛ لكنها لم تترك له الخيار أبداً؛ وجد نفسه يقول لعلها تعود لعقلها:

:"ما رأيك أنتِ ترقصين في حفل زفافي؟.."

نظرت له لبضع ثوان محدقة به, ثم قالت بإيباء:"بالطبع يا نديم أفندى, ولِمَ لا؟.. ألف مبروووك؛ لكنى آخذ أجرى مقدماً.."

نظر إليها غير مصدق أنها قد وافقت بهذه السهولة, ولم تتحرك لها

شعرة..لكنه بالنهاية أخرج من جيبه نقوداً؛ قذفها في وجهها:"هذا هو أجركِ،الفرح يوم الخميس القادم في(...).."

وأملاها عنوان نادية, ثم غادر دون كلمة..

تاركا الشقى لعينين ترتجفان, وقلب يبكى حباً.

****

شعرت نادية بالفرحة الشديدة, والإنتصار ونديم يخبرها بموافقته؛ وأن الخميس يوم الزفافى بيتها؛ فرحبت بهذا القرار الأخير معددة لمميزات بيتها, وهو يسمعها بنفاذ صبر لا تكاد كلمة تدخل أذنه..

كان مرغماًأن يحميها من تلك الحقيرة؛ التى لن تتورع عن فعلها حقاً والإبلاغ عنهما, فعل ذلك من أجلهما, ومن أجل المجموعة كلها..

بعدما ترك نادية, عاد إلى بيته ليجد صلاح بإنتظاره؛ فتجاهله تماماً كأنه غير موجود:"أرجوك نديم, اسمعني أنا آسف حقاً, لا أعرف كيف فعلت ذلك؟.. لقد ظننت أنه في مصلحتك..

نظر له نديم بضياع:"مصلحتي؟!.. هه.."

:"أرجوك يا نديم صدقني.. كنت أظن بهذه الطريقة سأبعدك عنها.. سامحني أرجوك.."

:"سأتزوج نادية .."

:"افعل أي شيء تريده؛ لكن سامحني يا نديم.."

:"أقصد نادية زوجتي السابقة.."

اتسعت عينا صلاح:"نادية؟.. كيف؟.."

:"سأتزوجها.. لقد علمت كل شئ عنا؛ وتهدد بالإبلاغ عن المجموعة؛ ما لم أتزوجها.."

كان صلاح حقاً غير مصدق لكم الحقارة التي بلغته تلك المرأة:"وماذا ستفعل الآن؟.."

:"سأتزوجها.."

****

صممت حور أن ترقص بزفافه كما طلب منها؛ فليست هي من يضعفها حب,أو يكسرها.. ستثبت له أنها قوية لا تحتاجه هو,أو غيره..

****

كان يجلس إلى جوار نادية التي كانت سعيدة للغاية؛ كأنها أول مرة تتزوج,أما هو كان صامتاً كئيباً؛ كأنما يساق إلى موته.

تفاجئت نادية تماماً؛ كما فعل هو؛ عندما وجد حور أمامه تستعد لرقصتها..

يا إلهي لماذا أطاعته, وجاءت؟..

بدأت رقصتها كالمذبوحة تتمايل من الألم, كانت أيدى المدعويين التى تصفق لها؛ سياطاً من نار تحرق جسدها, وقلبه دون رحمة..تمنت أن يصيبها العمى فلا تراه..

أما هو فرؤيتها كانت تمزقه بلا رحمة, تحرقه حياً..شعر أنه مشلول؛ لولا عيناه التي تتبعها أينما اتجهت..

كان أحد المدعوين يلقى على مسامعها عبارات إعجاب؛ وقتها لم يعد يحتمل,وفاق ألمه كل شيء؛ فنهض من مكانه؛ ليدفعها إلى الخارج, وهو يصيح بها:"هيااا.. لا أريد راقصات, لا أريد أحد.. من أذن لكِ أن تأتى إلى هنا؟.."

كان يدفعها بقسوة إلى الخارج؛ ليبعدها عن أعين المتلصصين؛ فسقطت أرضاً, وهى تحدق به..عندما رأى إرتجافة شفتيها, ولمعة عينيها بالدموع؛ عرف أنه قتلها, ولم يؤذها فحسب..صمت كل شيء من حولهما،اختفى كل شيء من أمامه؛إلا نظرة عينيها..صمت, وارتجف؛ وإجتاحته موجة ألم عاتية إقتلعته من مكانه, وأطاحت به إلى آخر العالم؛ حيث عيناها أيضا..

نظر إليها؛ فرأى بعينيها نظرة قوية, حزينة, شامخة,وأبية.. نظرة لم يعتادها من قبل أبداً..

اه يا حور.. لِمَ لا تتركى لنفسكِ العنان ولو لمرة؟.. ابكى كما تفعل النساء ولو لبرهة،اتركى الضعف ينتابكِ, ارتجفى, ابكى كى أضمك إلي, وأخفى دموعك بكفي..

نظر إلى حيث كانت؛ فلم يجدها.. لقد كانت تغادر,أشار بيده كى يستوقفها لكنها لم تعد هناك.

:"حبيبتي لا تغادري نبضاتي..

فأنا المشرد المجرد من حبيبتي..

لا تتركينى بلا حياة؛ فأنا المتيم رؤى عينيكى إبتساماتى, وأنا الضال بكِ ترسم طرقاتي..حور يا أنا.. معذرة فأنتِ أفدح خسائري, وأنتِ كل حبيباتي.."

****

الملاك الأسود

روائع الروايات الرومانسية

رضا الدسوقي

الفصل الخامس عشر (الجزء الأول)

شعر نديم أن قلبه قد اقتلع بقسوة, لم يمت؛ إنما توقف قلبه عن النبض, عن
الإحساس بالحياة.. لماذا فعل بها ذلك؟.. ألا يكفيها ما عانته, وما تعانيه لقد اكتمل بها القتلى من عائلتها؛ ولكن بيده هو.
:"هل هذا مجنون, أم ماذا؟.."
التقطت أذنيه هذا الهتاف من أحد المدعويين؛ فالتقط عقله الفكرة, وبدأ بالصراخ, وتحطيم كل ما تطاله يداه, وتمادى حتى أنه أمسك سيدة عجوز وصرخ بوجهها؛ فبدأ الجميع يصدق فعلاً أنه مجنون؛ باستثناء نادية التي كانت تحترق من الغيظ, والغيرة, أيضا فحفل زواجها المزعوم انتهى بفضيحة؛ حتى قبل عقد القران, وظهر لها بما لا يدعو للشك؛ أن نديم يعشق حورلا يحبها فحسب.. كانت تظن أنه يحبها هى؛ لكن يريد تأديبها, وإشعارها بالذنب؛ لأنها تركته قبل ذلك.
وليكن الإنتقام منهما هو الحل؛ ولكن نديم ليس زوجها السابق فحسب؛ إنما والد طفلتها الوحيدة.. بماذا ستواجه ابنتها عندما تكبروهى تعرف جيدا مما تسمعه عما قد يفعله الإنجليز إذا قبضوا على أحدهم؟..

ولكن ما لبثت أن زين لها شيطانها؛ ألا توشى بنديم؛ لكن بحور فحسب وامتلئ قلبها حقداً..ولكن ما أفاقها من أفكارها؛ هى يد نديم التى شدتها بعنف, وجرتها وراءه وسط تخوفات الجميع من أن يؤذيها ذلك المجنون..

لمعت عينيه بشراسة لم تعهدها فيه:"اسمعينى جيداً.. لا تظنى للحظة؛ أننى سأتركك لإبتزازى, وفعل ما تريدين,والشعور بلذة الإنتصار بعدها.. تكونى واهمة،أنا لن أتزوجكِ حتى لو قتلت, أو شنقت.. هل تفهمين؟..ربما كنت أحبك في السابق؛ لكنى الآن لا أبغض في الدنيا أكثر منكِ"

امتقع وجهها فلم يهتم, واستدرك:"إذا ما حدث شيء لنادية, أو تم الإبلاغ عنها صدقيني؛ فأنا لن أتورع عن قتلكِ بيدي هاتين.. هل تفهمين؟.."

ثم دفعها فجأة؛ فإختل توازنها, وهى تنظر فى أثره بغير تصديق؛ لكنها ما لبثت أن تراجعت مذعورة؛ عندما عاد إليها مرة أخرى.. ضاقت عيناه, وهو يخبرها:"أنت لا تعلمين سوى القليل جداً عنا؛ ولكن ما أريد إخبارك به إننا لا نتورع عن قتل الإنجليز؛ فلن نفكر لحظة إذا ما أردنا تشويه وجهك هذا فهمت؟..

تركها مرة أخرى وغادر بيتها الواسع, وسط نظرات الناس

وامتعاضهم وتساؤلهم؛ عما كان يريده المجنون من العروس التعيسة بنظرهم؟..

أما هي فكانت تشعر بالذعر الحقيقي مما قاله نديم عن تشويه وجهها, والذي تحسسته لا إراديا؛ فأغمضت عينيها, وهى تتخيل قباحتها وقتها إذا ما نفذ نديم تهديده.

****

عندما خرجت حور شعرت أنها قد ضربت ألف صفعة, وجلدت بالسياط كانت تشعر أنها ثملة؛ لكن بكؤوس الحزن,الألم, والحسرة عما يحدث لها،أول ما فعلته كان هو الذهاب إلى شقتها وسط نظرات الناس المستهجنة؛ لارتدائها بذلة رقص هكذا؛ دون احترام, أو خجل..

لم تهتم كعادتها؛ حتى لم ترد على من وجه لها إهانة, أو عبارة إستنكار..

وكل ما فعلته عندما دخلت إلى شقتها هو الإستحمام؛ كأنها تحاول إزالة بعض من همها, وتوضأت. وصلت لله سبحانه وتعالى؛ لعله يغفر ذنوبها..

ثم نهضت, وارتدت ملابس حمزة واطمأنت على سكينها بمكانه, ثم غادرت الشقة.

****

عندما سمعت عزيزة باب شقة حور يغلق؛ سارعت إلى الباب كى تراها, وتعتذر لها عما حدث؛ فعزيزة لا تحكم بما تراه, لكن بما يقوله قلبها حتى وإن كان ما تراه, أو تسمعه العكس تماماً؛ كما أن صلاح أخبرها أنه كان مخطئ بحقها, وأنه يجب على الكل موافقة نديم على الزوج منها,

فعل هذا كإعتذار بسيط عما فعله مع حور فى الشقة, وما جناه بحق صديق عمره الذى خان أمانته.

لكن عزيزة عندما فتحت الباب لمتجد حور, وعندما نظرت إلى السلم؛ لم تجد سوى ظهر رجل حليق الشعر في مواجهتها..

:"من هذا؟.."

مطت شفتيها بإستغراب ثم عادت إلى شقتهم مرة أخرى.

****

اكتست عينا حور بتصميم يشبه ذلك الذي كان في عينيها أول مرة قررت فيها الانتقام من الإنجليز؛ ولكن هذه المرة سيكون الانتقام لها, ليس لعائلتها..

أغمضت عينيها للحظات, وهى تتذكر كلمات نديم أن تخلص النية لله فدعت الله سبحانه وتعالى أن يتقبل إنتقامها هذا جهادا؛ فما فعلوه

بها لا يغتفر.

شعرت بغصة قوية بحلقها, وحزناً قوياً يعتصر قلبها، كانت بحاجة لمن يحتضنها, كانت خائفة, ومذعورة..

كانت كطفلة أضاعها أبويها, ارتجفت للحظات؛ ثم قررت أن تزور الست فاطمة؛ لتراها, وتبثها بعض من أحزانها التى أثقلتها, ولم تعد قادرة على حملها.

طوال الطريق وجدت نفسها تذكر الله, وتستغفره سبحانه؛ فشعرت ببعض الراحة, حتى وصلت إلى السيرك؛ فعرفها بعض ممن كانت تعمل معهم كحمزة, ورحبوا بها, واكتفت هى بايماءة من رأسها؛ فهى لم تعد تقوى حتى على الحديث؛ولكن لم يندهش أحد فهذه هي طبيعة حمزة الأخرس..

سأل عن الست فاطمة؛ فقالوا أنها فى حجرتها التى لم تعد تغادرها إلا قليلاً

بعدما مات إسماعيل, لم تكن حور تحبه؛ ولكنها شعرت بالحزن قليلاً من أجله؛ فهو فى النهاية قد علمها التصويب بالسكين؛ لولاه بعد الله ما عرفت كيف ستقتل الانجليز..

هزت رأسها بأسى, وهى تحدث نفسها ساخرة:"هه.. أحد الأحزان.."

طرقت باب فاطمة فدعتها للدخول:"من .....حمزة ؟.".

تهللت المرأة لوجودها كثيراً؛ فما إن رأتها حور حتى ارتمت بأحضانها بقوة..

فشعرت المرأة أن ابنتها التي لم تنجبها؛ قد ابتلاها الله حزن جديد،أغلقت باب حجرتها, وأجلست حور بجوارها, وحدقت بها للحظات:"كيف حالك يا ابنتي؟..

ارتجفت شفتاها بقوة, وارتعش كفها, وأجهشت بالبكاء؛ فسارعت فاطمة باحتضانها بقوة:"ماذا هناك يا حور؟..أنا لم أركِ تبكين هكذا من قبل, حتى عندما أتيتِ إلى هنا أول مرة!..

كانت حور تبكى بحرارة, وهى تقول:"لقد كسرت يا أمي، لقد تحطم ما بقى منى.."

:"حدثيني يا ابنتي ماذا حدث؟.."

كانت عيناها لا تتوقف عن الدموع؛ لكن صوتها ثبت قليلاً, وابتسمت كمن أصابته لوثة, وأشارت إلى قلبها:"لقد أحببت.. هل تصدقين؟!.."

ودون انتظار لجواب فاطمة؛ كأنها تحدث نفسها:"نعم أحببت خنت والدي, والدتي, أخي, وكل من قتلوا؛ لأنني أحببت.."

كانت فاطمة تشعر للأسى من أجلها؛ فحور تبدو محطمة تماماً, وقلبها يعانى؛ فحاولت أن تسرى عنها:"أنتِ بالنهاية فتاة يا حور,

وأنتِ لا زلتِ صغيرة, ولكِ الحق في الحب.."

كالملسوعة انتفضت من حضن فاطمة, ووقفت وهى تصيح بمرارة شديدة:"لا ليس من حقي.. لا تقولي ذلك، ليس من حقي شيء، لقد قتلت عائلتي.. وماذا فعلت أنا ها؟..أحببت, ونسيت ما أعيش من أجله.. ن...نع....نعم لابد أن الله يعاقبني؛ لأنني نسيت عائلتي..

بدأ أنفها ينزف, وفاطمة تنظر إليها بخوف شديد عليها؛ كانت فى حالة قاتمة من الحزن, تتحدث كأنما أصيبت بالجنون, وتتأتأ في حديثها، وتضع يدها على قلبها, وتتلاحق أنفاسها بشكل غريب..

استشعرت فيه فاطمة الخطر عليها؛ فاقتربت منها, وربتت على كتفها:"اهدئي قليلاً يا ابنتي.. ان شاء الله كل شيء له حل.."

نزعت نفسها من فاطمة, وحدقت بها للحظات؛ كأنها لا تعرفها, ثم عادت

للصياح مرة أخرى:"لا تقولي لي اهدئي أ...أن....أنا مخطئة.."

خبطت جبهتها بأصابعها؛ كمن يفكر بأمر ما, ثم أشارت بسبابتها كمن وجدها: "حسنا كل شيء له حل.. أنتِ قلتِ ذلك صحيح؟..

س....سأعووود للرقص ثانية فى أماكنهم لأقتلهم, وأنتقم منهم

ن....نععم

سأفعل, سأرقص لهم هكذا..

وبدأت بالفعل بالدوران والتمايل؛ كأنها ترقص..

:"ماذا قلتِ؟..هل أصلح؟.."

كانت فاطمة تبكى من قلبها على ما يحدث لحور؛ فهذه البنت القوية الرائعة

التي إلتقتطها منذ ما يقرب من ثلاث سنوات؛ لم تبكى مهما حدث لها, وما فعله الإنجليز بها, وعاشت في مجتمع السيرك كحمزة لم يرها يوماً أحد ضعيفة, أو مهزومة هكذا.. لابد أن قلبها لم يعد يحتمل الأحزان, امتلئ عن آخره؛ فنزف حزناً وألماً..

ابتسمت حور, وهى تحث فاطمة على الحديث:"لم تقولي رأيكِ.. هل أصلح؟..

:"كفاك يا ابنتي.."

:"كفاني لماذا؟.. ألا يعجبك رقصي, أم لن يعجب الانجليز؟.".

واستمرت فى التمايل بشكل أوجع فاطمة, وهى تراها تهز ذراعيها وعيناها تهطلان دموع, وأنفها ينزف بغزارة, ثم فجأة سقطت فاقدة الوعي..

شعرت باللوعة, وبكت فاطمة بحرارة عليها؛ فلابد أنها لم تعد تحتمل ما تفعله بنفسها؛ لابد أن ألمها فاق سنها الصغير, وقلبها البض..

مسحت على رأسها وهى تنحني تقبلها:"لا بأس يا حبيبتي.. لا بأس.. إن شاء الله سيفرج همومكِ.."

اتسعت عيناها..إن حور حرارتها مرتفعة للغاية؛ كأن رأسها تغلي..

نادت فاطمة على أحدهم ليساعدها على حمل حمزة إلى سريرها المتهالك,رغم أنها لا زالت نحيفة؛ إلا أن فاطمة لم تعد تقدر كما فى السابق.

ابتسمت حور, وهى تقترب من زهرة والدتها, وأبيها اللذين بدا أنهما كانا مشغولين عنها:"أمي....أبى.."

استوقفتها يد زهرة, وأشاحت بوجهها عنها:"ماذا هناك يا أمي؟.. لماذا تشيحين بوجهك عنى؟.."

:"ابتعدي عنى لقد تخليت عنا, وهذه هي النتيجة.."

وفجأة اصطبغ كل شيء باللون الأحمر, وظهرت الذئاب؛ لتهجم على والديها, وسمعت صراخ حمزة معهم, ومحمد, وصرخت:"أمي ي يييييييييي.. حمزةاااااااا.."

وفتحت عينيها فجأة؛ لتطالعها عيون فاطمة القلقة, فمنذ أن فقدت الوعي لم

تكف لحظة عن الهذيان, ومناداة ووالدها, ووالدتها،ربتت على رأسها برحمة, وهى تهمس بها:"اهدئي يا ابنتي.. شافاكِ الله وعافاكِ.. اهدئي...منهم لله من كانوا السبب"

****

في ذلك الوقت عاد نديم لبيته؛ لتواجهه أمه بصياحها:"تزوجتها يا

ندیم؟.."

لم توافق أمه أبداً أن يعود لزوجته السابقة, ولم تذهب معه إلى بيت نادية؛ لتحضر الحفل.."وحسناً فعلت" فكر ندیم:"أمي أرجوكِ, أنا لا أستطيع التحدث الآن؛ ولكِ أن ترتاحي أنا لم أتزوجها..

شعرت أمه فعلاً بالراحة؛ لكن كان هناك ما يحيره؛ فسألته:"ما هذه الغرابة التي تعيش فيها؟.. بالأمس كنت تقاتل من أجل أن تتزوج الراقصة, واليوم تذهب لزوجتك السابقة؛ لتعيدها إليك.. هل تعانى الجنون؟!.."

زفر بغضب, وهو لا يريد أن يتحدث إلى أمه عن شيء:"ارتاحي يا أمي.. لم أعد نادية إلى عصمتي؛ ولن أتزوج بحور.."

لوت شفتيها بتساؤل:"حور؟"

:"أقصد نادية جارتنا.."

سخرت منه:"ولماذا؟.. هل عدت إلى عقلك أخيرا؟.."

زم شفتيه بغضب:"أمي أرجوكِ.."

ثم تركها وتوجه إلى غرفته, وهو يلوم نفسه بعنف:"ليته لم يفعل ذلك بحور, ترى أين هي الآن؟.."

أجابته طرقة عزيزة على الباب:"تفضلي.."

وضعت يدها على كتفه, وابتسمت بحنان:"كيف حالك يا نديم؟.."

أومئ برأسه:"الحمد لله على كل حال.."

:"سمعت حديثك مع أمي، لن تعيد زوجتك السابقة, وفهمتها.. لماذا لن تتزوج بنادية جارتنا؟.. وأنت كنت متمسك بها للغاية.."

امتلأت عيناه بالدموع؛ مما أفزع عزيزة؛ فهى أبدا لم تر أخيها الأكبر ضعيفاً؛ حتى عند موت والده كان صلبا, ومتماسك للغاية..

""لقد أضعتها يا عزيزة, خسرتها بغبائي, وغروري.."

:"ماذا حدث؟.."

كان لا يستطيع أن يحكى شيئاً؛ فنظر لها فحسب, ثم قال:"يكفيكِ أن تعرفي عزيزة, أنني لم ولن أحب مثلها, وهى أشرف وأطهر مما تظنين.."

أومأت برأسها: "نعم أشعر بذلك نديم؛ فأنا بالفعل لا أراها كما يراها الجميع.."

****

لم تتعافى حور من الحمى تماما، لكنها صممت أن تغادر السيرك وتسيطر على
رأسها فكرة واحدة فقط، إن كانت بعد كل هذه السنوات لم تستطع الوصول إلى
قاتلها فستظهر أمامه، ستقدم نفسها إليه ستسعى هي إليه وتجبره على الظهور

بنفسه.

احتضنت الست فاطمة بقوة وهى تودعها: "ادعي لي يا أمي "
:"أنا أفعل يا ابنتي، لكن أنت لست بصحة جيدة "
لوت حور شفتيها بابتسامة باهتة للغاية :" فوضي الأمر لله"
قررت حور أن تعود إلى الملهى الذي سمعت فيه صوت الضابط الانجليزي، فالخيط الوحيد الذي تملكه هو تلك المرأة هند التي قابلت الضابط وجها لوجه وتعرف شكله جيدا وحتى إن كانت في المرة السابقة لم تحدد أوصافه بدقة فهذه المرة ستفعل بإذن الله .

ذهبت إلى الملهى وبحثت عن المرأة التي تدعى هند لم تكن موجودة لكنها وصلت بعد قليل من وصول حور إلى المكان. اقتربت حيث كانت المرأة وألقت عليها السلام في خفة فحدجتها المرأة بنظرة خاطفة وهى تعقد حاجبيها ثم عادت تنظر إليها مرة أخرى: "ألست

حليق الرأس الذي شهر السكين بوجهي المرة السابقة ؟"

حاولت حور الابتسام :"عفا الله عما سلف يا ست هند أنا أتيت أطلب السماح"

ثم أخرجت من جيبها نقودا وضعتها بيد المرأة التي لمعت عيناها طمعا، صحيح لم تكن أموالا كثيرة لكنها كانت ما تملكه حور:

"عربون محبة يا ست هند"

:"من يد ما نعدمها"، لكن فيما كنت تريد هذا الضابط الانجليزي بهذا الشكل ؟ حمدت حور الله في سرها لأنها لم تضطر للبحث عن كلمات تجرها والمرأة للحديث عن الضابط : "لا شيء فقط لقد قابل أحد الضباط أخي وضربه وظننت أنه ذلك الضابط لأن صوته مشابه لمن ضرب أخي ولهذا كنت عصبي يومها اعذريني "

:"آه عذرك معك يا أخي "

:"قلتِ إن الضابط كان يسأل عن فتاة عيونها زرقاء وشعرها أسود ؟"

خدمها القدر أن المرأة ثرثارة التي بدأت تحكى بحماس أن الضابط الانجليزي

عرض عليها مئة جنيه (مبلغ كبير للغاية وقتها) إذا ما استطاعت أن تتوصل

لمعلومات عن هذه الفتاة .

عقدت حور حاجبيها وقد لمعت عيناها فخطتها تسير على ما يرام، تظاهرت

بالدهشة وهى تجيب الست هند هذه: "يا دين النبي مائه جنيه مرة واحدة "

:"آه يقول أنها سرقت منه نقود كثير جدا "

:"لكنه سرق منى عمري"،هكذا فكرت حور بمرارة.

ابتسمت حور متظاهرة بالسخرية من الضابط: "وما اسمه هذا الذي ضحكت عليه هذه الفتاة".

ظهر على المرأة علامات التفكير:" لم يقل اسمه لكنه أعطاني رقم تليفون لكي اتصل به لو رأيت تلك الفتاة"، ثم قامت بإخراج الورقة من ملابسها.

اختطفت حور الورقة دون أن تهتم باعتراض المرأة، لمعت عيناها بجدل وهى تحفظ الرقم عن ظهر قلب، عندما اعترضت المرأة مرة أخرى بقولها أنها ما كانت يجب أن تنبس ببنت شفة معه وهى لا تعرفه إلا الآن، هتفت حور بطريقة رجولية : :" لا اطمئني يا ست هند (محسوبك جدع) لو وجدت هذه الفتاة سأقسم معك المائة جنيه".

****

في نفس الوقت قرر نديم أن يبحث عن حور فقلبه دونها بلا خفق وبلا حياة، سيبحث عنها أولا في الملهى الذي اعتادت أن تذهبه كحمزة، وضع يده بجيبه ليطمئن على العلبة الصغيرة التي تسكن جيبه فمنذ أن قرر أن يبحث عنها ذهب إلى أحد الصاغة (بائعي المجوهرات) واشترى له ولها دبلتين ليلبسها خاصتها في اللحظة الأولى التي يراها فيها ولن يسمح لها بالاعتراض مرة أخرى فهي منه وهو منها، سيساعدها في الانتقام من الانجليز سيكون معها ليرتاح قلبها، خرج من البيت فخفق قلبه وهو ينظر تجاه بابها واختلجت عضلة من فكه وهمس وهو يشير إلى بابها: "وحشتني "، وبنظرة أخيرة ودع بابها وانطلق ليبحث عنها.

****

:"أريد أن أقابل المسئول هنا"، صاح سعد بالعسكري الانجليزي الذي يحاول منعه: :"قل له أن لدى معلومات خطيرة عمن فجروا الكامب وعلى ما يبدو أن "، الكولونيل هاري التقطت أذناه كلمة تفجير الكامب من مكتبه فخرج ليرف العسكري يده بالتحية ويدخل سعد إلى مكتبه بابتسامة صفراء: "تفضل يا عزيزي".

جلس سعد بارتباك لأول مرة يدخل مكتب أحد الانجليز. ضاقت عينا الكولونيل:

"قلت أن لديك معلومات عن تفجير الكامب"

أومأ سعد برأسه:" نعم "

: "عظيم قل ما عندك"

أخبره سعد عن نديم وعن صلاح وعن حور أيضا دون أن يشعر بتأنيب الضمير ولو للحظة فالحقد الذي ملئ قلبه بعدما رفضه نديم كان أكبر من أي مشاعر جيدة بداخله واكتمل الأمر عندما قابل رقية وهى عائدة من مدرستها وقالت له:" أنه لا يشرفها أن ترتبط بمثله وأن نديم قد أخبرها بكل شيء فامتلأت نفسه غضب على غضب وعمي قلبه وبصيرته معا وطمع أيضا أن تكون هناك مكافأة مالية " كان الكولونيل هاري، يحدق به صحيح أنه كان بلا أخلاق وعديم الرحمة إنما نفسه تشمئز من الخونة. كان يستمع له بهدوء بارد كعادة الانجليز، وبعدما انتهى من أسئلته:" حسنا سعد شكرا لمساعدتك لنا "

نظر له سعد بتوجس ثم قال بجرأة طامعة:" ومكافأتي ؟"

ابتسم هاري بامتعاض حاول أن يخفيه: "آه بالطبع "

ثم فتح درجه الخاص فسال لعاب سعد ظنا منه أنه على شفا مكافأة ضخمة ، ولكن ما كان من هاري إلا أن ألقى إليه بعض القروش فاتسعت عينا سعد وبدأ بالصياح بهستريا:" ما هذا لقد قدمت معلومات قيمة ما هذا ؟؟"

نظر له هاري نظرة جمدت الدم بعروقه:" لا ترفع صوتك يا هذا "

""جون "

كان ينادى على العسكري ببابه وعندما دخل الأخير أشار إليه باشمئزاز ناحية سعد:" أخرج هذا الحثالة من هنا"

جن جنون سعد وظل يصيح :"لا لقد قدمت لكم معلومات قيمة لا يمكن ذلك "

ظل على هذا الحال حتى اختفى صوته عن هاري الذي أخذ نفسا طويلا قبل أن يرفع سماعة هاتفه الذي كان يرن بلا انقطاع لكنه لم يستطع الرد بسبب

ذلك المصري الحقير:" هيلوو"

أجابه صوت أنثوي :"أنا هند من الملهى"

:"هند ؟ آه ماذا تريدين"

:"إن الفتاة التي تبحث عنها هنا"

سألها بحماس شديد:" حقا؟"

:"حقا ولا تنسى مكافأتي "

:"بالطبع ..بالطبع"

يبدو أنه يوم حظه أن يقبض على مفجري الكامب هكذا بضربة واحدة.

****

أغلقت حور سماعة الهاتف وقلبها يخفق بعنف فعما قليل ستكون هي وقاتلها في مواجهة بعضهما البعض كانت تلك خطتها فلم يعد في مقدورها أن تنتظر أن تسقطه الصدفة بيدها ستجعله هو من يأتي إليها، حدثت هند عن عمد عنها كي تكون بذاكرتها القريبة وقامت بالاتصال بهاري لضمان أن تقع في قبضته سواء بإبلاغها عن نفسها أو إذا فكرت هند في التبليغ عنها وعندما تكون في قبضته ستقتله حتى ولو كان ذلك آخر ما تفعله بحياتها ستزج بيدها في جحر الحية لتصطادها حتى وان لدغتها الأخير، وعلى الفور اتجهت إلى حمام الملهى لتغير ملابسها وتضع شعرها المستعار لتخرج إلى صالة الملهى وتجلس في مكان واضح للعيان، ربما يبدو أن ما تفعله هو الجنون المطبق لكنها يئست أن يقع قاتل أهلها في قبضتها، اطمأنت على سكينها بربتة من يدها وانتظرت.

****

أقسم نديم بينه وبين نفسه أن يحب حوريته إلى آخر العمر ويدافع عنها ويدفع عنها أي أذى حتى ولو كان الثمن حياته قلبه يحدثه أنه سيراها الآن وسيجدها بالملهى الذي اعتادت التواجد به لكن عندما اقترب من الملهى وجد أن موجة من الفوضى تعم المكان وكذلك بضع سيارات عسكرية انجليزية فخفق قلبه بقوة، كان أمنه يستوجب الابتعاد عن المكان ولكن قلبه حدثه أن هناك ما يسوء

فاقترب أكثر وكانت صدمته الحقيقية عندما وجد أحد العساكر الانجليز يدفع حور المكبلة يديها خلف ظهرها والتي بدت مستسلمة تماما كأن لا شيء في العالم يهمها، كاد قلبه يتوقف وشل بمكانه من المفاجأة ومن المصيبة التي يراها أمام عينيه، لكن ما جعل عينيه تتسعان حقا برعب حقيقي من المصير الذي ينتظر حور، فكر بالتدخل لمحاولة إنقاذها لكنه تراجع بآخر لحظة لأن تدخله لا يعنى سوى شيء واحد تعريضها للأذى، فانتظر بقلب فارغ مغادرة السيارات ثم أطلق لساقيه الريح.

وصل لصلاح وهو يلهث بشدة :"صلاح لقد تم القبض على حور"

نظر له صلاح بدهشة وهو يعقد حاجبيه في تساؤل:"حور من ؟"

:"نادية هي حور هي نفسها حمزة لقد تم القبض عليها "

: "أنا لا افهم شيئا"

صاح به نديم:" لا يهم فيما بعد سأخبرك بكل شيء يكفى أن تعرف، أن نادية قد تم القبض عليها من قبل الانجليز"

اتسعت عينا صلاح :"ماذا؟"

:"ه...هل تعرف سقطت في قبضة من ؟"

:"من؟"

:"الكولونيل هاري رامون"

اتسعت عينا صلاح وهو يهتف باستنكار ورعب حقيقي:"ماذا هاري رامون؟ الأعرج السفاح؟"

****

الجزء الثاني

اتسعت عينا صلاح وهو يهتف باستنكار ورعب حقيقي :"هاري رامون ؟الأعرج السفاح؟ "

أومأ نديم برأسه لاهثا:"نعم هو لا غيره"

كان الكولونيل هاري مشهور بتلك التسمية لعنفه الشديد وساديته في تعذيب أسراه حتى إن مجموعة نديم حاولت مرة اغتياله وفشلت لأن الصدفة أو ربما حظه لعبا دورا في ذلك فقد سافر فجأة إلى انجلترا صبيحة اليوم المخطط فيه

لاغتياله وبذلك العملية لم تتكرر ثانية ربما لأنهم فكروا ساعتها أن قتله لن يجلب إلا الأسوأ على المصريين جميعا.

:"قلت أن حمزة هو نادية يا نديم أنا لا أفهم شيئا ؟"

روى له نديم باختصار أن نادية ليست كما يظن وإنما فقط استخدمت عملها كراقصة للانتقام من الانجليز وأنها هي نفسها حمزة مما أثار

اندهاش حقيقي في نفس صلاح.

لمعت عينا صلاح بالدموع وهو يهتف:" سبحان الله إن بعض الظن إثم"

ثم صمت قليلا وقال بندم حقيقي:" أنا أسف يا نديم أرجوك سامحني"

أومأ نديم برأسه :" لا يهم أي شيء الآن يا صديق يجب أن ننقذها"

انتقلت حمى الحماس إلى صلاح:" بالطبع ولكن كيف؟"

:"أول شيء يجب أن أذهب أطمئن أمي وإخوتي حتى لا نثير القلق عن غيابنا "

:"وثانيا؟"

:"ثانيا ...أنت تعلم أننا لا نجتمع إلا بميعاد وبالطبع ليس لدينا الوقت لذلك، ستذهب معي إلى البيت ثم نمر علي الجميع ونبلغهم بالأمر"

أومأ صلاح برأسه :" حسنا هيا بنا "

****

:"يا أمي نحن مسافران لا تقلقي علينا "

كانت بالفعل قلقة عليه، لم تكن أول مرة يسافر فيها لكنها تشعر في قلبها بوجع غريب وأحلام تراودها من حين إلى آخر تقلقها على ولدها .

انحنى يقبل يدها ثم جبهتها :"اطمئني أمي"

صمتت حتى لا تشعل قلقها أكثر إذا سألت عن المزيد فتدخل صلاح:" يا أم نديم ألا تسألين عنى قليلا ؟"

حاولت الابتسام:" أنت تعرف يا صلاح أن معزتك من معزة نديم و..."

فجأة سمع الجميع جلبة شديدة بالأسفل فسارعت رقية للنظر من الشرفة وعادت على الفور إلى الداخل وهى تهتف مذعورة :" إنهم الانجليز "

اتسعت عينا صلاح ونديم وهما ينظران لبعضهما البعض وهتف نديم :" إنهم هنا من أجلي"

ثم أمسك كتفي صلاح :" صلاح أهرب الآن "

:"ولكن"

صاح به مقاطعا :" ليس هناك لكن أعتقد أنهم هنا من أجلى يبدو أنها فعلتها"

كان يقصد نادية ..

:"صلاح أنت أملنا الوحيد إن ما وجدوني هنا سيبهدلون إخوتي، بلغ الكل وحاول أن تتصرف "

نفذ صلاح أمره على الفور واتجه إلى باب الشقة وسارع إلى السلالم وهو يسمع صوت أحذيتهم تقترب وصعد إلى الأعلى وتسلق

السطح إلى سطح الجيران ومن واحد إلى آخر استطاع أن يهرب وهو يلهث بشدة ونظر ناحية بيت نديم: "_ليكن الله في عونك يا صديق ".

****

كانت حور تنظر على أحر من الجمر أن ترى قاتل عائلتها وجها لوجه، بعد كل هذه السنوات، كانت تفرك يديها بعصبية شديدة وهى تنظر ناحية الباب وفى لحظة ساد الهرج لوصوله، كان المكان معتاد على استقبال الانجليز في رمضان وغير رمضان لكن أن يصل أحد بهذا المستوى ووجوه الجنود حازمة غير ثملة كان هذا ما أقلق الجميع.

دارت عيناه بالمكان كالصقر فجاهدت حور رغبتها بالنظر إلى عينيه مباشرة، كي تقول له ها أنا ذا، عندما رأته شعرت برجفة تسرى بجسدها كله هكذا يبدو إذن قبيح كصوته وهيئته سمرته التي اكتسبها من جو مصر تزيده قبحا ودمامة تثير الغثيان بنفسها.
فنهضت متظاهرة أنها تغادر المكان فرآها :"اقبضوا على هذه البنت"
تراجعت وكأنها ستهرب، لكن كلابه انقضوا عليها على الفور وكبلوها ووضعوا أصفادا وراء ظهرها ثم اقتادوها إلى الخارج.

أما هو فقد لمعت عيناه بجزل عندما رآها وهتفت نفسه بجملة قبيحة تشبهه:"أن روبرت محق في اندفاعه وذهابه معك. "

لكنه لن يبدى شيئا مما يعتمل في نفسه الآن إلا عندما تكون في قبضته فعليا

وهذا لا يعنى سوى شيء واحد اقتيادها إلى قبو منزله وربما سيفعل ذلك أيضا

عندما يقبض على البقية فقبو منزله يردد الصدى بشكل رائع خصوصا عندما

يصرخ أحدهم من الألم.

كان رؤساؤه يعرفون بساديته لكنهم يتركونه لأنه يستخلص أي معلومة يريدها حتى لو استعمل أي طريقة ولأنهم أحيانا يخافون من ثورات المصريين عليهم فهم يتركون بعض الأسرى له وعندما يسأل أحدهم عنهم بشكل يثير الضجة فالحجة دائمة حاضرة .

:"ليسوا موجودون في سجوننا "

وبهذا فالكولونيل هاري هو غطاء غير رسمي لعمليات التعذيب الشنيعة التي يقومون بها لاستخلاص المعلومات.

اقتادها أحدهم إلى داخل القبو وجعلها تجثو أرضا حتى ينزل لها الكولونيل

وحذرها من التحرك قيد أنملة وإلا عرضت نفسها للقتل، خيل إليها

أنها قد رأت نظرة شفقة بعين العسكري الذي اقتادها للأسفل لكن حتى ولو كان صحيح فبماذا ستنفعها الآن ولماذا لم يشفق عليها أحد منذ ثلاث سنوات.

تطلعت للمكان حولها فشعرت بأنها غريبة عنه، فأغمضت عينيها لتشم رائحته

التي تعرفها جيدا، فارتجفت شفتيها وهى تستعيد ذكرى عمرها ثلاث سنوات.

استيقظت، لتجد نفسها لا ترى شيئا وشعرت بالعصابة الموجودة على عينيها، حاولت التحرك فلم تستطع فيديها مكبلتان للخلف، كانت ترتجف من الخوف بل الرعب فطفلة بمثل عمرها وتشهد موت أخيها مذبوحا وتستيقظ لتجد نفسها كذلك ملئها رعبا، وبعد قليل سمعت جلبة ناحية الباب فازداد شعورها بالخوف والارتجاف وكانت تتحسس الأصوات بأذنيها.

:"إذن لقد استيقظتِ؟"

كان صوته منفرا للغاية وحركته ثقيلة كأنما يعانى إصابة ما في ساقه.

كانت تلعب تلك اللعبة مع حمزة كانا يغمضان عينيهما ويقولان من الشخص

بتمييز خطواته.

لم يمهلها كثيرا بالتفكير فوجدته يمسكها من ذقنا وشعرت بأنفاسه تلفح
وجهها
:"ترى فيما تفكر حلوتي؟ لقد رأيت وجهك هناك بعد أن ذبحت هذا المشاغب
الصغير، أظنه أخيك أليس كذلك ؟".

لم تجبه لكن صيحته أفزعتها وجعلتها تنتفض:" أليس
كذلك؟"،أومأت برأسها في رعب .فهدأ صوته كأنه لم يصح منذ قليل
:" كان مشاغبا ولم يرد الإفصاح عن مكانك ...ماذا أفعل ؟"
كان يتحدث عن ذبح حمزة كأنما لم يفعل شيئا فاستشعرت بشاعته ومدى ساديته
استدرك قائلا جعل بطنها تنقبض تريد إفراغ محتوياتها.
:"كان الجميع يسعى لحمايتك مما أثار مخيلتي وجعلني أبحث عنك على الرغم
من أنها ليست عادتي ...أووه، إنني أكذب هذه من عاداتي فأنا أعشق العذارى وصغيرات السن مثلك حلوتي".

ومال ناحيتها ليطبع قبلة خفيفة على خدها فحركت رأسها بعنف فقهقه ضاحكا :"مشاكسة مثل أخيك تماما وهذا يعجبني... "

بدأ في تحسسها وهى تحاول الإفلات منه قدر ما استطاعت فاقترب منها ليهمس ببشاعة :" لولا أن مساعدي المخلص صعد يومها وأخبرني ببدء تجمع الناس بقوة تحت بيتكم لم أكن لأصطحبك إلى هنا فأنا استمتع في أي مكان"، صمت للحظة يتذكر فيها ما حدث وقتها بعدما ذبح حمزة ووجدها سال لعابه وهو يراها بفستانها الأبيض وجمالها الذي لم يخفيه فقدان وعيها وبدأ بالفعل بتحسسها لكن وصل مساعده ميشيل وهو يهتف:" سيدي لقد بدأ الناس بالتجمع أكثر هيا بنا "

مسح شفتيه وهو ينظر إليها: "احملها من أجلى فأنا لا أستطيع تركها دون ترك علامتي الخاصة "

ابتسم ميشيل بخبث وهو يفهم قصد سيده لكنه ما لبث أن هتف بقلق:" والمصريين سيدي ؟"

:"اقتل كل من يعترض طريقك "

وبالفعل هبط ميشيل السلالم للحظة يعطى الأوامر لقتل كل من يعترض طريقه

والكولونيل ثم صعد ثانية لينزل حاملا حور الفاقدة الوعي ولم يجرؤ أحد على

التدخل من فوهات البنادق المصوبة ناحية الجميع دون استثناء.

:"لكنك تستحقين حلوتي"

شعرت بالموت يقترب منها عندما لفحتها أنفاسه .

:"ابتعد عنى أيها القذر ".

جن جنونه عندما نعتته بالقذارة وبدأ في صفعها بقوة كادت تفقدها وعيها

لولا توقفه في اللحظة الأخيرة .

:"لا لن أفقدك الوعي فلحظة مثل هذه تستدعى وعيك كاملا حلوتي !"

لم تفهم ما يقصده إلا عندما شعرت بحفيف ملابسه وهو يخلعها ويهتف بجذل

مريض:" هذه سترتي العسكرية رائعة أليس كذلك؟"

ارتجفت شفتيها فخبط جبهته بكفه:" أووه يا لغبائي نسيت أنك معصوبة العينين، هاهي ."

قربها من أنفها كان عطر ربما لو شمته في لحظة عادية لقالت أنه عطر جيد

لكنها لم تشم سوى رائحة الدماء، دماء حمزة ووالديها ومحمد، رائحة لن

تنساها عمرها كان لسترته رائحة الموت تلاحقت أنفاسها وهو يصف لها ملابسه القطعة تلو الأخرى ثم توجه إليها وهو يهمس

بأذنها:" أنت عروسي اليوم "

حاولت التملص منه لكنها لم تستطع وكانت تصرخ لكنه كان يضحك بهستيريا كلما علت صرخاتها :"ابتعد عنـــــــــــــــى ...."

كان يضحك كشيطان وهو يستمع لتوسلاتها تارة وشتائمها تارة أخرى ...

.....

.....

.....

كانت تنتحب بقوة ولم تعد تقوى حتى على الحديث، مسح شفتيه بكفه، لم تكن تراه لكن قلبها كان يفعل فشعرت بالغثيان الشديد ثم بدأت تتقيأ فصاح بها:" ما هذا أيتها العفنة ؟مصرية قذرة "

.....

:"كفاك يا..... "

عقد حاجبيه :"ما اسمك ؟"

كانت جذعها تقوص بشدة نتيجة لتقيئها ولم تجبه فصاح بها ممسكا بشعرها:"قولي ما اسمك ؟هيا!!!!!!!!!"

خافت من موجة عذاب أخرى فقالت بوهن:"ح.....حور"

:"هور (حور) اممم ما معنى ذلك حلوتي ؟، اممم حور جمع حورية

إذن اسمك

يعنى Angel"

ضحك ضحكة خفيفة وهو يقول لها:" إنه يناسبك تماما أيتها العروس "

كم تكره هذا اللقب، عروس؟ أي عروس تلك لا يمكن لها أن تكون كذلك ؟

(black angel) " لكن أظنه يليق بك أكثر الملاك الأسود فأنت تحملين شراسة لم أعهدها كمهرة برية لا أحد يستطيع أحد ترويضها لكنى سأستطيع ".

صمت للحظات شعرت به يقترب منها :"لماذا لا تبكين ها ؟"

شعرت بالرجل أنه مهووس تماما وهو يسألها عن ذلك فارتجفت

.ضحك وهو يقول لها :" لكنى سأجعلك تبكين"

ثم همس بأذنها:" لأنني أحب صوت البكاء "

ثم عاد للضحك ثانية كالمجنون وغاب لبضع دقائق لم تسمع فيها سوى صوت طقطقة غريبة كأن هناك من يشعل نارا في المكان وفجأة .

:"ها حلوتي ألا تريدين معرفة ماذا أفعل ؟"

هزت رأسها بالنفي، همس بها:" ستعرفين في الحال "

وبدأ بتعرية كتفها:" هذا وشمي الخاص "

شعرت بالحرارة تقترب من جسدها فاستدرك وهو يشعر باللذة لملامح الرعب التي ترتسم على وجهها ساخن كالجمر ليترك أثرا لمدة أطول ارتعبت للفكرة وهى تفكر أنه سيوشم جسدها كالبهائم.

:"عزيزتي أريدك أن تصرخي بقوة .....ها .؟....اتفقنا ؟"

أقسمت وقتها ألا تصرخ أبدا لكن الألم كان أقوى منها كطفلة فصرخت وصرخت وكانت تسمع ضحكاته تعلو وتعلو وهى يستمع إليها فعرفت أنه مجنون تماما حتى عندما انتهت من الصراخ وهى تلهث وعيونها متورمة من البكاء سمعته يقول:" ما رأيك أن ترقصي معي قليلا ؟"

ضرب جبهته بكفه:" يا لغبائي لقد نسيت أنك مقيدة .....لا بأس سأرقص معك أنا "

ثم نزل على ركبتيه في مستواها وأمسك كتفيها :"لا .....لالا..لاااااااااا"

كان يغنى على طريقته كأنما يرقص معها فعليا وهو يهز كتفيها يمينا ويسارا

"أرجوك اتركني.. ى.. ى.. ى.. لماذا تفعل هذا ؟"

كأنما ضربت وتر عنده فانتفض :"لماذا أفعل ذلك ؟ لماذا؟"

ثم أمسك ذقنها بقوة جعلتها تبكى أكثر وقال بصوت لن تنساه ما

عاشت أبدا ،كان صوتا يشبه الفحيح ويقطر حقدا وحقارة لا مثيل لها

:" سأقول لك.....لأنني .....لأنني... "

ثم ضحك بقوة وبتسلية:" لأنني سأقتلك بكل تأكيد ولن يعلم أحد شيء، أفعل ذلك لأنني فقدت ساقي هذه بسبب أحد المصريين أدركت أنها كانت محقة أنه يعانى " خطبا ما في ساقه.

:"كمين فقدت بسببه ساقي، ألا تسمعين خطواتي العرجاء "

ثم صاح فجأة:" ولهذا أنا أكرهكم أيها المصريون أكرهكم "

.....قطع حديثه وهو ينظر إليها :" لكنى أحب المصريات "

ثم انطلق ضاحكا وهو يردد:"أرخى الستارة اللي في ريهنا لهسن جيرانا تجرهنا

أرخى الستارة اللي في ريحنا لأحسن جيرانا تجرحنا (أغنية مصرية قديمة)، أهب هذه الأغنية كثيرا "

اقترب منها ثانية وهو يقول لها :" ما رأيك لو أريك ساقي ؟ها ؟ لقد بترت وهذه التي أمشى بها طرف صناعي"

ودون أن يسمع ردها كالعادة بدأ في خلع ساقه الصناعية وعلى ما يبدو أنها عملية صعبة عليه فقد كان يلهث عندما انتهى ثم قربها منها وهو يهتف:" هذه هي إن تكوني تصدقين ما أقول "

كان يجلس إلى جوارها ثم بدأ بارتداء ساقه الصناعية مرة أخرى واقترب

منها ثانية وهو يهمس مرة أخرى:"ما رأيك لو نعيد ما فعلناه مرة أخرى حلوتي ؟"

فهمت ما يعنيه، فبصقت بوجهه غير أبهة لما قد يحدث لها .فاتسعت عينيه وهو يتنفس كثور وصفها عدة مرات قبل أن يشد شعرها بقسوة ثم لمعت عيناه وارتخت يده عن شعرها وهو يهمس:" إن لك شعر جميل"

ثم شده مرة أخرى وهو يقول بصوت كريه:" ما رأيك لو أخلصك منه ؟"

ثم نهض من إلى جوارها وغاب قليلا ثم عاد بماكينة حلاقة من أحد الأدراج

كأنما أعد هذا القبو خصيصا لأدوات التعذيب وبدأ بحلاقة شعرها وهى تتوسل إليه ألا يفعل ولا تزيده توسلاتها إلا ضحكا واستمتاع وبعدما انتهى كانت هي تبكى فاقترب من وجهها:" ما رأيك الآن ؟"

كانت تشعر بالألم في رأسها جراء الجروح التي خلفتها الماكينة :" قولي ما رأيك الآن ؟ها ما رأيك أجيبيني حلوتي"

زمت شفتيها بتصميم ولأنها لم يعد لها ما تخسره هتفت به :" أيها الوغد القذر"

استشاط غضبا وهتف بها :" يبدو أن شعرك لم يؤدبك أيتها المصرية". واستدار عنها ليعود وبيده سوط وفك قيود يدها وهو

يطرحها أرضا على بطنها وبدأ في جلدها، كان صراخها يصل إلى عنان السماء وكذلك كانت ضحكاته الكريهة وتذكر قلبها قول الله سبحانه وتعالى

:"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم "

(أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء)

رددتها ورددتها وعلا صوتها وفجأة انقطعت ضربات السوط على ظهرها وسمعت سقوط جسد بجانبها وأحدهم يساعدها على النهوض كان صوتا

أنثويا تأوهت والمرأة تمسكها من كتفيها لتنهضها وتقول لها: "لا تخافي هيا لا وقت لدينا "

أوصلتها للباب ثم بدأت بفك العصابة من على عينيها :" من أنت ؟" قالتها حور وهى تشعر بالضعف الشديد:" أنا خادمة في هذا البيت هيا سأساعدك على الهرب، صراخك يملئ الدنيا، ولكن انتظري أولا أن ترتدي هذه الملابس حتى لا تلفتين النظر بفستانك الممزق".

ساعدتها على ارتداء ما جلبته من الملابس ثم ناولتها فستان زفافها فنظرت له بألم شديد ولكن المرأة حثتها على الإسراع:" هيا !!!!"

سارت معها وهى تترنح من الألم حتى أخرجتها المرأة من المكان

وبما بقى لها من قوة جثت أرضا وحفرت بكل قوتها لتدفن فستانها ومعه نفسها وقلبها وأملها في الحياة وكل شيء فهي فقدت كل شيء حقا.

دعت الله أن يساعدها على الوصول إلى أي مكان بعيد وهى تقسم في نفسها أنها ستقتله يوما ما حتى لو كان ذلك أخر شيء ستفعله في حياتها ،كانت متألمة، وجروحها تقتلها، أعانها الله أن تمشى وتمشى وتمشى حتى وصلت إلى خيمة كبيرة لا تعرف ما هي اهتزت الأشياء من أمامها واسودت الدنيا في عينيها وسقطت مغشيا عليها .

****

الجزء الثالث والأخير

:" خدي بالك من البنات يا أمي "

بابتسامة ووصية ودع والدته التي كادت تموت من الحزن واللوعة على ولدها رغم أنها لا تفهم شيئا مما يحدث لكن ها هي أحلامها السيئة تتجسد أمامها وولدها يخطف أمام عينيها دون أن تستطيع فعل شيء ولأن نديم لا يريد لأمه وإخوته أن يصيبهم مكروه إن

حاول المقاومة ذهب معهم لعلهم يذهبون به حيث تكون حور وهذا ما يشعر به أن لقائها قريب ...جدا.

****

التقت المجموعة كلها بعدما أبلغهم صلاح بالأمر،سأله عم سعيد:" أين حمزة يا صلاح ؟ألم تخبره بعد؟"

روى لهم باختصار أن حمزة هو نادية وأنها هي الأخرى قد تم القبض عليها، كانت دهشتهم كبيرة حتى عم سعيد ولكنه قال بالنهاية :" ألم أقل لكم أنه طرى كالبنات ؟ "، ثم صمت قليلا قائلا بأسى:" لكن الحق يقال الشاب شجاع وقوي"

لم يجبه أحدهم وهم يحاولون البحث عن حل فيما حل عليهم.

هتف صلاح :"مبدئيا نحن لا نعرف مكان أيا منهما لكن بما أن هاري رامون هو من قبض عليهم فالاحتمال الأكبر أن يكونوا في بيته على الأرجح في قبوه الشهير. "

من قبل استطاعوا معرفة تلك المعلومة عن طريق رشوة أحد الحراس القلائل

على بيته ،فهاري رامون لا يستعين بحراس كثر لسببين أحدهما هو اكتفاؤه

بحراسه ومساعده والشاهد على معظم جرائمه (ميشيل) والثاني لأن غروره

يصور له أن من المستحيل الوصول إليه وأنه لا يجرؤ أحدهم على الاقتراب
حتى من بيته.
سأله قدورة:" وماذا سنفعل الآن؟"
تدخل منير :" لا حل لدينا سوى البحث عنهما عند هاري رامون وإذا لم نجدهما لنبحث وقتها عن حل آخر"
هتف صلاح :"وكيف سندخل بيته ؟"، أجابه عم سعيد:" أولا لنراقب البيت الأربع وعشرون ساعة، مواعيد خروجه دخوله لكن يجب أولا التأكد من وجودهما هناك وكما فعلناها أول مرة سنفعلها ثانية سنقوم برشوة أحد الحراس".
سأله جمال :" وميشيل ؟"
:"ميشيل يجلس بغرفة ملحقة بالبيت ليبقى بالقرب من سيده"
:"لكن ميشيل هذا خطر جدا ودموي كيف سنتخلص من وجوده "
قال صلاح :" لا يوجد سوى حارسين لبوابة المنزل إذا استطعنا تجاوزهم والوصول إلى حجرة ميشيل سيكون من السهل الوصول إلى هاري رامون نفسه دون أي مشاكل لأن من يعملون بداخل المنزل مدنيين سولا يستطيعون القتال ولا أظنهم يخاطرون بذلك "
هتف الجميع :" إذن على بركة الله"

****

كانت حور تتطلع إلى المكان وتزكم أنفها رائحة الموت فأدوات التعذيب المنتشرة بالمكان تشهد ربما على مآسي أكثر مما حدث لها ،عقدت حاجبيها في قوة وهى تردد لنفسها :"سأقتلك أيها القذر حتى ولو كان هذا آخر ما أفعله في حياتي"

سمعت صوته ناحية الباب فتحفزت خلاياها وهى تنظر ناحية الباب، خفق قلبها لم يكن خوفا ما تشعر به لكن مواجهة قاتل أهلها وجها لوجه هكذا شعور يصعب وصفه.

اقترب منها هو وحارسه الشخصي :" إذن أنت سارقة الضابط؟"

لم تجبه فقط تطلعت إليه بسخرية وهى تحفر بعينيها ملامحه كان طويلا أخضر العينين شعره أبيض، يبدو أنه كان متنكر يوم أن كان في الملهى صوته وحده يثير اشمئزازها ورغبتها في أن تفرغ محتويات معدتها. عاجلتها صفعة قوية منه أسقطتها أرضا

:" لماذا لا تجيبين ؟"

نظرت له وابتسامة تملئ وجهها :"نعم أنا سارقة الضابط وقاتلتك بإذن الله"

عقد حاجبيه بقوة بينما تدخل ميشيل ليضربها بقوة في بطنها، كتمت آهتها بقوة كي لا تشعره بالاستمتاع ولو للحظة. فهي لم تعد تلك الطفلة التي قد تملئ الدنيا صراخا، تقدم ناحيتها الكولونيل وأمسكها من شعرها فاتسعت عيناه وكذلك اندهش ميشيل لأن شعرها كان

بيده وهى حليقة تماما.

كان يعقد حاجبيه وهو ينظر لها مندهشا من مظهرها هذا وهو يتساءل هل فتى أم فتاة ؟ وجدها تنظر إليه وهى تبتسم وقد ضاقت عيناها تراجع عنها فأكثر ما يكرهه في حياته هي أن يرى ابتسامة أسير لديه فسعادته تتخلص في رؤية الألم في وجوه من يعذبهم وصرخاتهم تجعله يشعر بالنشوى ككأس من النبيذ المعتق، بداخله شعر أنه رأى هذا الوجه من قبل لكن لا يعرف متى أو أين ولكن لماذا التساؤل وأسيرته موجودة بالفعل أمام عينيه وفى قبضته.

أمسك بذقنها وتحسسه لينبئه ذقنها الناعم أن الأمر ليس فيه خدعة ما وأن التي أمامه هي فتاة.

استدار لميشيل مداعبا:" ها ميشيل ألن تذهب لمحبوبتك الليلة ؟"

كان هذا أمرا غير مباشر منه أن يترك ميشيل البيت الليلة فقد كان ميشيل يعرف جيدا عقلية سيده السادية التي يشاركه فيها وعقله غير المتزن تماما يشبه المجانين في تقلباته لكنه سأله للتأكد:" لكن سيدي ألن يحتاجني معه خصوصا أن هناك آخر ؟"

عقد هاري حاجبيه وهو يصيح بميشيل:"لا لا أحتاجك "

ثم خفض صوته وقال بصوت ناعم يخالف صياحه منذ قليل:" أنت تعلم أنني أحب الاستمتاع بحفلاتي الخاصة قليلا بمفردي".

وغمز بعينيه وهو يشير لحور فابتسم ميشيل متفهما ثم أدى التحية العسكرية وغادر مؤكدا عودته ثانية عند الفجر

:"آخر ؟"

عقدت حور حاجبيها بقوة هذا لا يعنى سوى شيء واحد أن نديم هنا لا تدرى لماذا فقد يكون هذا الآخر أي شخص لكن إحساسها يقول ذلك وبقوة.

****

كاد نديم يشعر بالجنون عندما لم يجد حور في المكان الذي تم إيداعه فيه، عقد حاجبيه وماذا كان يتوقع ؟ هل ظن مثلا أنهم قد يعدون لهم مائدة بها أصناف طعام على الإفطار، تمنى داخله بقوة أن يراها فهو قد استسلم للقبض عليه فقط ليكون معها ويطمئن عليها حتى وإن كانا في الأسر معا. تأوه عندما تحرك فذلك الميشيل فقد أوجعه ضربا عندما وصل إلى المكان.

كان ميشيل هذا ضخم الجثة شديد البأس ضربته تعادل رجلين معا.

في هذا الحين كان صلاح وبقية المجموعة قد تأكدوا بالفعل من وجود حور

ونديم داخل البيت ويبقى الآن خطة دخول المنزل دون أن يشعر بهم أحد.

****

ترك الكولونيل حور وذهب حيث كان نديم وعندما رآه الأخير برقت عيناه
بالتصميم والحزم فيستحيل عليه أن يترك هذا الوغد يضعف إن لم يكن من
أجله فمن أجل حور ابتسم الكولونيل:" ألن تعترف بأسماء بقية المجموعة ؟لقد اعترفت صديقتك كانت هذه وسيلة قديمة اخترعها الانجليز (فرق تسد) وكانت خدعة لا تنطلي على نديم فوجدها وسيلة للتلاعب معه ربما يذهب به إلى حيث حور "
:"حقا ؟ أنا لا أصدق شيء إلا عندما أراه بعيني، سأعترف لك إن سمعتها بأذني. "
ضحك الكولونيل في تسلية وهو يستمع إلى هذا الهراء ينطلق من فم المصري
لكنه قطع ضحكاته كعادته ولمعت بعقله فكرة شرع في تنفيذها على الحال
واستدار على عقبيه ليذهب إلى حيث حور ويقتادها بقوة وعنف إلى مكان
نديم، خفق قلب نديم بقوة عندما رآها يسيل جانب شفتيها من الدماء وأقسم
أن يقتل هاري هذا ويمزقه إربا لأنه لمسها بسوء ،نظرت له وقلبها

يخفق

حبا وابتسمت بهدوء كأنما تلقى عليه التحية .لولا أنه مقيد لكان ذهب إليها

وأسكنها صدره .....يا الله كم يحبها

"ما رأيك أيها المصري تتحدث أم..... "

ثم أمسك حور من ملابسها ينهضها ويحاول تحسسها أمام نديم كي يجبره

على الاعتراف:" أيها الوغد القذر اتركهاااااا وإلا أقسم بالله أن أمزقك بيداي هاتين"، قهقه الكولونيل:"يديك هه تقصد المكبلتين" شد نديم قيوده بقوة وصرخ لعجزه مما زاد من تسلية هاري بشدة واقترب

من وجه حور يهمس لها:" يحبك ؟أليس كذلك ؟يبدو أن تسليتي ستكون عظيمة الليلة :

ثم دفع حور أرضا وهو يستند إلى الحائط ويراقب وجه نديم المتألم مما يحدث

لحور وكذلك حور التي تنظر لنديم :"ما رأيكما لو نلعب لعبة ها ؟"

ثم صفق بيديه بجذل :"أنا حقا أعشق الألعاب "

وأشار لنديم: "تعترف أنت فلا أفعل لها شيء "

ثم أشار إلى حور:" أم تعترفين أنت ولا أفعل له شيء "

نظرت له حور بعينين متقدتين لأنها على وشك فك قيودها فه تحاول منذ
اللحظة التي عرفت أن نديم بالجوار ثم هتفت بقوة :"لو أصبح وجهك القذر جميلا وصوتك الذي يثير الاشمئزاز شيء محتمل ربما وقتها سنعترف ولكن ذلك لن يحدث."

أغمض نديم عينيه لأنه يعلم أنها بهذا تعرض نفسها للتعذيب لكن عقلية هاري المريضة لا تتوقع منها أي رد فعل خصوصا وهو يتمتع بتلك السادية فهتف الأخير مخرجا مسدسه من غمده وصوبه ناحية نديم:" إذن وجوده ليس له فائدة وأنا وأنت سنسهر وحدنا يا حلوة "
وأطلق عدة رصاصات ناحية نديم، اتسعت عينا حور وهزت رأسها نافية لما تراه وصرخت :" نديييييييييم"
ضحك الكولونيل لصراخها:" أرأيت ليس له فائدة "
وقتها استطاعت فك قيودها لان أحدا لم يهتم أن يشد وثاقها جيدا لأنه لم يتوقع أحدا من فتاة أن تحاول الهرب كما أن مهارة فك القيود التي تعلمتها في السيرك ساعدتها على ذلك ،وفى لحظة هجمت على هاري الذي اتسعت عيناه غيرمصدق لما يحدث ضربت حور مسدسه فسقط أرضا وهجمت عليه لتسقطه أرضا ثم أخرجت سكينها من

ملابسها التي لم يتوقع أحد أن تحمل فتاة مثلها سكينا فلم تخضع للتفتيش قربت النصل من رقبته حتى جرحته:" ألا تذكرني كولونيل ؟

نظر لها برعب وهو لا يتذكر شيء "

كانت تنظر له وتميل رأسها يمينا ويسارا،همست بأذنه:"أنا حور كولونيل

black angel "

تذكرها على الفور فهو من أطلق عليها هذا الاسم ويتذكر ما فعله بها تحديدا

في ليلة عرسها فامتلأت نفسه رعبا من انتقامها تلاحقت أنفاسها وهى تسأله مرة أخرى وهى تصرخ:"تذكرنـــــــــــــي "

أومأ برأسه:" نعم أتذكرك جيدا "

:"هل تذكر حمزة ها ؟ أخي الصغير .....المشاغب ؟"

أومأ برأسه وعيناه متسعتان رعبا، رفعت سكينتها وطعنته:" هذه من أجل حمزة "

ورفعتها ثانية :" وهذه لأبى "

:"لأمي"

:"لمحمد "

:"لنديم "

وامتلأت عيناها بالدمع وطعنته أكثر من مرة وهى تردد :"وهذه لي أناااااااااا "

كان قد فارق الحياة وتلوثت ملابسها بدمائه فلهثت وهى تنهض واتجهت إلى نديم المدرج بدمائه، كان عقلها لا يستوعب فكرة فقدانه هو الآخر فاتجهت

إليه تناديه :"نديم "

لكن جحظت عيناها عندما أصابتها رصاصات ميشيل والذي عاد لشعوره أن

هناك ما يريب لم يحدث شيء يؤكد شعوره هذا أو حتى يقويه لكن خبرته جعلته يشم الخطر من بعيد وهذا ما حدث بالفعل هتف

:"سيدي الكولونيل ؟ماذا فعلت أيتها القذرة"

سرعان ما جحظت عيناه هو الآخر برصاصة صلاح.

وسقطت حور ونظرها معلق بنديم، شهق صلاح وهو يقترب منهما:"لا يا إلهي..؟! نديم"

اقترب من نديم وفك قيود فهوى جسده بين يديه فجلس أرضا به

:"نديم أجبني يا صديق أرجوك نديم"

فتح نديم عينيه بصعوبة فابتسم بوهن عند رؤيته صلاح:" خذني إليها يا صلاح"

كان صلاح يبكى وهو يحمله إلى حور، ناداها بوهن شديد:" حور ....حور "

أجابته بضعف:" نديم"

:"أرجوك سامحيني لقد جرحتك كثيرا "

كانت تنظر له فقط دون كلمة ، وضع يده على جيبه وهو يسعل دما:" ساعدني يا صلاح "

ثم همس به:" انتبه على أمي وإخوتي يا صلاح "

أومأ صلاح برأسه شاهقا وهو يساعده، أخرج من جيبه العلبة التي تحوى الدبلة التي اشتراها لها وأقسم أن يعطيها إياها عندما يراها وهمس بوهن :"حور هذه دبلتك هل تتزوجيني ".

ابتسمت ابتسامة لم يرها من قبل مشرقة كشمس رائعة بعد يوم ممطر وغائم

كان ابتسامتها نعيما، أومأت برأسها:" ستزينني إليك حور الجنة "

أجابها وقد اتسعت ابتسامته مثلها :"ستزفني إليك ملائكة السماء "

:"سيعقد قراننا الله سبحانه وتعالى "

:"وكيلنا رسول الله "

:"شهودنا صحابته الكرام "

وابتسمت وابتسم.

*****

*****

أحياءٌ أحياء..

لو ماتوا شهداء..

دمهم في عرس شهادتهم ..

حناءٌ حناء..

أحياءٌ أحياء..

لو ماتوا شهداء..

دمهم في عرس شهادتهم..

حناءٌ حناء..

هم من أزهار جنة بين جموع الأنبياء..

حتى لو لم نذكرهم بالأسماء..

إن ضمير الأمة..

لن ينسى الشهداء..

لن ينسى الشهداء..

...

فخرا أن تعرف أن الموت..

أن الموت قدر..

وقرار الموت إذا ما جاء..

لا يمنعه حذر..

فلماذا لا نمضى شهداء ..

عند الله وأحياء..

فضمير الأمة لن..

لن ينسى الشهداء..

أحياءٌ أحياء .. لو ماتوا شهداء..

دمهم في عرس شهادتهم .. حناءٌ حناء..

****

الخاتمة،،

..الله أكبر الله أكبر الله أكبر ... لا إله إلا الله ...الله أكبر الله أكبر .. ولله الحمد

..الله أكبر كبير والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ...لا إله إلا الله وحده ... صدق وعده .. ونصر عبده .. وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ..لا إله إلا الله .. ولا نعبد إلا إياه .. مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أنصار سيدنا محمد و أزواج سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا..

****

شهق سعد باكيا، عندما سمع تكبيرات العيد، لأنه بيديه سلم نديم للقتل، بكى كثيرا وضميره لم يتركه يهنأ للحظة، نظر للحبل المتدلي من السقف فابتلع ريقه وطلب من الله أن يسامحه. ثم رفع رجله ليقف على الكرسي أمامه وأدخل رقبته بالحبل وشده جيدا على رقبته ودفع الكرسي من تحته.

*****

*****

*****

رسمنا علي القلب وجه الوطن ... نخيلا ونيلا وشعبا أصيلا
وصناك يا مصر طول الزمن... ليبقي شبابك جيلا فجيلا
يد الله يا مصر ترعي سماك .... وفي ساحة الحق يعلو نداك
ومادام جيشك يحمي حماك... ستمضي إلى النصر دوما خطاك
سلام عليك إذا ما دعانا...رسول الجهاد ليوم الفداء
وسالت مع النيل يوما دمانا... لنبني لمصر العلا والرخاء
رسمنا علي القلب وجه الوطن.... نخيلا ونيلا وشعبا أصيلا
وصناك يا مصر طول الزمن ...ليبقي شبابك جيلا فجيلا

(انتهت القصة وكل قصة وانتم طيبين)

الملاك الأسود

روائع الروايات الرومانسية

رضا الدسوقي